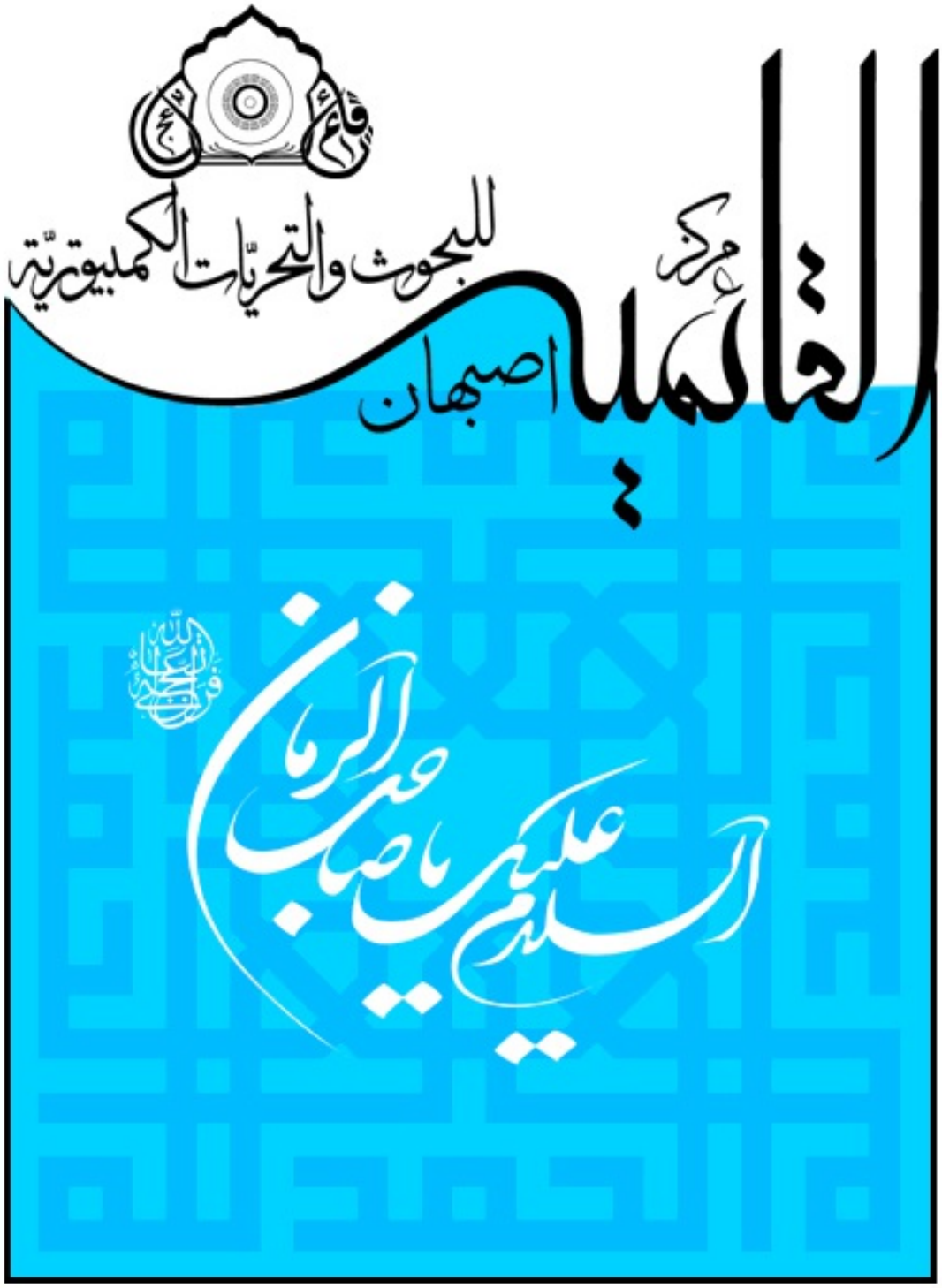

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

بحوث سماحة الأستاذ آية الله الشيخ محمد السند

الإمامة الإلهية

تأليف

السيد محمد علي بحر العلوم

جلد پنجم

بسم الله الرحمن الرحيم

الامامة الالهية

كاتب:

محمد السند

نشرت فى الطباعة:

فرصاد

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الامامة الالهية(۵) المجلد ۵ ----- ۱۱
اشارة ----- ۱۱
الامامة الالهية (۵) ----- ۱۱
مقدمة المقرر ... ص: ۵ ----- ۱۱
اشارة ----- ۱۱
الضرورة الأولى: دونية العبد ... ص: ۷ ----- ۱۲
الضرورة الثانية: دونية العالم الدنيوى ... ص: ۸ ----- ۱۳
الضرورة الثالثة: طى الطريق ومضاعفة الخطوة ... ص: ۹ ----- ۱۳
الضرورة الرابعة: عظمة المعبود ... ص: ۱۰ ----- ۱۴
مقدمة المؤلف ... ص: ۱۳ ----- ۱۴
مقدّمة البحث وفيها نقطتان ... ص: ۱۷ ----- ۱۶
اشارة ----- ۱۶
النقطة الأولى: لا توحيد إلا بالتوسل ... ص: ۱۷ ----- ۱۶
النقطة الثانية: كل ما يرتبط بالنبى وآله عليهم السلام وزانه وزان الأصول ... ص: ۱۹ ----- ۱۷
الفصل الأول وجوه الاستدلال على مسألة التوسل ... ص: ۲۳ ----- ۱۹
اشارة ----- ۱۹
وجوه الاستدلال على مسألة التوسل ... ص: ۲۵ ----- ۱۹
الوجه الأول: التوجه بالوسائل ضرورة عقلية ... ص: ۲۹ ----- ۲۰
اشارة ----- ۲۰
قصد الشى توجه لوجهه ... ص: ۳۱ ----- ۲۱
الوجه الثانى: النبى وآله أبواب الحضرة الإلهية ... ص: ۳۵ ----- ۲۲
اشارة ----- ۲۲

شرطیة الإیمان بالآیات فی صعود الأعمال ... ص: ۳۶ ---- ۲۳
وجه آخر فی شرطیة التوجه بهم إلی اللّه فی صحة العبادات ... ص: ۳۹ ---- ۲۴
شرطیة التولی والتبری فی أصل الإیمان ... ص: ۴۲ ---- ۲۵
الوجه الثالث: غوایة إبلیس لاستکباره عن التوجه بآدم ... ص: ۴۳ ---- ۲۶
اشارة ---- ۲۶
لا مسرح للاشتباه فی التطبیق العقائدی ... ص: ۴۵ ---- ۲۶
الوجه الرابع: لا نفی للتعطیل والتشبیه إلا بالتوسل وهو التوحید ... ص: ۴۷ ---- ۲۷
الوجه الخامسآیات الأسماء ... ص: ۵۳ ---- ۲۹
اشارة ---- ۲۹
تحقیق فی معنی الاسم فی القرآن ... ص: ۶۰ ---- ۳۲
الوجه السادس: ابتغاء الوسیلة ... ص: ۶۵ ---- ۳۴
الوجه السابع: وجه الشفاعة ... ص: ۶۹ ---- ۳۶
اشارة ---- ۳۶
طوائف الآیات ... ص: ۶۹ ---- ۳۶
الطائفة الأولی: آیات نفی الشفاعة ... ص: ۶۹ ---- ۳۶
الطائفة الثانیة: آیات نفی الشفعاء ... ص: ۶۹ ---- ۳۶
الطائفة الثالثة: آیات تحقق الشفاعة مع الإذن الإلهی ... ص: ۷۰ ---- ۳۷
الطائفة الرابعة: آیات تحقق الشفاعة من قبل المرضی قولا وفعلا ... ص: ۷۱ ---- ۳۷
الطائفة الخامسة: آیات تحقق الشفاعة فی صالح من کان مرضیا ... ص: ۷۲ ---- ۳۷
الطائفة السادسة: آیات ضرورة تحقق الشفاعة ... ص: ۷۲ ---- ۳۸
بحوث الآیة الأولی ... ص: ۷۳ ---- ۳۸
اشارة ---- ۳۸
القاعدة الأولی: التوسل شرط فی صحة التوبة ... ص: ۷۳ ---- ۳۸
اشارة ---- ۳۸

مناقشة مع الفخر الرازی ... ص: ۷۵ ---- ۳۹
القاعدة الثانیة: شرطا الإیمان والعبادة ... ص: ۷۷ ---- ۴۰
اشارة ---- ۴۰
الانتماء الصادق لأهل البیت علیهم السلام ... ص: ۸۰ ---- ۴۱
نزول الفیض الإلهی متوقف علی شروط ثلاثة ... ص: ۸۲ ---- ۴۲
التوجه بهم ناموس وسنّة إلهیة ... ص: ۸۴ ---- ۴۳
بحوث الآیة الثانیة ... ص: ۸۸ ---- ۴۵
اشارة ---- ۴۵
القاعدة الثالثة: نیل کل کمال بالاستشفاع وشفاعة النبی وأهله علیهم السلام ... ص: ۸۸ ---- ۴۵
اشارة ---- ۴۵
سؤال حول قرب اللّه وضرورة الواسطة إلیه ... ص: ۹۶ ---- ۴۷
الصفات الإلهیة العظمی والحاجة إلی وساطة کلماته تعالی ... ص: ۹۹ ---- ۴۹
تعلیق علی مقولة الاستغراق فی الرسالة دون الرسول صلی الله علیه و آله ... ص: ۱۰۱ ---- ۵۰
التوفیق بین قربه تعالی منا وبعدنا عنه ... ص: ۱۰۶ ---- ۵۱
احتیاج عموم الخلق لوساطة سید الأنبیاء صلی الله علیه و آله ... ص: ۱۰۶ ---- ۵۲
نفی الواسطة رؤیة إبلیسیة ... ص: ۱۰۸ ---- ۵۲
النبی وأهل بیته علیهم السلام الأبواب والحجب والسدنة ... ص: ۱۰۹ ---- ۵۳
الشفاعة فعل تکوینی ... ص: ۱۱۲ ---- ۵۴
طلب الشفاعة تعلق بالاسم الإلهی التکوینی ... ص: ۱۱۴ ---- ۵۵
استعراض بعض روایات المقام ... ص: ۱۱۵ ---- ۵۵
الوجه الثامن: بحث الکلمات ... ص: ۱۱۷ ---- ۵۶
اشارة ---- ۵۶
آیات قرآنیة فی الکلمات الإلهیة ... ص: ۱۱۷ ---- ۵۶
اشارة ---- ۵۶

تحقیق فی معنی الکلمة فی القرآن ... ص: ۱۱۹ ---- ۵۷
الوجه التاسع: دلالة القصد إلی الحج وأداء المناسک علی ضرورة التوسل بحضرتهم ... ص: ۱۲۵ ---- ۵۹
اشارة ---- ۵۹
شواهد من مناسک الحج ... ص: ۱۳۹ ---- ۶۵
تجسد التوسل واللواذ بحضرة الأولیاء علیهم السلام ... ص: ۱۳۹ ---- ۶۵
اشارة ---- ۶۵
الشاهد الأول: مقام إبراهیم علیه السلام ... ص: ۱۳۹ ---- ۶۵
الشاهد الثانی: حجر إسماعیل علیه السلام ... ص: ۱۴۰ ---- ۶۵
الشاهد الثالث: ولادة علی علیه السلام فی الکعبة ... ص: ۱۴۲ ---- ۶۶
الشاهد الرابع: شواهد أخری ... ص: ۱۴۵ ---- ۶۶
الوجه العاشر: قاعدة الإثبات بلا تشبیه والتنزیه بلا تعطیل ... ص: ۱۴۷ ---- ۶۷
اشارة ---- ۶۷
معنی نسبة الفعل بإسنادین لفاعلین بالطولیة ... ص: ۱۵۴ ---- ۷۰
الفصل الثانی تحلیل مفاد وأبعاد یا محمد ویا علی ... ص: ۱۵۹ ---- ۷۱
اشارة ---- ۷۱
المقام الأول: مقام النداء ... ص: ۱۵۹ ---- ۷۲
اشارة ---- ۷۲
نداء الرسول صلی الله علیه و آله فی العبادات نوع توسل ... ص: ۱۶۶ ---- ۷۴
المقام الثانی: مقام الاستغاثة ... ص: ۱۶۷ ---- ۷۴
اشارة ---- ۷۴
صور الاستغاثة بأهل البیت علیهم السلام ... ص: ۱۶۷ ---- ۷۴
الصورة الأولی ...: ص: ۱۶۷ ---- ۷۵
الصورة الثانیة ...: ص: ۱۶۹ ---- ۷۵
الصورة الثالثة ... ص: ۱۷۱ ---- ۷۶

شواهد الصورة الثالثة ... ص: ۱۷۰ ---- ۷۶
اشارة ---- ۷۶
الشاهد الأول ... ص: ۱۷۰ ---- ۷۶
وتقریب الآیة من وجهین ... ص: ۱۷۰ ---- ۷۶
الشاهد الثانی ... ص: ۱۷۱ ---- ۷۶
الشاهد الثالث ... ص: ۱۷۲ ---- ۷۷
سبب النزول ... ص: ۱۷۳ ---- ۷۷
الشاهد الرابع ... ص: ۱۷۶ ---- ۷۹
الاستغاثة بهم علیهم السلام تستوعب حاجات الروح والبدن ... ص: ۱۷۹ ---- ۷۹
اشارة ---- ۷۹
النقطة الأولی: أصول عمارة الأرض منبثقة من الأولیاء علیهم السلام ... ص: ۱۷۹ ---- ۸۰
النقطة الثانیة: دیدن سیرة الرواة علی عموم مراجعاتهم للأئمة علیهم السلام ... ص: ۱۸۰ ---- ۸۰
النقطة الثالثة: عموم مرجعیتهم علیهم السلام فی العلوم والشؤون المختلفة ... ص: ۱۸۱ ---- ۸۰
النقطة الرابعة: فصل الدین عن نظام الطبیعة ... ص: ۱۸۳ ---- ۸۱
الفصل الثالث ملفات التوسل ... ص: ۱۸۷ ---- ۸۲
اشارة ---- ۸۲
الطائفة الأولی: استغاثة المعصومین ببعضهم البعض علیهم السلام ... ص: ۱۸۹ ---- ۸۲
اشارة ---- ۸۳
استغاثة الرسول صلی الله علیه و آله بعلی علیه السلام ... ص: ۱۸۹ ---- ۸۳
توضیح إشکال ... ص: ۱۹۰ ---- ۸۳
استغاثة علی علیه السلام بالرسول صلی الله علیه و آله ... ص: ۱۹۳ ---- ۸۴
استغاثة فاطمة علیها السلام بالرسول صلی الله علیه و آله ... ص: ۱۹۴ ---- ۸۵
استغاثة الحسین علیه السلام بالرسول صلی الله علیه و آله ... ص: ۱۹۵ ---- ۸۵
استغاثة السجاد علیه السلام فی دعائه بالنبی والأئمة علیهم السلام ... ص: ۱۹۵ ---- ۸۶

استغاثة الإمام الكاظم عليه السلام بالزهراء عليها السلام ... ص: ۱۹۶ ---- ۸۶

استغاثة زينب عليها السلام برسول اللّه صلى الله عليه و آله ... ص: ۱۹۷ ---- ۸۶

الطائفة الثانية: الندب إلى الاستغاثة بالمعصومين عليهم السلام ... ص: ۱۹۹ ---- ۸۷

الطائفة الثالثة: الندب الخاص بتوجه النداء إلى المعصومين عليهم السلام ... ص: ۲۰۳ ---- ۸۸

اشارة ---- ۸۸

الندب الخاص بتوجه النداء إليهم بلفظ النداء وبذكرهم ... ص: ۲۰۳ ---- ۸۹

الفتاوى الدينية ... ص: ۲۰۹ ---- ۹۱

كلمات العلماء من الفريقين ... ص: ۲۱۳ ---- ۹۲

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية ---- ۹۹

الامامة الالهية(۵) المجلد ۵

اشارة

سرشناسه : سند، محمد، – ۱۳۴۰

عنوان و نام پديدآور : الامامه الالهيه/ محاضرات محمد سند؛ جمع و اعداد محمدعلی بحرالعلوم

مشخصات نشر : تهران : فرصاد ، – ۱۳۸۵.

مشخصات ظاهری : ج ۳

يادداشت : عربی

يادداشت : فهرست نويسی براساس اطلاعات فيپا

يادداشت : کتابنامه

موضوع : امامت

موضوع : ولايت

موضوع : اصول فقه شيعه

شناسه افزوده : بحرالعلوم، محمدعلی، ۱۳۴۵ – مقرر

رده بندی کنگره : BP۲۲۳/س۹الف۸ ۱۳۸۵

رده بندی ديويی : ۲۹۷/۴۵

شماره کتابشناسی ملی : م۸۱–۲۸۲۳۶

الامامة الالهية (۵)

مقدمة المقرر ... ص: ۵

اشارة

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلِّ على محمدٍ وآل محمد، عدد ما فی علمک، صلاة دائمة بدوام ملکک، وأسألک اللهم أن تبصرنا معرفة وليک لنبتغی إليک به الوسيلة فی نجح آمالنا وتحقيق مطالبنا، فإنه لا ينال عرفانک إلا به، ولا يقضی أمرک إلا بوصله..

ما هی الوسيلة؟

قال الراغب الأصفهانی:

الوسيلة: التوصل إلی الشی برغبة، وهی أخص من الوصيلة «۱».

وقال ابن الأثير:

فی الأصل: ما يتوصل به إلی الشی ويتقرب، وجمعها وسائل «۲».

وعلی ضوء المعنی اللغوی يتبلور المعنی الاصطلاحی للفظ الوسيلة وهو:

الوصلة التی يتوصل بها إلی معرفة اللّه وقربه وطاعته ومحبته، ولما کان الأولياء المصطفون هم الوجه الوجيه عند اللّه تعالی والحبل الممدود بين السماء والأرض، طرف منه غيبی بيد اللّه تعالی، وطرفه الآخر مادی عينی بيد الخلق؛ يکونوا بذلک

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۶

أقوى وأدل وأنجح وأقرب وأسمى الوسائل الدالة على اللّه تعالى، وأوسع الأبواب الموصلة إلى نيل عرفانه والاحتظاء بمرضاته تعالى.

ولقد دعانا القرآن الكريم وبصورة مؤكدة بينة إلى ابتغاء الوسيلة واتخاذ الوصلة إليه تعالى، مرة بلفظ الوسيلة كما فى قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِى سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» «۱»

، وأخرى بالحث على التلبس بواقع التوسل كما فى قوله تعالى: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ» «۲»

.وقوله تعالى: «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا» «۳»

.وتشير الآية الأخيرة إلى ضرورة اجتماع وترافق وسائل دينية عديدة من أجل تأهل الأعمال الصادرة من العبد للصعود إلى اللّه تعالى، وأول تلك الوسائل هى الحضور طوعانية عند الحضرة النبوية المعظمة، وثانيها الاستغفار والتوبة والرجوع الذاتى من قبل العبد، وثالثها توجه الرسول صلى الله عليه و آله بالدعاء والاستغفار والطلب والتوسط للعبد لأجل أن ينال الحظوة عند اللّه تعالى.

ويهدف اجتماع هذه الوسائل- عمل العبد وحضوره عند الرسول صلى الله عليه و آله وتوجه الرسول صلى الله عليه و آله إلى اللّه- إلى فتح الطريق أمام العبد ومضاعفة خطواته وطى مسيره فى الصعود إلى القرب الإلهى.

وعند هذه النقطة نشير إلى هذا السؤال:

لماذا أقر اللّه تعالى وأوجب فى القرآن الكريم التعلق بالوسائل، وأمر العبد بابتغائها

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۷

واتخاذها فى التقرب والتصاعد والعروج والتكامل الروحى، وقضاء الحاجات ونيل المطالب؟

الجواب:

إن إلزام المشرع الإلهى الخلق بابتغاء الوسائل إليه تفرضه ضرورات عديدة:

الضرورة الأولى: دونية العبد ... ص: ۷

مما لا شك فيه إن الوجود الإنسانى- على ما فيه من مزايا تكوينية فطرية- وجود دونى سفلى لحلول تلك المزايا الروحية فى تكوين الإنسان المادى الخلقى.

وقد أشار أهل المعنى إلى أن الجانب المعنوى فى الإنسان رهين بقيود البدن الغليظة، مما يثقل ويشق على الروح تصاعدها إلى عالم المعنى لنيل كل زلفى وحظوة إلهية، وقد شبهوا أسر الروح فى قفص البدن بأسر الطائر الذى يحمل فى أصل وجوده القدرة على التحليق والطيران فى القفص المادى.

وقد دلت الروايات على هذه الدونية الخلقية التى ولّدت موانع للإنسان فى طيه للطريق المعنوى، منها: ما فى البحار عن السيوطى فى الدر المنثور: عن ابن عباس قال: «خلق اللّه آدم من أديم الأرض يوم الجمعة بعد العصر، فسماه آدم، ثم عهد إليه فنسى، فسماه الإنسان.

قال ابن عباس: فباللّه ما غابت الشمس من ذلك اليوم حتى أهبط من الجنة.

قال: وإنما سميت المرأة امرأة لأنها خلقت من المرء، وسميت حواء لأنها أم كل حى» «۱»

.وأما عن أبى بصير قال: سأل طاووس اليمانى أبا جعفر عليه السلام: لم سمى آدمُ آدمَ عليه السلام

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۸

قال: «لأنه رفعت طينته من أديم الأرض السفلى» «۱».

فتشير الروايات إلى العقبات التى طرأت على الروح الإنسانية بسبب تركبها فى البدن المادى، مما يضطر الإنسان إلى التعلق بالوسائل التى تقوم بوظيفة الارتقاء والتسامى به عن الهبوط، والتسافل الذى يقتضيه البدن المادى.

الضرورة الثانية: دونية العالم الدنيوى ... ص: ۸

وينبه على هذه الحقيقة روايات عديدة، منها ما فى جواب أمير المؤمنين عليه السلام عن سؤال اليهودى: «وإنما سميت الدنيا دنيا لأنها أدنى من كل شىء» «۲»

.ومنها جواب النبى صلى الله عليه و آله عما سأله يزيد بن سلام، حيث سأل لم سميت الدنيا؟

فقال عليه السلام: «لأن الدنيا دنية خلقت من دون الآخرة، ولو خلقت مع الآخرة لم يفن أهلها كما لا يفنى أهل الآخرة».

قال: فأخبرنى لم سميت الآخرة آخرة؟ قال: «لأنها متأخرة، تجى من بعد الدنيا، لا توصف سنينها، ولا تحصى أيامها، ولا يموت سكانها» «۳».

قال المجلسى بيان:

قوله فى الخبر الأول «لأنها أدنى من كل شىء» أى أقرب بحسب المكان أو بحسب الزمان، أو أخس وأرذل على وفق الخبر الثانى... وبالجملة الأدنى والدنيا يصرفان على وجوه، فتارة يعبر به عن الأقل فيقابل بالأكثر والأكبر، وتارة عن الأرذل والأحقر فيقابل بالأعلى والأفضل، وتارة عن الأقرب فيقابل بالأقصى، وتارة عن الأولى فيقابل بالآخرة، وبجميع ذلك ورد

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۹

التنزيل على بعض الوجوه.

وقال الجزرى: الدنيا اسم لهذه الحياة؛ لبعد الآخرة عنها «۱». انتهى

فإذا كانت الدنيا أدنى وأخس وأحقر العوالم لأنها العالم الخلقى، فأنى للنازل فيها والمتلبس بسفليتها أن يرتبط بالعوالم الأمرية العلية من دون أن يبتغى سلم الوسائل ومدارج الوصائل التى تقوم برفع الإنسان عن دونية المحل الواقع فيه؟! فهبوط العالم الدنيوى وسفليته ونزوله تقتضى ضرورة اتخاذ الوسائل العديدة ليتحقق الصعود والارتفاع لنشأة أسمى وأرفع.

الضرورة الثالثة: طى الطريق ومضاعفة الخطوة ... ص: ۹

من المقرر فى علم الكلام إنه لا حد ولا أمد ولا نهاية للمسافة بين العبد وربه، بمعنى أن كل نقطة قريبة يصعد إليها الإنسان لها ما هو فوقها بشكل غير متناه، فإذا ما لوحظ فى مقابل هذه الحقيقةِ حقيقةٌ أخرى تتعلق بقصر أمد عمر الإنسان فى هذه الدنيا، أى أن الوقت الزمنى الجدى الذى يستثمره العبد ويستهلكه فى علاقته المعنوية بخالقه قصير ومحدود بحيث لا يتجاوز مجموعه الإجمالى عشر سنين، فى حين يستهلك العمر الباقى بين نوم ولعب ولهو وأكل ولوازم شخصية، وعلى ضوء ذلك فالسؤال ما هو السبيل لتوسعة ذلك العمر القصير ليكون طريقا لبلوغ أسمى الدرجات وأشرفها فى معرفة الخالق وعبادته؟

والجواب: إنه لا طريق للتصرف فى الزمن المقرر لوجود الإنسان، لكن الطريق مفتوح للتعويض عن محدودية عمر الإنسان فى مضاعفة خطوات سيره إلى اللَّه، وطى المسافة الممكنة بينهما، وهذا الهدف السامى هو ما يتحقق من خلال الوسائل

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۰

العبادية والعقائدية التى تكشف ظلمات الطريق وحجب الغيب، ليتسنى للعبد الارتقاء لنيل الدرجة القريبة الممكنة، ولا أنجع فى هذا الطريق من ابتغاء وسيلة الحضرة النبوية وأهل بيته عليهم السلام، وهذا ما عبر عنه الشيخ الأستاذ المؤلف (حفظه اللَّه) فى واحد من بحوثه المقبلة فى مطاوى الكتاب من أن «النبى وأهل بيته عليهم السلام هم الأبواب والحجب والسدنة».

الضرورة الرابعة: عظمة المعبود ... ص: ۱۰

وتحتل هذه الضرورة موقع الصدارة بين كل الضرورات السابقة، وهى الإبداع الذى يتجلى للقارئ الكريم فى هذا الكتاب، حيث إن الشيخ الأستاذ (دام عزه) خرج بالبحث عن طور الاستدلال على جواز عقيدة التوسل عقلا وشرعا- كما هى عادة المتكلمين والمفسرين من الفريقين- إلى الاستدلال عقلا- وشرعا على ضرورة التوسل فى نيل كل حظوة وكمال وقرب إلهى، فإذا ما هجر العبد التوسل والتقرب بالنبى وأهل بيته عليهم السلام امتنع عليه الوصول إلى نيل المعرفة باللَّه تعالى، وانسد أمامه باب عبادته وقربه، واستحال عليه إنجاز أى حاجة معنوية أو مادية، والسبب فى ذلك ما بينه الشيخ الأستاذ بما لا مزيد عليه فى هذا الكتاب من أن متاركة التوسل انفراط للركن الركين من التوحيد.

ويمكن تأييد الحقيقة التى وصل إليها الشيخ الأستاذ فى البحث الذى بين يديك بما يذكره أهل المعنى، من أن خطاب اللَّه تعالى لأحد من خلقه بلا واسطة محال، إلا من هم فى مستوى الأنبياء والأولياء عليهم السلام الذين وصلوا إلى الغاية فى التكامل المعرفى والعبادى.

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۱

وتقريب ذلك بأن يقال:

إن خطاب اللَّه تعالى بمعناه العام- سواء كان الخطاب المعرفى بإنزال الكتب والصحف والآيات، أو الخطاب التكوينى بإنزال الفيض الإلهى المعنوى والمادى- يتوقف على اللياقة والكفاءة فى المخاطب، وليس فى الوجود أحد حصل المستوى المطلوب من اللياقة سوى الأنبياء والأولياء عليهم السلام، وفى مقدمتهم سيد الأنبياء وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام، وهذا بنفسه بيان لضرورة التوسل بهم والتوجه إليهم واللواذ بحضرتهم، لكى يخاطبوا ويواجهوا من قبل اللَّه تعالى، فيتنزل الفيض بواسطتهم إلى سائر الخلق، فإذا ما سلك العبد طريق الإباء والتكبر والتعالى على تلك الوسائل الإلهية، انسد أمامه باب اللَّه الذى منه يؤتى، وسبيله الذى منه يقصد، فلا يبقى أمام العبد أى طريق لتحقيق آماله وبلوغ مآربه.

وإلى نفس المفاد يشير العلامة المحقق الخواجوئى فى كتابه مفتاح الفلاح- فى ذيل قول الإمام على عليه السلام فى دعاء الصباح: «صلِّ اللهم على الدليل إليك فى الليل الأليل» - بقوله: «لما كانت النفوس فى الأغلب منغمسة فى العلائق البدنية الحاصلة بسبب تدبير البدن وتكميله، مكدرة بالكدورات الطبيعية الناشئة من القوة الشهوية والغضبية، وكان ذات المفيض عز اسمه فى غاية التنزه عنها، ولم يكن بينهما بذلك مناسبة موجبة لفيضان كمال.

وجب عليها فى استفاضة الكمالات واستنجاح المطالب والحاجات من تلك الحضرة المتنزهة التوسل إلى متوسط يكون ذا جهتى التجرد والتعلق، ليقبل ذلك المتوسط الفيض منه بتلك الجهة الروحانية التجردية، وتقبل النفس منه بهذه الجهة الجسمانية التعلقية» «۱».

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۲

وفى الختام:

اسأل اللَّه عز وجل أن ينفعنا جميعا بعلم أستاذنا الكبير آية اللَّه المحقق- الجامع لعلوم دينية شتى- الشيخ محمد السند، واسأل القارئ الكريم الإغماض عن ما فى هذا الكتاب من الاشتباهات الصادرة غفلة منى.

حسن العالى

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۳

مقدمة المؤلف ... ص: ۱۳

«دام ظلّه»

الحمد للَّهالذى لا يكتنه، ولا يحاط به، ولا يحده حد، ولا ينتهى إلى مدى، ولا يجانس، ولا يماثل، ولا يشاكل، وهو مع ذلك ظاهر بآياته وهى وجهه الدائم، متجل بفعله، معروف بأسمائه.

والصلاة والسلام على السبيل الأعظم لمعرفته، والصراط الأقوم للتقرب إليه، أكبر آياته، وأقرب وسائله النبى المصطفى، وعلى آله أبوابه ومفاتيح غيبه.

وبعد:

فإنه قد قالت البضعة النبوية الطاهرة سيدة نساء أهل الجنة عليها السلام فى خطبتها:

«واحمدوا اللَّه الذى لعظمته ونوره يبتغى من فى السموات والأرض إليه الوسيلة، و نحن وسيلته فى خلقه ونحن خاصته ومحل قدسه ونحن حجته فى غيبه» «۱».

وهى تشير إلى أن الطريق الحنيف إلى معرفة التوحيد بعيداً عن التشبيه، وخروجاً عن التعطيل هو منحصر بابتغاء الوسيلة، وأن الإعراض عن ابتغاء الوسيلة لا محالة يوقع إما فى التشبيه أو التعطيل، وكلاهما زوال لمعرفة التوحيد، وإن زعم التمسك به شعاراً وعنوانا من دون حقيقة.

فقولها عليها السلام: «واحمدوا اللَّه» أى صفوه وانعتوه بالكمال، ووحدوه فى الإلوهية

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۴

والصفات والأفعال، ثم بينت السبيل إلى ذلك وإلى معرفة التوحيد ببيان البرهان على ضرورة ذلك السبيل وعلى الانحصار به، فذكرت عظمة الخالق وهى تنزهه عن النقص وعدم انتهائه إلى حد، وشدة نوره التى لا تقف عند منتهى، وهو بمثابة ذكر البرهان على استحالة معرفة البارى بالاكتناه والإحاطة والمثل والمشاكلة والحس والجس واللمس والمجابهة والمواجهة والمحاذاة؛ لأن كل ذلك يستلزم محدودية ذات البارى تعالى فى الحد والنهاية.

وإذا استحالت معرفته بذلك فامتناع معرفته بقول مطلق هو التعطيل فى المعرفة، وهو باطل أيضاً؛ لأن التعطيل يستلزم هو الآخر المحدودية فى ذاته تعالى والانتهاء إلى حد لا يظهر تعالى فيما وراءه، وتعالى سبحانه عن أن يكون له ما وراءه شىء غيره، فلم يبق إلا المعرفة بالآيات المخلوقة وهى الوسيلة إلى معرفته وتوحيده.

وكلما كان المخلوق أعظم خلقة كان أعظم آية فى العلامية على صفات البارى وعظمته، وبالتالى فإن أعظم المخلوقات على الإطلاق يكون هو أعظم آية على الإطلاق، وتكون بقية الآيات دونه، بل حكاية كل الآيات هى عبر أعظم آية، فهى الوسيلة على الإطلاق لكل الآيات المخلوقة.

وقد ثبت بالضرورة أنه صلى الله عليه و آله أعظم خلق اللَّه تعالى، وقد سمّاه البارى تعالى برحمة للعالمين كل العالمين، وبرءوف رحيم، ومن ذلك يعلم أن أنجح الوسائل وأعظمها هو سيد الكائنات، وقد قرن اللَّه تعالى به أهل بيته فى التطهير، والاحتجاج على أهل الكتاب، وعلم الكتاب كله، والولاية، وافتراض الطاعة، ومقامات أخرى اصطفاءاً لهم.

ومن ذلك يعرف خطورة التوسل بالوسيلة وأنه يتوصل به إلى معرفة التوحيد فى مقام الذات والصفات فضلًا عما دونه من توحيد الأفعال والعبادات، كما أن التوسل بالوسيلة إقامة للتوحيد فى الولاية؛ لأنه تولى ولى ولاية اللَّه تعالى.

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۵

بل إن جملة من الآيات والروايات تقتضى شرطية التوسل والتوجه بهم فى صحة أو قبول العبادة، فلا تقتصر الشرطية على ولايتهم بمعنى الإيمان بإمامتهم كما هو ظاهر كلمات كثير من الأصحاب، بل لا بد من الالتجاء إليهم والاستشفاع بهم إليه تعالى.

بل إن هذا الشرط شرط فى قبول الإيمان باللَّه تعالى ورسوله وأوصياءه كما هو مفاد جملة من الآيات، فإن مقتضاها أن الإيمان ما لم

يكن مقرونا بالخضوع والإقبال والتوجه بالحجج المصطفين فإنه لا يصعد إليه تعالى، ولا تفتح له أبواب السماء كما وعظنا القرآن الكريم فى سور متعددة فى ملحمة آدم عليه السلام وإبليس، فإنه شدد النكير على إبليس من كل من جهة إبائه أى عدم تصديقه، ومن جهة استكباره على خليفة اللَّه فى الأرض أى عدم خضوعه له وعدم توجهه به إلى اللَّه تعالى، وكما ندد القرآن بالمنافقين من جهة إبائهم عن اللجوء والالتجاء والاستشفاع والتوسل برسول اللَّه صلى الله عليه و آله وصدهم عنه واستكبارهم عن الخضوع له، وكما فى سورة الأعراف حيث حتم سد أبواب السماء والجنة عن كل من كذب بالحجج أو استكبر عليها تدليلا على ضرورة كل من الأمرين وهما الإيمان واللجوء والتوجه أو التوسل بحجج اللَّه تعالى على خلقه.

وفى الحقيقة إن ما جرى من البحث المحتدم من كون الولاية للَّه‌تعالى ولنبيه ولأهل بيته المعصومين عليهم السلام من أصول الإيمان ومن أركان صحة أو قبول العبادات والأعمال لا- يقتصر على الإيمان بل يشمل التولى بمعنى التوجه بهم والاستشفاع واللواذ بهم والعكوف على بابهم وحضرتهم.

وليتنبه أن شرطية توسيطهم والتوجه بهم فى صحة الإيمان ليست على حذو ما يعرف من زيادة الإيمان بالأعمال الصالحة والعمل بالأركان ونقصه بتركها، بل المراد بهذه الشرطية حسب ما دلت عليه الآيات والروايات هو عدم صحته من

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۶

رأس أو عدم قبوله من الأساس بدون هذا الشرط، فهو ليس شرط كمال بل شرط قوام وتقوم.

وبكلمة إن الإثارات المتشددة ضد التوسل بالنبى صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام هى مبينة لأهمية وخطورة دور التوسل والاستشفاع والتوجه بهم إلى اللَّه تعالى، وكل هذا التحسس من الإقبال على حضرة النبى صلى الله عليه و آله وحضرات أهل بيته عليهم السلام هو لحساسية هذا العمل وموقعيته كشرط لقبول الإيمان، وهذا مما لم نشاهد بلورته فى الكتب والأبحاث الكلامية بجلاء بيّن.

ولولا هذه المواجهات العنيدة لما حصل التنبه لركن التوسل فى الإيمان، وإذا أراد اللَّه تعالى أن يحيى أمرا قيض له من يعاديه «وَيَأْبَى اللّهُ إِلَّا أن يُتِمَّ نُورَهُ»، ولقد أثلج صدرى ما رقمه- اللوذعى الألمعى الفاحص الباحث عن دقائق المعارف الشيخ حسن العالى دام توقده فى المعرفة- وقرره فى أبحاثنا فى ذلك، والمسير فى درب الحقائق لا يقف عند منزل إلا وتتلوه منازل.

أرجو من البارى الهادى إلى سواء السبيل أن ينفع به لمن تدبره وأمعن النظر فيه رويّة.

۲۵ رجب الأصب

يوم وفاة الإمام موسى بن جعفر ۱۴۲۶ ه

محمد السند

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۷

مقدّمة البحث وفيها نقطتان ... ص: ۱۷

اشارة

الأدلة القرآنية والأحاديث الشريفة والبراهين العقلية تطلعنا وتبصرنا على أن معرفة توحيد الذات لا- يتحقق إلا بالتوسل، فالإيمان بالواحد الأحد والفرد الصمد لا يتحقق فى الحقيقة إلا بابتغاء الوسيلة.

النقطة الأولى: لا توحيد إلا بالتوسل ... ص: ۱۷

لا توحيد إلا بالتوسل، ولا يوحد الموحد ربه إلا بأن يتوسل، وربما يبحث الكثير عن التوسل وإمكانه ومشروعيته، أو يترقى البحث إلى ضرورته، لكن كل ذلك ليس وقوفا على حقيقة ما للتوسل من دور خطير ودعامة كبرى فى الإيمان والتوحيد، فإن الأدلة القرآنية والأحاديث الشريفة والبراهين العقلية تطلعنا وتبصرنا على أن معرفة توحيد الذات لا يتحقق إلا بالتوسل، فالإيمان بالواحد الأحد والفرد الصمد لا- يتحقق فى الحقيقة إلا- بابتغاء الوسيلة، فشأن التوسل أعظم شأنا من كونه لقضاء حاجة واستجابة دعاء، بل هو يترقى على ذلك إلى تأثيره فى تحقيق وإنجاز أصل العبادة والمعرفة وتوحيد الذات، فخطورته متصاعدة إلى أصل أصول الدين وهو توحيد الذات والصفات والأفعال والأسماء، ولربما كانت هناك مقولة تفسر النبوة والإمامة «الشهادة الثانية والشهادة الثالثة» بأنها من أركان

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۸

التوحيد، وأنها أبواب أخرى للتوحيد ومجال له، فهى بالتالى مراتب للتوحيد وأركان له، وهذه المقولة تعتمد فى تبيان ذلك على تقرير أن حاكمية اللَّه فى التشريع توحيد فى التشريع، وهى مؤدى الشهادة الثانية والاعتقاد بالنبوة، وأن حاكميته تعالى فى الطاعة توحيد فى الولاية، وهو مؤدى الشهادة الثالثة والاعتقاد بالإمامة، إلا- أن التوسل يعمق تفسيرا آخر لذلك ويبين أن الاعتقاد بالنبوة والإمامة يقوم توحيد الذات والصفات لا مجرد أنه يقوم التوحيد فى مقام التشريع ومقام الولاية والطاعة، بل إن إقامة معرفة توحيد الذات والصفات لا سبيل له إلا الوسيلة والتوسل بالآيات وأعظم المخلوقات وأكرم فعل اللَّه وخلقه، وذلك لأن التوحيد سبيل الحنيفية المائلة عن التشبيه والتعطيل.

فإن الذات الإلهية الأزلية السرمدية بعد كونها غير متناهية ولا محدودة، لا بحد عقلى ولا بحد روحى ولا بحد نفسانى فضلًا عن الحد الجسمانى والمادى، فعلى ضوء ذلك فلا سبيل للمخلوق إلى إدراك الخالق؛ لأنه بذلك لا يكتنيه أى لا يدرك كنه ذاته، كما إنه لا يجبه لأنه ليس بجسم ليكون فى حيز محدود محاط ومحاصر فيقابل ويجابه، بل ليس فى البين مجابهة على النمط العقلى أو النفسى فضلًا عن المادى، كما لا يجس ولا يحس ولا يمس، كيف وليس هو محاط كالجسم، وليس بمقهور كى تعمل فيه آلات الحس.

فمع كل ذلك فكيف للعقول أن تناله وأنى للقلوب أن تبصره ولا يصار إلى امتناع معرفته؛ لأنه تعطيل وهو بمنزلة الإلحاد والإنكار، فمن أنكر المعرفة من رأس فقد قال بالتعطيل والإنكار، ومن أثبت المعرفة بالحس أو المس أو الجس أو بالجبه أو بالإكتناه فقد صغر الخالق وحدده ونعته بالمقهورية المحاطة، فلا سبيل إلى معرفة ذاته إلا بآياته، وهى أفعاله من عظائم مخلوقاته وكبير بدائعه ودقائق صنعه وتكوينه، فيتجلى لعارفيه بالآيات والأفعال وهى أسماؤه العظمى، إذ قد

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۹

تسمى بها لأنها أصبحت علامات عليه وسمات لصفاته.

فلا سبيل لمعرفته إلا بأسمائه، وهى آيات خلقه الكبرى، وهى أبواب سماء عزه وحجب نوره، وهى الوسيلة إليه.

ومن ثم أمر عز شأنه وجل جلاله بابتغاء الوسيلة، إذ لا- سبيل إلى معرفته إلا- بها، وليس الأمر بابتغاء الوسيلة عبثاً حاشى وكلا، بل لضرورة قصدها وانحصار الطريق إليه تعالى بالتوجه إليها.

وبهذه الوجيزة يتبين أن الوسيلة ضرورة فى صميم إقامة معرفة الذات والصفات فضلًا عن مقامات التوحيد الأخرى، كيف لا ولم تتعرف العقول على ذاته إلا- بمظاهر أفعاله وآياته الكبرى التى هى وجهه الدائم الذى لا يبيد، فإن جل أدلة الحكماء والبراهين التى استرشدوها فى معرفة التوحيد هى براهين إنية تنطلق فى المعرفة من المعلول «المعلوم» إلى العلة «المجهول»، ومن المخلوق إلى الخالق، وإن أسموها برهان الصديقين وأدلة لمية، إلا أن نقوض ونقود بعضهم على بعض شاهدة على كونها معرفة مسيرها من الآية إلى ذى الآية، وقد أعظم القرآن معرفته تعالى بالآيات، فترى الكتاب المجيد يجلجل منادياً بهذا السبيل، وهو سبيل آياته وهو الوسيلة إلى معرفته.

النقطة الثانية: كل ما يرتبط بالنبى وآله عليهم السلام وزانه وزان الأصول ... ص: ۱۹

وعموما إن كل ما يرتبط بالنبى وأهل بيته عليهم السلام من قصدهم وزيارتهم، وإحياء مجالس ذكرهم، والاحتفال بمواليدهم وتعظيم ذكرياتهم، والعزاء على مصائبهم وما شابه ذلك، ليس وزانه الاندراج فى فروع الدين فحسب، بل هو مرتبط بأصول الدين أيضا، ألا ترى إنهم يذكرون فى أدبياتهم التى يسطرونها فى كتبهم أو يتلونها فى محافلهم أن التوحيد فى العبادة يرتبط بأصول الدين، إذ أن العبادة إما توحيدية

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۲۰

أو شركية، وهذه المقولة فى إطارها كشعار صحيحة، إذ الفعل وإن كان فى صورته الظاهرية من فروع الدين لكن لبه وجذوره يرجع إلى أصول الدين، إذ الفروع ليست منقطعة عن الأصول، ومن ثم سميت بذلك لتفرعها عليها وانحدارها وانشعابها وتنزلها من شجرتها، فكل غصن من فروع الدين هو انشعاب من الأصول، ونهايته ترتبط بالأصول التى هى جذوره وخلفية مؤداه.

وبنفس التقرير يقال فى الطقوس التى نرتبط عبرها بالنبى وأهل بيته عليهم السلام، فمن الخطأ أن يقتصر فى قراءتها على أنها فرع من فروع الدين، بل تعظيمها فى الاكتراث بها والتحفظ عليها غاية التحفظ.

ومن ثم ذكر غير واحد من العلماء بما فيهم بعض علماء الشافعية والمذاهب الأخرى فى مؤاخذتهم على هذه الجماعة «جماعة التكفير» إن مؤدى جفائهم ورفضهم لأشكال الارتباط بالنبى وأهل بيته عليهم السلام من الزيارة والتوسل به والتعلق به عبر صور الآداب المختلفة يحمل فى طياته وطويتهم قطيعة لسيد الأنبياء صلى الله عليه و آله وتمردا وتجرءا على ساحته المقدسة.

فالخطب ليس فى هذه المراسم من جهة أنها صورة فى الفروع، بل فيما تحمله فى طياتها من معان، فكما يتحسسون فى العبادة بزعمهم أنها لابد أن تكون توحيدية مرتبطة بأصول الدين، كذلك هم يخاطبون ويحاجون ويدانون بأن تلك الطقوس التى لا يكترثون لها ويستهينون بها ويستصغرونها هى حاملة فى أسرارها وطياتها معان ترتبط بأصول الدين، ومفادها أن سيد الرسل صلى الله عليه و آله هو رسول رب العالمين، وأنه نبى من الأنبياء، فضلا عن أن الأمم مرتبطة بضرورة معية الشهادتين فى كمال التوحيد، وأنه لا يتم ب «لا اله إلا- للَّه»، بل إن أى مسلم من المسلمين لو ادعى أن التوحيد يتم ب «لا اله إلا اللَّه» من دون بقية الشرائط لكفر؛ لأن دعامة التوحيد بالشهادة الثانية.

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۲۱

وما لنا لا- نرى واقع الشهادة الثانية فى أدبيات تلك الجماعة التى تتشدق بحمل راية التوحيد، فهل إن إغفالهم وعدم اكتراثهم بمؤديات الشهادة الثانية وتداعياتها وما تمليه من معان ولوازم وطقوس، هل إغفالهم لكل ذلك وقع غفلة وبشكل عفوى وصدفة غير مقصودة!!

بل إنهم لا- يقتصرون على الإعراض عن ذلك، بل هاهم يحاربون كل ما هو من مظاهر الشهادة الثانية وطقوسها، فأين هى معطيات الشهادة الثانية فى أدبياتهم الكتبية التى تنشر وتوزع على المسلمين فى مواسم أداء العبادة؟

وهل إحياء الدين يتم بإعلان كلمة التوحيد «لا اله إلا اللَّه» من دون أن يضم إليها الشهادة الثانية، فضلا عن أنهم أخفقوا فى الشهادة الثالثة ويقومون بتأليف ونشر جملة من الكتب بعضها يحمل اسم: «حقوق النبى بين الإجلال والضلال» وكل ما فى هذا الكتاب إزراء بالنبى صلى الله عليه و آله بالتشبه بالتأويلات المتشابهة من الآيات القرآنية مع التنكر للآيات الأخرى والتعامى عنها.

فها نحن نرى سياسة قريش التى حاربت النبى صلى الله عليه و آله منذ القدم مستمرة إلى يومنا هذا، تلك السياسة العدائية السابقة مع خاتم الأنبياء صلى الله عليه و آله التى أرادوا بها أن يخمدوا ويميتوا ركنية النبوة فى التوحيد.

وهاهى السياسة الأموية التى تحاول تشطيب وتهميش دور العترة الطاهرة، والتطاول عليها لغاية النيل من نفس النبى صلى الله عليه و آله وبالتالى الرجوع بالمسلمين إلى المسار الجاهلى السابق.

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۲۳

الفصل الأول وجوه الاستدلال على مسألة التوسل ... ص: ۲۳

اشارة

إن الاقتراب من القريب إلى اللَّه اقتراب إلى اللَّه، والدنو ممن هو قاب إن الاقتراب من القريب إلى اللَّه اقتراب إلى اللَّه، والدنو ممن هو قاب قوسين أو أدنى من البارى تعالى هو دنو من اللَّه تعالى..

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۲۵

وجوه الاستدلال على مسألة التوسل ... ص: ۲۵

قد أكثر أتباع بعض المذاهب الإسلامية فى تكفير المسلمين نتيجة استغاثتهم بالرسول صلى الله عليه و آله وندائهم له ب «يا رسول اللَّه» أو «يا أبا القاسم» أو «يا حبيب اللَّه»، أو الاستغاثة بعترته المطهرة بنداء «يا على» أو «يا فاطمة يا بنت رسول اللَّه»، فيرمون غيرهم بالشرك وهم قد وقعوا فيه، وينادون بالتوحيد وهم قد ابتعدوا عنه، إذ لو صدق هذا الشعار الذى يرفعونه واستصوب لكان إبليس رائد التوحيد والملائكة أشرك المشركين، حيث قد رفض التوجه بآدم فى عبادته بربه، بينما توجهت ملائكة الرب كلهم أجمعون فى عبادتهم بخليفة اللَّه فى أرضه وجعلوه واسطة بينهم وبين ربهم، وليس وراء هذه الإثارات إلا إنكار حجية هؤلاء الحجج الإلهيين، والإبعاد عن الارتباط بهم، وقطع الصلة الروحية بالنبى وأهل بيته عليهم السلام.

هذا مع أن الذى يتوجه ويستغيث بالنبى وعترته عليهم السلام إنما يتوجه إليهم ويستغيث بهم بصفة أنهم مقربون عند اللَّه عز وجل، ولهم مقام الشفاعة الكبرى والمقام المحمود، واعتقاد المسلمين أنه صلى الله عليه و آله صاحب الوسيلة والدرجة الرفيعة، فهل ترى أحدا من المسلمين يتوجه إلى الرسول صلى الله عليه و آله وعترته؟ ويتوسل بهم ويستغيث بهم إلا لقربهم من الحضرة الإلهية ولكونهم أبواب سماء الرحمة؟

فالمسلم يجد نفسه بالتوجه إلى النبى وعترته؟ هو متوجه إلى الحضرة الإلهية، وأنه حين يستغيث بهم فقد استغاث والتجأ إليها، وهذا أمر مفطور عليه البشر، ألا ترى أن الذى يلتجئ إلى وزير السلطان يقال إنه قد التجأ إلى ذلك السلطان؟

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۲۶

فالمتوجه إلى النبى صلى الله عليه و آله إنما يتوجه إليه بتلك الصفة، وهذا معنى بين واضح ومركوز فى ذهن واعتقاد كل مسلم.

فإن الاقتراب من القريب إلى اللَّه اقتراب إلى اللَّه، والدنو ممن هو قاب قوسين أو أدنى من البارى تعالى هو دنو من اللَّه تعالى، كما أن الوصال والاتصال بحبيب اللَّه تحبب إلى اللَّه تعالى، كيف لا وقد وصف البارى نبيه؟ بالرحمة للعالمين؟! وأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم، فهل التوجه إلى رحمة اللَّه إلا رحمة؟ وهل الصد والبعد عن رحمة اللَّه إلا نقمة وشقاء؟ وهل التعلق بالعترة إلا ركوب فى سفن النجاة؟ إذ هو المغزى من وصفه؟ عترته بسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى، فهو حث منه من الاقتراب من العترة والانشداد إليهم.

فإن الانجذاب إليهم انصهار فى هديهم وتطبع لأخلاقهم وتأثر بأنوارهم ينجر إلى إتباع صراطهم ومنهاجهم، وأما الابتعاد عنهم والنفرة من ذكرهم، والاستيحاش من أسمائهم، والاشمئزاز من الحديث عنهم، ولوى الأعناق عن الاهتمام بشأنهم، لا يورث إلا البعد عنهم، والمتاركة لنهجهم والتخلف عن ركبهم، ونبذ كلامهم وهديهم. وهذا سر تركيز القرآن الكريم على مودتهم، فإنها وإن كانت فعلا عاطفيا وانجذابا نفسانيا وميلانا روحيا وانسيابا قلبيا، إلا أنها مفتاح المتابعة لهم والاقتداء بهم وتولية الوجه شطرهم، إذ كيف يقتدى

الإنسان بشخص وهو يبغضه؟ وكيف يقتدى به وعلاقته به جافة بجلافة؟ وكيف ينتهج هديه وهو غض فض معه، ينفر من ذكره واللهج باسمه؟ فأمر اللَّه فى القرآن بمودتهم ينطوى على سر عظيم فى الاهتداء بهديهم والانتهاج بصراطهم والتقيد بوصاياهم، وهل انشداد المسلمين إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وعترته إلا لكونه رسولا من رب العالمين، وإلا لكونه داعيا إلى اللَّه بإذنه وسراجا منيرا.

واعلم أن هاهنا قاعدة شريفة هامة عظيمة الأثر فى باب العبادات وآداب

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۲۷

التقرب إلى الحضرة الإلهية ألا وهى:

«التوجه إليه تعالى بوجهه الكريم» أى «استقبال وجه اللَّه عند التوجه إليه» أى «التوجه إليه تعالى بالوجه بالوجيه عنده».

ويوضح هذه القاعدة الشريفة ويدلل عليها عبر أمور نسوقها فيما يلى من الوجوه.

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۲۹

الوجه الأول: التوجه بالوسائل ضرورة عقلية ... ص: ۲۹

اشارة

إذا بطل التعطيل والتشبيه فلا يبقى إمكان لمعرفته وإخراج العلاقة معه عن الحدين الباطلين إلا بتوسط آياته الخلقية وأثاره ودلائله، وهو الوجه الذى بقصده وبتوسطه يحصل التوجه إليه تعالى.

اقتضاء التوجه والاستقبال والاتجاه القصد إلى وجه الشى الذى يراد الدنو منه، وليس المراد من هذه المعانى ما يتبادر إلى الذهن فى الوهلة الأولى من الاستقبال الجغرافى الجسمانى كما هو الحال فى استقبال المسجد الحرام حال الصلاة، بل الاستقبال المعنوى لما يتجه به ولما يكون الاتجاه إليه توجه إلى البارى تعالى، وحيث إن ما يتجه به إلى اللَّه يطلق عليه وجه اللَّه، أى إلى جهة يتجه بها إلى اللَّه لا ما يتبادر عند المجسمة والمشبهة «وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً».

إذ الوجه والجهة هما من مادة واحدة فى أصل الاشتقاق، فأطلق على الوجه وجه؛ لأنه الجهة التى يتوجه بها ويواجه بها، وليس وجه اللَّه كما يزعمه المشبهة المجسمة أنه جزء الذات الإلهية، إذ ليست الذات الإلهية تفتقر إلى أجزاء، ولا هى محدودة بأبعاد وأعضاء، تعالى اللَّه عما يقوله الضالون علوا كبيرا، بل وجه اللَّه هو فعله وآياته التى لا تفنى ولا تبيد.

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۳۰

ومن هنا أطلق فى القرآن وجه اللَّه على آيات اللَّه المخلوقة؛ لأنها علامات تتجه بالناظر إليها والمتدبر فيها إلى اللَّه تعالى، كما فى قوله تعالى: «وَلِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» «۱»

.فأطلق وجه اللَّه على الآيات فى المشرق والمغرب كما أطلق الوجيه على النبى عيسى والنبى موسى عليه السلام حيث قال تعالى: «اذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى الدُّنْيَا وَالآخرة وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ» «۲»

.وقال اللَّه تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا» «۳».

فأطلق على كل منهما وجيها نظرا لقربهما وجلالة شأنهما عند اللَّه تعالى، فيقال لهما وجه عند اللَّه، أى مما يتجه إليهما فى نجح الحوائج عند اللَّه.

قال الخليل: «والوجه مستقبل كل شىء، والجهة النحو، والوجهة القبلة وشبهها فى كل شىء استقبلته وأخذت فيه» «۴»

. انتهى

وقال ابن منظور: «ووجه كل شيء مستقبله» «۵»

انتهى

فيقال لشخص وجاهة عند آخر ووجيه عنده بمعنى أنه يقصد ويتوجه إليه ويستقبل به لنجح المسئول عند الآخر.

ومن ذلك يطلق على باب البيت أنه وجه البيت، ومن ثم قال تعالى: «وَأْتُواْ

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۳۱

الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا» «۱»

.فعلم من ذلك: إن القصد إلى اللَّه تعالى لا بد فيه إن يستقبل وجه اللَّه، أى ما يكون وجيها عند اللَّه يتجه به إليه، وأن المستقبل له يتجه به إلى اللَّه.

فالقصد والاتجاه والسلوك والوصول والتقرب والتوجه يتضمن فيه وينطوى معنى الاستقبال إلى الوجه وهو ما يتوجه به، ولأجل ذلك فرض فى الصلاة كعبادة استقبال المسجد الحرام كقبلة يتوجه إليها لتتوجه بها إلى اللَّه، كالباب الذى يؤتى منه البيت.

فإذا كانت الكعبة- شرفها اللَّه قدرا وعظمها- صلحت أن تكون قبلة يتوجه بها إلى اللَّه فكيف لا يكون من تشرفت به الكعبة وهو سيد الأنبياء وسيد الأوصياء صلى الله عليه و آله قبلة يتوجه بها إلى اللَّه تعالى؟

وقد قال اللَّه تعالى فى موسى الذى مر وصفه بالوجيه عند اللَّه: «وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ» «۲».

فكانت بيوت موسى وهارون قبلة لبنى إسرائيل، بمعنى أنها قبلة يتعبد فيها ويتجه بها للعبادة.

قصد الشى توجه لوجهه ... ص: ۳۱

ثم إن هناك ضرورة فى مقام التوجه إلى اللَّه تعالى وهى أن يتوجه بشى ويستقبله كى يتوجه به إلى اللَّه تعالى، سواء كانت تلك القبلة جسمانية مادية أو

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۳۲

معنوية مجردة، وهذه الضرورة تنبع بسبب تنزه البارى عن الجسمية وتنزهه عن إحاطة الأذهان والأرواح البشرية بذاته الشريفة، وحيث امتنع ذلك على البارى للزوم النقص إلا أنه لا ينسد الباب لمعرفته وقصده والتوجه إليه، وإلا لزم التعطيل، وإنما امتنع الجسمية عليه والإحاطة بذاته للزوم النقص عليه وهو بطلان التشبيه.

فإذا بطل التعطيل والتشبيه فلا يبقى إمكان لمعرفته وإخراج العلاقة معه عن الحدين الباطلين إلا بتوسط آياته الخلقية وآثاره ودلائله، وهو الوجه الذى بقصده وبتوسطه يحصل التوجه إليه تعالى.

فإقامة المعرفة بتوحيده بعد إبطال التشبيه والتعطيل إلى مقام التنزه والإثبات بآياته وكلماته وهى أسماؤه التى بها يدعى.

وتقريب ذلك ببيان أوضح وأعمق: إن ذات البارى لا محدودة، وكل من صوَّر لها صورة فى عقله أو حسه أو خياله أو وهمه، فالبارى منزه عنها؛ لأن هذه الصورة تبقى محدودة، وهو أجلَ من أن يحد وتنتهى ذاته إلى حد معين، وإلا لعاد ناقصا ومفتقرا إلى ما وراء ذلك الحد سواء كان ذلك الحد جسمانيا أو معنويا مجردا، وحيث إن ذاته لا محدودة فلا يمكن للمخلوق سواء كان جسما أو روحا أو نورا أن يمس أو يحس أو يجس أو يتعلق بذاته أو يكتنهها، فإذا امتنع مثل ذلك الاتصال والارتباط فلا إمكان له إلا عبر المخلوق الذى هو من آياته وآثاره، لكن لا بذلك المخلوق من حيث هو هو، بل من الجهة التى تلى فعل الرب، أى من حيث إنه فعل وأثر للبارى وله دلالة عليه، فلم يكن هناك إمكان لدلالته على ذاته إلا بآياته وهى مخلوقة له، فمن ثم تحتم أن يكون وجه اللَّه هو آياته وآثاره التى تدل عليه وتهدى القاصد إليها التوجه إليه، فهذا يبين ضرورة الأسماء التى هى الآيات المخلوقة، وإنما استحقت أن تكون

أسماء إلهية لآيتيتها أى علاميتها على البارى تعالى، ولا يمكن الاهتداء للذات الإلهية إلا عبر الأسماء، والسمة هى العلامة وهو معنى الآية،

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۳۳

ومن ثم فإن الذى ينكر ويجحد الآيات ويستكبر عليها فقد صدَّ عن التوجه إلى اللَّه تعالى وانصرف عن السبيل على اللَّه، وإلى ذلك يشير قوله تعالى: «انَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِى سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِى الْمُجْرِمِينَ» «۱».

فجعل البارى تعالى آياته أبواب السماء المنتهية إلى عرشه وبالتالى إلى حضرته القدسية.

فالباب إلى السماء هو الوجه الذى يتجه إليه للصعود إلى اللَّه على مستوى العمل والعبادة والدعاء والاعتقاد، فكيف يتجه ويتوجه إليه تعالى بغير آياته؟

وكيف يمكن أن يكون وجهه غير آياته؟ وكيف يدعى بغيرها إذ هى الأسماء والعلامات عليه؟ وقد أشار اللَّه تعالى فى قوله: «وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا» «۲»

إلى هذه الحقيقة والضرورة، فكما لا يمكن أن يدعى بغير أسمائه، إذ كيف يهتدى إليه بغير اسمه؟ إذ أن المجهول المطلق لا سبيل إليه ولازمه التعطيل، وبأسمائه عرف وقصد وتوجه إليه، وكيف يكون الاسم غير الآيات؟ إذ مر أن الذات لا يحاط بها ولا تكتنه ولا يتعلق بها مباشرة، فلم يبق إلا آثاره ودلائل فعله وهى آياته.

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۳۵

الوجه الثانى: النبى وآله أبواب الحضرة الإلهية ... ص: ۳۵

اشارة

فلا ينفع الإقرار بالشهادة الأولى من دون الشهادة الثانية، ولا بالشهادتين من دون الإقرار بالشهادة الثالثة، وهى إمامة أمير المؤمنين والأئمة المعصومين عليهم السلام.

قال تعالى: «انَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِى سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِى الْمُجْرِمِينَ» «۱»

.ومفاد هذه الآية الشريفة أن الوفود على اللَّه والتوجه إليه لا يكون إلا من أبوابه، وأن الطريق إليه تعالى لا يكون إلا منها، وأن تلك الأبواب هى آياته الخلقية وأعظمها أنبياؤه ورسله كما قال اللَّه تعالى: «وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ» «۲».

كيف لا وقد زود الأنبياء والرسل والأئمة بالآيات التى هى المعجزات للدلالة على مقاماتهم الاصطفائية، وكونهم سفراء ووسطاء بين اللَّه وخلقه.

مضافا إلى أن إسناد التكذيب للآية فى مقابل التصديق بها يدل على أن المراد

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۳۶

من الآية هى الحجج المصطفون؛ لأنهم هم الذين يصدق بهم ويتعلق الإيمان بحجتهم ومقاماتهم فى مقابل تكذيبهم، بخلاف الآيات التكوينية فإنها لا يتعلق بها التصديق والتكذيب بذاتها، بل الإعراض أو النظر إليها وإلى دلالتها.

فالمراد بالآيات فى هذه الآية الذين يتعلق بهم التصديق أو التكذيب وهم الحجج الإلهية.

شرطية الإيمان بالآيات فى صعود الأعمال ... ص: ۳۶

وتدل الآية السابقة على أن أى عمل للإنسان وأى عبادة، ولو كان الفعل من قبيل الإيمان والعقيدة، لا تصعد ولا تفتح لها أبواب السماء للقبول إلا بالخضوع والإيمان بآيات اللَّه، وهو شرط دخول الجنة.

فيستفاد منها أن التوجه والتوسل بالحجج شرط فى صحة الإيمان فضلا عن كونه شرطا فى العبادات وبقية الأعمال، وأن الاقتصار على الإيمان باللَّه ورسوله والأئمة من دون التوجه والتشفع بهم إلى اللَّه لا- يكون مقبولا- ولا تفتح له أبواب السماء، بل لا بد من اقترانه بالتوجه أو التوسل أو التشفع بهم إلى اللَّه تعالى.

ويدل على اشتراط هذا الشرط فى صحة الإيمان وقبوله ما وقع وصدر من إبليس الغوى من إباء وجحود خلافة آدم، واستكباره عن الخضوع والسجود له، فجعل سبب كفره كل من الإباء والاستكبار أى الجحود وعدم التوجه بآدم، فلم يقتصر على الجحود، بل ظاهر الآيات فى سور عديدة أن كلا من عدم الإيمان بخلافة آدم وعدم التوجه به كلا منهما سبب مستقل موجب لغواية إبليس وطرده عن باب الرحمة الإلهية.

وهذا يؤكد أن الإيمان لا بد أن يكون مقرونا بالتوجه بحجج اللَّه إلى اللَّه تعالى، والتوسل بهم واللواذ بهم وإلا لما صح الإيمان.

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۳۷

ومن الأدلة على هذه الشرطية ما سيأتى فى قوله تعالى: «وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِى قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ» «۱»

من تقرير أنه لم يكتف بإيمانهم بسيد الأنبياء صلى الله عليه و آله، بل أخذ عليهم الانقياد له لأجل إعطائهم مقاما عقائديا يحلونه فى العقيدة وهو مقام من النبوة والرسالة والتى هى بنفسها من أصول الاعتقاد.

فإذا كان الانقياد لسيد الأنبياء يورث أصلا اعتقاديا فهو مما يشير إلى خطورة موقعيته وضرورة ضميمته للإيمان.

ومن الأدلة ما سيأتى أيضا فى الوجه السادس من قول اللَّه تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِى سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» «۲»

حيث تدل الآية على أن الوصول إلى اللَّه معرفة وسيرا ووفودا لا- يتم إلا- عبر التوسل بالوسيلة والتوجه بها إليه، وبالتالى عدم تحقق الإيمان إلا بذلك وهو المراد من صحة الإيمان.

وعلى ضوء ذلك يتبين أنه كما حرر أن الإيمان ليس مجرد إدراك، بل تصديق وإذعان وجزم، كذلك يضاف هنا أنه ليس مجرد تصديق وإذعان وإخبات، بل تول عملى بالتوجه والانشداد لهم واللواذ بهم.

فلا- ينفع الإقرار بالشهادة الأولى من دون الشهادة الثانية، ولا بالشهادتين من دون الإقرار بالشهادة الثالثة، وهى إمامة أمير المؤمنين والأئمة المعصومين عليهم السلام، حيث وصفهم القرآن الكريم بالطهارة وهو معنى الاصطفاء الإلهى، كما نعت المطهرين بعلم الكتاب، ومقتضاه حجيتهم إلى غير ذلك من أوسمة القرآن لهم الدالة

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۳۸

على اصطفائهم وحجيتهم.

مضافا إلى أن التعبير فى الآية فى المقام هو بالجمع «بآيات اللَّه» خطابا لهذه الأمة بالسنة الإلهية الدائمة، فلا ينحصر المراد بسيد المرسلين صلى الله عليه و آله، بل يعم أهل بيته الأطيبين عليهم السلام..

وإن الذى يريد أن يتوجه إلى الحضرة الإلهية من دون أن يخضع ويتولى النبى صلى الله عليه و آله والأوصياء عليهم السلام لا تفتح أبوابها حتى يلج الجمل فى سم الخياط.

ولأجل استكبار إبليس عن الخضوع لآدم عليه السلام كما فى قوله تعالى: «وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ» «۱»

عن آية الرحمن فلم يقبل إيمانه، ولم تزك عبادته، وردت عليه؛ لأنه لم يقصد الحضرة الإلهية ولم يتوجه إليها بآدم عليه السلام.

فعلم من هذه الآية أن آيات اللَّه هى الأبواب التى من استكبر عنها وصد فقد صد عن التوجه إلى اللَّه تعالى.

فإذا كان البارى قد جعل آياته وأولياءه المصطفين أبوابه، فكيف يؤمل من يستكبر عن التوجه بهم إلى اللَّه أن يحصل له القرب الإلهى والوصول إلى الزلفى والحضرة الإلهية!! فمفاد الآية الكريمة ضرورة التوجه إليه تعالى بأوليائه المقربين من الأنبياء والمرسلين والأوصياء المطهرين عليهم السلام علاوة على التصديق والإيمان بهم، فهو شرط فى الإيمان فضلا عن سائر العبادات والأعمال.

وفى الكتاب المعروف لأمير المؤمنين عليه السلام الذى كتبه إلى أكابر أصحابه، والذى قد رواه الكلينى بسنده فى كتاب الرسائل، ورواه السيد الرضى عنه أنه قال: «قيل فمن الولى يا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقال: وليكم فى هذا الزمان أنا ومن بعدى وصيى ومن بعد

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۳۹

وصيى لكل زمان حجج اللَّه كيما لا تقولون كما قال الضُّلال من قبلكم فارقهم نبيهم «وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَى» «۱»

وإنما كان تمام ضلالهم جهالتهم بالآيات وفهم الأوصياء فأجابهم اللَّه:

«قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى» «۲»

وإنما كان تربصهم أن قالوا نحن فى وسعة عن معرفة الأوصياء حتى يعلن الإمام علمه، فالأوصياء قوام عليكم» «۳».

واستشهاده صلى الله عليه و آله بالآية فى غاية الظهور، حيث إن أهل الضلال يوم القيامة يتعذرون لعدم إتباع الآيات بعدم وجود الرسول، ولا يقبل عذرهم هذا؛ لأن اللازم عليهم الفحص والمعرفة بالآيات لكى يتبعوها، فالحجة قائمة عليهم.

وجه آخر فى شرطية التوجه بهم إلى اللَّه فى صحة العبادات ... ص: ۳۹

ومن الوجوه التى يمكن تقريرها بحسب صناعة الاستدلال على ذلك ما هو مقرر فى مباحث أصول الفقه ومباحث علم الفقه، من أن قوام المغايرة بين العمل التعبدى والعمل التوصلى هو بالنية والقربة، وأن من مقومات النية قصد امتثال الأمر قربة إلى اللَّه تعالى، فنية القربة والزلفى قصدها كغاية مسبب عن قصد آخر بمثابة السبب وهو قصد الأمر، بل فى الحقيقة امتثال الأمر الإلهى، وهذا القالب لنية القربة ولنية سببها مقرر فى جميع العبادات من الصلاة والحج والصوم والزكاة وغيرها، وقوام عبادية العبادة بذلك حيث إن قصد امتثال الأمر المحقق للقربة والزلفى إلى الحضرة الإلهية هو فى الحقيقة طوعانية وطاعة للَّه‌تعالى، فقوام العبادية بالطاعة،

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۴۰

والعبودية والطاعة من باب واحد، كما أن المعبودية والربوبية والمطاع بالذات من باب واحد، وحيث إن جميع شرائط العبادات هى لا تقتصر على فرائض اللَّه بل تشتمل على سنن النبى صلى الله عليه و آله بضرورة الدين عند المسلمين ويكون إتيانها فى العبادات امتثالا لأمر الرسول صلى الله عليه و آله طاعة له بتبع طاعة اللَّه التى هى طاعة ذاتية لتحقيق العبادة للَّه‌تعالى، كان قصد القربة الذى يحقق النية العبادية هو مسبب عن قصد امتثال أمر اللَّه تعالى وأمر الرسول صلى الله عليه و آله، وكذلك الحال فى سنن أوصياء النبى صلى الله عليه و آله فإن جملة من شروط العبادات وبعض موانعها قد سنها الأوصياء من عترة النبى صلى الله عليه و آله وعلى كلا التقديرين فإن إتيانها فى العبادات هو امتثال لأمرهم عليهم السلام، وبالتالى فتكون نية القربة للَّه‌تعالى فى العبادات مسببه عن نية امتثال أوامر اللَّه تعالى وهى فرائضه وأوامر النبى صلى الله عليه و آله، وهى سننه وأوامر الأوصياء وهى هديهم ومنهاجهم وطريقتهم.

وهذا التقرير لبيان عبادية العبادة من مباحث التعبدى والتوصلى فى علم الفقه وأصول الفقه لم يبلور فى الكلمات، ولكن القالب الصناعى لتقرير النية فى التعبدى هو ذلك، وهذا مطابق لعموم قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِى الأَمْرِ مِنكُمْ» «۱».

فجعل مقرونا بطاعته طاعة الرسول صلى الله عليه و آله وأولى الأمر، مع أن الطاعة هى العبودية، والعبودية خاصة لأُلوهيته تعالى، إلا أن طاعة الرسول صلى الله عليه و آله وأوصيائه عليهم السلام بيان لباب طاعة اللّه، وبالتالى لعبادته.

كيف لا وهذه الطاعة للّهفى الآية عامة وشاملة لعموم أبواب الدين لا يشذ عنها فصل من فصوله، كذلك طاعة الرسول صلى الله عليه و آله وأولى الأمر؟، وبالتالى فهم أولياء دين اللّه، هذا فضلا عن عشرات الموارد التى قرن اللّه بطاعته طاعة رسوله فى السور

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۴۱

القرآنية.

وقد يصعب على البعض تصور هذا المطلب فضلا عن التصديق والإذعان به، أو قد يستغربه البعض الآخر، فلنعد تقريره وبيانه بعبارة أخرى، فإن جملة ما تقدم من الأدلة والآيات دال على شرطية التوسل واللواذ بهم والتشفع بهم إلى اللّه فى العبادات، وما مر من صيغة قصد امتثال الأمر ما هو إلا صيغة صناعية كقالب لذلك.

ولك أن تقول: إن الصلاة التى يأتى بها المؤمن صلاة على وفق منهاج ومذهب جعفر بن محمد عليهما السلام، أى أن الصلاة وغيرها من العبادات إنما يؤتى بها بالصورة المأمور بها من قبل الأئمة عليهم السلام المرتبطة بالصورة التى أمر بها اللّه ونبيه صلى الله عليه و آله، ومن ثم تمثيل أوامر الأوصياء كامتثال أوامر النبى صلى الله عليه و آله فى ضمن العبادة التى يؤتى بها امتثالا لأمر اللّه.

فالعبادة هى للّهوحده لا- شريك له، إلا- أن الباب والمفتاح لإتيان تلك العبادة الخالصة له تعالى لا يتحقق إلا بامتثال أوامر الرسول وأوصيائه عليهم السلام.

ومن ثم يتبين أن العابد فى أثناء أداء العبادة إذا أراد الزلفى والقرب إلى اللّه تعالى، لا بد له من أن يتوسل إلى ذلك بالتوجه بالنبى وأهل بيته عليهم السلام إلى اللّه، وذلك عبر امتثال أمرهم فى ذات العبادة الخالصة لرب العالمين، فامتثال أمرهم نافذ ومتخلل وناخر فى الفعل العبادى الذى يأتى به العابد فى عبادته.

ولا- يتوهم أن هذا تقريب نظرى تنظيرى لا صلة له بالواقع العملى فى العبادة، فإن الداعى الارتكازى المحرك فى العبادات مفروض فى البين، وهو المحرك نحو خصوص الصورة الخاصة من العبادة التى هى على طبق أوامرهم؟.

فمحركية أوامرهم فى العبادة والانقياد لها فى الداعى المرتكز فى نية العابد فى عبادته مقرر ومفروض، فليست أوامرهم طريقا محضا لا يلحظ فيه معنى الطاعة والولاية، كيف وقد أكدت الآيات عنوان الطاعة لهم مقرونة بطاعة اللّه تعالى.

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۴۲

شرطية التولى والتبرى فى أصل الإيمان ... ص: ۴۲

إن التولى والتبرى يعد فى كلمات علماء الإمامية من أركان الفروع، وقد بينوا الفرق بينهما وبين الإيمان بولاية أهل البيت عليهم السلام التى هى من أصول الإيمان.

إن ولايتهم تارة على صعيد المعرفة والإذعان والإخبات والتسليم القلبى فهى من أصول الديانة الإيمانية، وتارة بمعنى التولى السياسى والانقياد والمتابعة فى التشريع والارتباط السلوكى بهم فى كافة الميادين فجعل من الفروع غاية الأمر من أركان الفروع، إلا أن الأدلة التى استعرضناها فى التوسل والذى يتطابق فى عمومه مع عنوان التولى؛ لأن جعلهم وسيلة يشمل عدة ميادين وأصعدة، من جعلهم وسيلة فى معرفة الأحكام، وجعلهم وسيلة فى الأخذ بأى منهج ومنهاج سياسى واجتماعى، وقد اتضح من الأدلة أنها تفيد شرطيته فى

صحة الإيمان.

فعلى ضوء ذلك يكون وقع التولى والتبرى ودوره خطيرا فى أصل الإيمان وقبوله لا مجرد جعله من أركان الفروع.

وإلى ذلك يشير لفظ الحديث النبوى المروى من طرق العامة والخاصة، وهو قوله صلى الله عليه و آله: «ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» «۱».

فإن مفاد هذا الحديث الشريف إن التولى والولاء السياسى لهم؟ دخيل فى أصل الإيمان فضلا عن معرفتهم التى وردت فى طرق أخرى من ألفاظ الحديث.

والتولى والولاء السياسى هو عبارة عن التوسل بهم عليهم السلام واتخاذهم وسيلة بالتوجه إليهم فى النهج السياسى، كما هو شأن الوسيلة فى التوجه إليها أولًا كى يتم التوجه بها إلى اللّه.

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۴۳

الوجه الثالث: غواية إبليس لاستكباره عن التوجه بآدم ... ص: ۴۳

اشارة

فاستكبار إبليس عن التوجه بآدم فى عبادته اعتبر كفرا بتوحيد اللّه، وانفراطا للركن القويم للتوحيد بذلك الاستكبار والإباء.

الوجه الثالث فى الاستدلال على عقيدة التوسل ما جرى من قصة آدم مع إبليس، وإليك مجموعة الآيات الحاكية عن تلك القصة:

قال اللّه تعالى: «وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ» «۱».

وقال تعالى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا للملائكة اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ* قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ* قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخرج انَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ* قَالَ اخرج مِنْهَا مَذْؤُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأن جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ» «۲»

.الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۴۴

وقال تعالى: «وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى* فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى» «۱».

وقال تعالى: «اذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ» «۲».

فبينت الآيات أن سنة اللّه تعالى لملائكته فى التوجه إليه هو أن يتوجهوا إليه فى عبادتهم بصفوة أوليائه، فتوجهوا إليه فى قمة عبادتهم وهى السجود باستقبالهم آدم خليفة اللّه فى أرضه وإمامه على عباده، فكانت سنة إبليس الاستكبار عن التوجه فى العبادة بخليفة اللّه آدم، بينما سنة اللّه الخالدة لملائكته هى أن التوحيد فى العبادة قوامه بالخضوع للّهعبر التوجه إليه بخليفته، فالاستكبار عن هذا الباب تمرد عن الوفود إلى الحضرة الإلهية.

فاستكبار إبليس عن التوجه بآدم فى عبادته اعتبر كفرا بتوحيد اللّه وانفراطا للركن القويم للتوحيد بذلك الاستكبار والإباء «۳».

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۴۵

لا مسرح للاشتباه فى التطبيق العقائدى ... ص: ۴۵

قال البعض: إن الخطأ الصغروى فى العقائد لا يخل بالإيمان والهداية، وإنما هو اشتباه فى التطبيق نظير الخطأ فى بعض العوارض مع إصابة الجوهر، لكن الصحيح ومقتضى التحقيق خطأ هذه المقولة، فإن الخطأ الصغروى فى العقائد لا يختلف عن الخطأ الكبروى إلا

فى شدة الجحود والجهل، وإلا لكان مطلق الخطأ فى العقيدة والاعتقادات من قبيل الاشتباه فى التطبيق؛ لأنه ما من نِحلة وملة إلا ويزعم أصحابها فى أساس وخلفية معتقدها تبنى أصلا صحيحا فى نفسه، إلا أنهم يطبقوه على مدعى باطل ويستدلون به على نتيجة خاطئة، وهذا كما ترى.

هذا مع أنه قد شدد القرآن الكريم النكير على التكذيب بالآيات والظلم بها، مع أن دورها وشأنها دور الآيات، أى فى مقام ظهور الحق فى المقامات المختلفة، واعتبر إنكار تلك الآيات غيا وضلالا وكفرا، ومن ثم كان جحود ما هو الحق فى أى مسألة اعتقادية هو جحود لظهور الحق فى ذلك المقام، إلا أن كل مقام بحسبه وموقعيته من الخطورة والأهمية كمقام لظهور الحق.

وقد نبهنا غير مرة أن أصول الدين هى أبواب أخرى للتوحيد من توحيد الذات وتوحيد الصفات والتوحيد فى التشريع وهو النبوة والتوحيد فى الولاية وهو الإمامة والتوحيد فى الغاية وهو المعاد، غاية الأمر أن الشأن فى تفاصيل الاعتقادات يختلف عن الشأن فى أصول الدين، لكون ظهور الحق أجلى فى الآيات الكبرى ودونه فى الآيات الصغرى. وبذلك يظهر أن جحود شىء من أصول الدين هو جحود لظهور الحق فى المقامات العظمى، وليس خللا مقصورا على الصغرى.

ومن ثم كان خطأ إبليس فى إنكاره لخيرية آدم عليه، وزعمية خيريته على آدم- مع إقراره بالذات الربوبية حيث نادى البارى: «قَالَ فانظِرْنِى إِلَى يَوْمِ

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۴۶

يُبْعَثُونَ» «۱»

. ومع إقراره بالمعاد وإقراره بنبوة آدم فى قوله تعالى: «قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـذَا الَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخرتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا» «۲»

. إلا- أنه جحد ولاية آدم- لم يكن ذلك الخطأ شأنه حكم مجرد الاشتباه فى التطبيق، بل كان ذلك منه جحودا لأصل من أصول الدين وهو ولاية ولى اللَّه، وبالتالى جحودا للتوحيد فى مقام الولاية.

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۴۷

الوجه الرابع: لا نفى للتعطيل والتشبيه إلا بالتوسل وهو التوحيد ... ص: ۴۷

إن أكثر الذين نفوا الوسائط وقعوا فى شراك التجسيم أو الصور المحسوسة أو المتخيلة أو الموهومة لذات البارى، وهذا من القول بالنقص وانتهاء أمد الذات الإلهية.

إن نفى الوسائط التى يتوجه بها إلى البارى تعالى كآيات وأسماء له يستلزم إما التعطيل وإما التجسيم والتحديد ونحوهما وهو التشبيه الباطل، وإن أكثر الذين نفوا الوسائط وقعوا فى شراك التجسيم أو الصور المحسوسة أو المتخيلة أو الموهومة لذات البارى، وهذا من القول بالنقص وانتهاء أمد الذات الإلهية، وهو أشد شركا وأوغل فى الكفر من عبدة الأوثان، إذ الوثنيون والمشركون ينزهون الذات الإلهية عن الجسمية، وينزهونها عن أن تكون من الأرواح أو النفوس، ويعتقدون أن هناك أرواحا كلية تتعلق بالأصنام وتقوم بدور الوساطة والشفاعة، واتخاذهم للواسطة غير المأذون فيها وبغير سلطان أتاهم من اللَّه هو الذى أوقعهم فى الشرك والكفر، لأنهم يحكمون إرادتهم فى اتخاذ الواسطة فى الشفعاء على إرادة اللَّه تعالى، كما تشير إلى ذلك جملة من الآيات القرآنية، من أن المحذور الذى وقعوا فيه هو أنهم ارتكبوا ذلك بغير سلطان كما فى العديد من الآيات، ومنها:

قوله تعالى: «مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۴۸

بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُواْ إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ»».

وقوله تعالى: «قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فانتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ» «۲».

وقوله تعالى: «وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) «۳».

وقوله تعالى: (قُلْ إنما حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وأن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وأن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» «۴».

وقوله تعالى: «وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ» «۵».

وقوله تعالى أيضا: «انْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأنفس وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى» «۶».

فتبين من مجموع الآيات أن هذه الوسائط التى اتخذوها كأسماء يدعون الرب بها، وكسمة وعلامة وآية ودلالة وواسطة فى التوجه هى أسماء هم سموها لم يسمها اللّه لهم، أى لم يجعلها وسائط وأبواب يتوجه بها إليه.

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۴۹

وغيرها من الآيات الكريمة الدالة، على أن المحذور ليس فى ضرورة الوسيلة والواسطة والاسم والسمة والعلامة والآية التى يتوجه بها إليه تعالى، وإنما المحذور أنهم وسطوا وسائط واتخذوا أبوابا وأسماء هى ليست بأبواب ولا وسائل ولا وسائط ولا أسماء ولا علامات ولا آيات يمكنهم عند التوجه إليها التوجه إلى اللّه تعالى، بل يكون فعلُهم هذا إلحاداً وحياداً وميلاناً وصداً عن سبيل اللّه.

والوثنيون مع ذلك استشعروا وأقروا بهذه الضرورة، وأدركوا أن البارى منزهٌ عن الجسم، وأنه لا تدركه الأبصار ولا تستوعبه الأوهام، فحيث أدركوا ذلك أحسوا بالعجز وبضرورة الواسطة والاسم والآية، إلا أنهم مع ذلك لم يصل بهم الحال إلى التجسيم والإيهام بصورة يختلقها الوهم، بينما هؤلاء الذين نفوا الواسطة والاسم والعلامة والوجه الوجيه الذى يتوجه به وقعوا فى شراك التجسيم والتصوير الوهمى لذات البارى؛ لأنهم حيث لم يتأهلوا للوحى والنبوة فلا محالة اضطروا إلى القول بالتحديد فى الذات الإلهية والجهة المكانية، كى يمكنهم بتخيلهم الوفود على الحضرة الإلهية، وإلا فيلجئهم التنزيه مع نفى السفراء والوسائط الإلهيين والآيات إلى التعطيل.

فهم يفرون من محذور ويقعون فى محذور أكبر مما وقع فيه أهل الوثنية، حيث إن الوثنية نزهوا ذات البارى إلا أنهم جعلوا ما ليس بوسيلة وسيلة، وما ليس بواسطة واسطة، بينما هؤلاء حجموا الذات الإلهية وحددوها إلى أمد مقدارى «۱».

ومن ذلك يتبين أن من ينزه البارى عن التحديد والتجسيم والتصوير وعن

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۵۰

القيود والحدود الخلقية، فلا محالة لأجل أن لا يقع فى التعطيل ويحافظ على التنزيه من دون تشبيه لا مفر له من القول بالآيات الإلهية الكبرى، وأنها وجهه الكريم الذى يتوسل بها إليه، وأنها أسماؤه التى يدعى وينادى ويتوجه بها إليه، وهذا هو الذى تشير إليه الصديقة فاطمة عليها السلام فى مطلع خطبتها بقولها: «واحمدوا اللّه الذى لعظمته ونوره يبتغى من فى السموات والأرض إليه الوسيلة، ونحن وسيلته فى خلقه، ونحن خاصته، ومحل قدسه، ونحن محبته فى غيبه، ونحن ورثة أنبيائه» «۱».

فمن يعظم اللّه لابد أن يبتغى إليه الوسيلة، وإلا اضطر إلى تصغير الرب وتحديده وإنهائه إلى أمد وقدر.

والتعظيم يلجئه ويضطره كى لا يقع فى التعطيل بعد نفيه للتصغير والتشبيه إلى القول بالوسيلة.

ومن هنا نقف على حقيقة المقام المعرفى والأفق العلمى لأهل البيت عليهم السلام مع أنهم كانوا يعيشون فى بيئة جاهلية متخلفة، بل البشرية من الحضارة الهندية والحضارة الرومية والحضارة الفارسية وإن وصلوا إلى تنزيه الرب إلا أن منهم من لم يدرك ضرورة

الوسيلة كاليونانيين، ومنهم من أدرك ضرورة الوسيلة إلا أنه لم يهتد إلى ما هو فى الحقيقة وسيلة، ويميزه عما هو صد وصدود عن سبيل اللَّه والوسيلة إليه.

وإلى ذلك أيضا أشار أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: «فبعظمته ونوره أبصر قلوب المؤمنين، وبعظمته ونوره عاداه الجاهلون، وبعظمته ونوره ابتغى من فى السماوات والأرض من جميع خلائقه إليه الوسيلة بالأعمال المختلفة والأديان المشتبهة» «۲».

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۵۱

ويشير عليه السلام إلى نفس ضرورة الوسيلة والواسطة والآية والعلامة والاسم والسمة اللازمة لعظمته تعالى، وأن من أدرك ذلك من الخلق منهم من أخطأ فى إصابة الوسيلة الحقيقية فدان بأديان مشتبهة ظنا منه أن تلك الوسائط أسماء وآيات ودلالات ووساطات موصلة، وجهل أنها صدود عن السبيل إلى اللَّه تعالى والوسيلة إليه.

ومثله قول أبى الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام كما عن على بن سويد، قال: كتبت إلى أبى الحسن موسى عليهما السلام وهو فى الحبس كتابا أسأله عن حاله وعن مسائل كثيرة، فاحتبس الجواب على أشهر ثم أجابنى بجواب هذه نسخته:

الحمد للَّهالعلى العظيم الذى بعظمته ونوره أبصر قلوب المؤمنين، وبعظمته ونوره عاداه الجاهلون، وبعظمته ونوره ابتغى من فى السماوات ومن فى الأرض إليه الوسيلة، بالأعمال المختلفة والأديان المتضادة، فمصيب ومخطئ، وضال ومهتد، وسميع وأصم، وبصير وأعمى حيران، فالحمد للَّهالذى عرف ووصف دينه محمد صلى الله عليه و آله...

إلى أن قال: فاستمسك بعروة الدين: آل محمد والعروة الوثقى: الوصى بعد الوصى والمسالمة لهم والرضا بما قالوا، ولا تلتمس دين من ليس من شيعتك، ولا تحبنَّ دينهم، فإنهم الخائنون الذين خانوا اللَّه ورسوله وخانوا أماناتهم.

وتدرى ما خانوا أماناتهم؟ ائتمنوا على كتاب اللَّه فحرفوه وبدلوه، ودلوا على ولاة الأمر منهم فانصرفوا عنهم» «۱».

وقال الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام عندما سأله أبو قرة المحدث صاحب

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۵۲

شبرمة: «فمن أقرب إلى اللَّه الملائكة أو أهل الأرض؟ قال أبو الحسن عليه السلام: إن كنت تقول بالشبر والذراع، فإن الأشياء كلها باب واحد هى فعله لا يشتغل ببعضها عن بعض، يدبر أعلى الخلق من حيث يدبر أسفله، ويدبر أوله من حيث يدبر آخره، من غير عناء، ولا كلفة، ولا مؤنة، ولا مشاورة، ولا نصب، وإن كنت تقول من أقرب إليه فى الوسيلة، فأطوعهم له، وأنتم تروون أن أقرب ما يكون العبد إلى اللَّه وهو ساجد، ورويتم أن أربعة أملاك التقوا أحدهم من أعلى الخلق، وأحدهم من أسفل الخلق، وأحدهم من شرق الخلق، وأحدهم من غرب الخلق، فسأل بعضهم بعضا، فكلهم قال: «من عند اللَّه أرسلنى بكذا وكذا» ففى هذا دليل على أن ذلك فى المنزلة دون التشبيه والتمثيل» «۱».

وهذا بيان واف من الإمام الرضا عليه السلام أن من ينف التجسيم عن اللَّه والاقتراب الجسمانى فهو مضطر للقول بالقرب المعنوى، وأن صاحب الوسيلة الذى يستشفع بشفاعته إلى اللَّه تعالى ويتوجه به إلى اللَّه تعالى هو أقرب الخلق إلى اللَّه، وهم محمد صلى الله عليه و آله وأهل بيته الطاهرين الذين ميزهم اللَّه مع نبيه صلى الله عليه و آله بالطهارة دون بقية الخلق.

ومنه يظهر أن التوسل بصاحب الوسيلة والقرب والتوجه به إلى اللَّه هو من صميم التوحيد القائم على التنزيه ونفى التشبيه والتمثيل والتعطيل، وأن الذى ينفى التوسل والاستشفاع بالشفيع والتوجه بالوجيه يقع فى التشبيه والتمثيل أو التعطيل.

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۵۳

الوجه الخامس آيات الأسماء ... ص: ۵۳

اشارة

إن الأسماء الإلهية هى الآيات الدالة عليه تعالى وعلى صفاته العليا، فالمخلوقات العظيمة من جهة دلالتها على عظمة البارى وعظمة صفاته هى آيات وعلامات، وبالتالى هى أسماء إلهية.

قال تعالى: «وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِى بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ» «۱».

قال تعالى: «قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِى فِى أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فانتَظِرُواْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ» «۲».

قال تعالى: «وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِى أسمائه سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ» «۳».

قال تعالى: «مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُواْ إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

لَا يَعْلَمُونَ» «۱».

قال تعالى: «قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أو ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا» «۲».

قال تعالى: «اللَّهُ لَاإِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى» «۳».

قال تعالى: «انْ هِىَ إِلَّا أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى» «۴».

قال تعالى: «هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» «۵».

قال تعالى: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِى خَرَابِهَا أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَآئِفِينَ لهُمْ فِى الدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى الآخرة عَذَابٌ عَظِيمٌ» «۶».

قال تعالى: «فِى بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ» «۷».

وجاء فى الرواية عن عبد الأعلى عن أبى عبد اللَّه عليه السلام قال: «اسم اللَّه غير اللَّه، وكل شىء وقع عليه اسم شىء فهو مخلوق ما خلا اللَّه، فأما ما عبرته الألسن أو ما عملته الأيدى فهو مخلوق، واللَّه غاية من غاياه، والمغيى غير الغاية، والغاية موصوفة، وكل

موصوف مصنوع، وصانع الأشياء غير موصوف بحد مسمى» «۱».

وخلاصة ما قاله المجلسى:

«بيّن عليه السلام المغايرة بأن اللفظ الذى يعبر به الألسن والخط الذى تعمله الأيدى، فظاهر أنه مخلوق» «۲».

وقوله عليه السلام: «واللَّه غاية من غاياه» المراد أن الغاية تطلق على النهاية وتطلق على الآية والعلامة، فكل من كان له مطلب وعجز عن تحصيله بسعيه يتوسل إليه باسم اللَّه، والمغيى المتوسل إليه لتلك الغاية غير الغاية.

أو يراد بالغاية النهاية وباللَّه الذات لا الاسم، فالرب تعالى غاية آمال الخلق يدعونه عند الشدائد بأسمائه العظام، والأسماء طرق ومسالك توصل الخلق إلى اللَّه فى حوائجهم، والعقل يحكم بأن الوسيلة غير المقصود بالحاجة.

أو أن الغاية العلامة فالبارى هو ذو العلامة، فأسماؤه علامات عليه.

ومن زعم أنه يعرف اللَّه بحجاب الأسماء التى هى حجب بين اللَّه وخلقه، ووسائل بها يتوسلون إليه، بأن زعم أنه تعالى عين تلك الأسماء أو الأنبياء والأئمة عليهم السلام، وبأن زعم أن اللَّه تعالى اتحد بهم أو الصفات الزائدة، فإنه حجب عن الوصول إلى حقيقة الذات الأحدية.

أو زعم أنه ذو صورة كما قالت المشبهة، أو بصورة عقلية زعم أنها كنه ذاته وصفاته تعالى، أو بمثال خيالى، أو جعل له مماثلا ومشابها من خلقه فهو مشرك، للزوم تركبه تعالى وكونه ذو أجزاء تعالى اللَّه عن ذلك.

وجاء فى الرواية الصحيحة الإعلائية عن ابن رئاب وعن غير واحد، عن

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۵۶

أبى عبد اللَّه الصادق عليه السلام قال: «من عبد اللَّه بالتوهم فقد كفر، ومن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك، ومن عبد المعنى بإيقاع الأسماء عليه بصفاته التى وصف بها نفسه، فعقد عليه قلبه ونطق به لسانه فى سرائره وعلانيته، فأولئك أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام حقاً».

وفى حديث آخر: «أولئك هم المؤمنون حقاً» «۱».

وجاء فى الرواية عن إبراهيم بن عمر عن أبى عبد اللَّه عليه السلام قال: «إن اللَّه تبارك وتعالى خلق اسما بالحروف غير منعوت، وباللفظ غير منطق، وبالشخص غير مجسد، وبالتشبيه غير موصوف، وباللون غير مصبوغ، منفى عنه الأقطار، مبعد عنه الحدود، محجوب عنه حس كل متوهم، مستتر غير مستور، فجعله كلمة تامة على أربعة أجزاء معا ليس منها واحد قبل الآخر، فأظهر منها ثلاثة أسماء لفاقة الخلق إليها، وحجب واحدا منها، وهو الاسم المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة التى أظهرت، فالظاهر هو اللَّه تبارك وتعالى، وسخر سبحانه لكل اسم من هذه الأسماء أربعة أركان، فذلك اثنا عشر ركنا، ثم خلق لكل ركن منها ثلاثين اسما فعلا منسوبا إليها فهو الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، الخالق البارئ، المصور، الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، العليم، الخبير، السميع، البصير، الحكيم، العزيز، الجبار، المتكبر، العلى، العظيم، المقتدر، القادر، السلام، المؤمن، المهيمن «البارئ»، المنشئ، البديع، الرفيع، الجليل، الكريم، الرازق، المحيى، المميت، الباعث، الوارث. فهذه الأسماء وما كان من الأسماء الحسنى حتى تتم ثلاث مائة وستين اسما، فهى نسبة لهذه الأسماء الثلاثة وهذه الأسماء الثلاثة أركان، وحجب الاسم الواحد المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة وذلك قوله تعالى: «قل ادعوا اللَّه أو ادعوا الرحمن

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۵۷

أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى» «۱».

قال العلامة المجلسى بالمعنى: والمراد بالاسم كل ما يدل على ذاته وصفاته تعالى أعم من أن يكون اسما أو فعلا أو جملة، فاللَّه إشارة إلى كل الصفات لكونه موضوعا للذات المستجمعة لكل الصفات الكمالية، وتبارك إلى جميع الصفات الفعلية، وسبحان أو تعالى (على اختلاف النسخ كما فى الكافى) دال على الصفات التنزيهية وسلب النقائص، وهذه الأسماء جعلها ليظهر بها على الخلق، فالظاهر هو الاسم والظاهر به هو الرب سبحانه «۲».

وحكى المجلسى عن أبيه المجلسى الأول فى تفسير الرواية ما خلاصته: إن الاسم الأول هو الاسم الجامع الدال على الذات والصفات، ومعرفة الذات بالكنه محجوبة عن غيره تعالى، فصار الاسم الدال على الذات محجوبا عن الخلق وهو الاسم الأعظم، والدال على مجموع الاسم والصفات اسم أعظم باعتبار آخر، ويشبه أن يكون الاسم الجامع هو «اللَّه» والاسم الدال على الذات فقط هو «هو»، وتكون المحجوبية باعتبار عدم التعيين.

وقال المجلسى الثانى: أو أن الاسم كناية عن مخلوقاته تعالى، والاسم الأول الجامع كناية عن أول مخلوقاته، ثم عن تشعب المخلوقات وتعدد العوالم «۳».

وقد قيل فى سبب نزول قوله تعالى: «قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أو ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا» «۴»

. إنه حين سمع المشركون رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: يا اللَّه يا رحمن، فقالوا: إنه

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۵۸

ينهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إله آخر.

وقالت اليهود: إنك لتقل ذكر الرحمن وقد أكثره اللَّه فى التوراة، فنزلت الآية ردا لما توهموه من التعدد أو عدم الإتيان بذكر الرحمن.

وقوله صلى الله عليه و آله: وذلك قوله عز وجل: «قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أو ادْعُواْ الرَّحْمَنَ» استشهاد بأنه له تعالى أسماء حسنى، وأنه إنما خلقها ووضعها ليدعوه الخلق بها، فقال تعالى قل ادعوه تعالى باللَّه أو بالرحمن أو بغيرهما، فالمشار إليه بالأسماء شيء واحد وهو الرب سبحانه.

ومن الروايات فى الوسيلة ما يلى:

ما رواه جابر بن عبد اللَّه الأنصارى فى تفسير قوله تعالى: «كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ» «۱»

. قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «أول ما خلق اللَّه نورى ابتدعه من نوره واشتقه من جلال عظمته، فأقبل يطوف بالقدرة حتى وصل إلى جلال العظمة فى ثمانين ألف سنة، ثم سجد للَّه‌تعظيما، ففتق منه نور على عليه السلام، فكان نورى محيطا بالعظمة، ونور على محيطا بالقدرة، ثم خلق العرش واللوح والشمس وضوء النهار ونور الأبصار والعقل والمعرفة وأبصار العباد وأسماعهم وقلوبهم من نورى، ونورى مشتق من نوره، فنحن الأولون، ونحن الآخرون، ونحن السابقون، ونحن المسبحون، ونحن الشافعون، ونحن كلمة اللَّه، ونحن خاصة اللَّه، ونحن أحباء اللَّه، ونحن وجه اللَّه، ونحن جنب اللَّه، ونحن يمين اللَّه، ونحن أمناء اللَّه، ونحن خزنة وحى اللَّه وسدنة غيب اللَّه، ونحن معدن التنزيل ومعنى التأويل، وفى أبياتنا هبط جبريل، ونحن محال قدس اللَّه، ونحن مصابيح الحكمة، ونحن مفاتيح الرحمة، ونحن ينابيع النعمة، ونحن شرف الأمة، ونحن سادة الأئمة، ونحن نواميس العصر وأحبار الدهر، ونحن سادة العباد، ونحن

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۵۹

ساسة البلاد، ونحن الكفاة والولاة والحماة والسقاة والرعاة وطريق النجاة، ونحن السبيل والسلسبيل، ونحن النهج القويم والطريق المستقيم، من آمن بنا آمن باللَّه، ومن رد علينا رد على اللَّه، ومن شك فينا شك فى اللَّه، ومن عرفنا عرف اللَّه، ومن تولى عنا تولى عن اللَّه، ومن أطاعنا أطاع اللَّه، ونحن الوسيلة إلى اللَّه والوصلة إلى رضوان اللَّه، ولنا العصمة والخلافة والهداية، وفينا النبوة والولاية والإمامة، ونحن معدن الحكمة وباب الرحمة وشجرة العصمة، ونحن كلمة التقوى والمثل الأعلى والحجة العظمى والعروة الوثقى التى من تمسك بها نجا» «۱».

وروى فى بصائر الدرجات بسنده عن سلمان الفارسى عن أمير المؤمنين عليه السلام فى قول اللَّه تبارك وتعالى: «قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ» فقال: «أنا هو الذى عنده علم الكتاب» وقد صدقه اللَّه وأعطاه الوسيلة فى الوصية، ولا يخلى أمته صلى الله عليه و آله من وسيلته إليه وإلى اللَّه، فقال: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِى سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» «۲».

وروى الصدوق بإسناده عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «الأئمة من ولد الحسين، من أطاعهم فقد أطاع اللَّه، ومن عصاهم فقد عصى اللَّه، هم العروة الوثقى، وهم الوسيلة إلى اللَّه عز وجل» «۳».

فوروى الحاكم الحسكانى فى شواهد التنزيل بسنده عن عكرمة فى قوله تعالى: «أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ» قال: «هم النبى وعلى وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام»».

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۶۰

تحقيق فى معنى الاسم فى القرآن ... ص: ۶۰

الاسم فى أصل وضع اللغة إما من الوسم وهو الأثر والعلامة.

والموسوم هو من عليه علامة.

ويقال قد سمت فيه الخير أى رأيت فيه أثر، أو من السمو وهو الارتفاع والعلو، يقال سما إليه بصرى أى ارتفع بصرى إليه.

ويقال سما به أى أعلاه.

ويقال سما لى شخص فلان، أى ارتفع حتى استبنته وسما إليه بصرى، إذا رفع لك شىء من البعيد فاستبنته قلت سما لى شىء.

قال ابن منظور فى لسان العرب: اسم الشى وسمه «بفتح السين وكسرها وضمها» وسماه علامته.

وقال الزجاج: معنى قولنا اسم، مشتق من السمو وهو الرفعة.

وقال الجواهرى: والاسم مشتق من سموت، لأنه تنويه ورفعة.

وإذا نسبت إلى الاسم قلت سموى «بكسر السين وفتح الميم» وسموى «بفتح السين وسكون الميم...»

وقال أبو العباس: الاسم رسم وسمة توضع على الشى فتعرف به.

وقال أبو إسحاق: إنما وضع الاسم تنويها بالدلالة على المعنى؛ لأن المعنى تحت الاسم.

وفى التهذيب: ومن قال إن اسما مأخوذ من وسمت فهو غلط.

وقال الجوهرى: سميت فلانا زيدا، وسميته بزيد بمعنى، وأسميته مثله، فتسمى به.

وقال سيبويه: الأصل الباء؛ لأنه كقولك عرفته بهذه العلامة ووضحته بها.

وسُئل أبو العباس عن الاسم أهو المسمى أو غير المسمى، فقال: قال أبو عبيدة:

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۶۱

الاسم هو المسمى.

وقال سيبويه: الاسم غير المسمى «۱». انتهى

ويتحصل من ذلك:

إن الاسم هو الشى الدال على مسمى علامة عليه ودلالةً وتنويهاً، وأن السمو والوسم متقارب المعنى من حيث الدلالة والبيان والعلامة على الشى.

وإذا اتضح ذلك تبين أن الأسماء الإلهية هى الآيات الدالة عليه تعالى وعلى صفاته العليا.

فالمخلوقات العظيمة من جهة دلالتها على عظمة البارى وعظمة صفاته هى آيات وعلامات، وبالتالى هى أسماء إلهية.

فكلما عظم خلقة المخلوق دل على عظمة فعل وصفات البارى، فكان اسما أكبر وأعظم، ومن ذلك يظهر أن الكلمة الملفوظة بالصوت التى يتلفظ بها الإنسان الداعى هى مخلوقة له، إنما صح إطلاق اسم اللَّه عليها بلحاظ دلالتها على المعنى، والمعنى فى الذهن أيضا مخلوق للنفس الإنسانية، وهو بدوره دال على الصفات أو الذات الإلهية، ولكن أين دلالة الصوت الملفوظ عن المعنى فى الذهن من دلالة المخلوق الموجود فى الخارج، فإن دلالة المخلوقات العظيمة تكوينية بينما دلالة الصوت الملفوظ اعتبارية أدبية، فصدق الأسماء الإلهية على الآيات الخلقية صدق حقيقى، بينما صدقها على الأصوات الملفوظة مجاز عقلى، وأين هذا من ذاك «۲».

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۶۲

ومن هنا يتبين معنى الآية الكريمة: «وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى» أى الآيات العظمى «فَادْعُوهُ بِهَا» أى فتوجهوا بها إليه تعالى، وأن معنى قوله تعالى: «وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِى أَسْمَآئِهِ» «۱»

يتطابق مع قوله تعالى: «انَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء» «۲»

وكليهما فى سورة الأعراف.

ومنه يتنبه إلى الإشارة فى قوله تعالى: «وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا» «۳»

فإن أحد الأقوال فى تفسير الأسماء هى الأسماء الإلهية، أى الأسماء الإلهية كلها، وعلى ذلك يكون قد أطلقت على مخلوقات عظيمة أعظم من الملائكة ومن آدم عليه السلام، حيث قال تعالى: «ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِى بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ» «۴» .فاستعمل ضمير الجمع للعاقل الشاعر الحى، وكذلك اسم الإشارة للشاعر الحى العاقل «هؤلاء»، مما يدلل على أن هذه المخلوقات العظيمة حية شاعرة عاقلة لم تكن الملائكة تحيط بها خبرا ولا علما، حيث «قَالُواْ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ» «۵».

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۶۳

وإلى ذلك الإشارة فى قول الإمام الصادق عليه السلام فى الروايات السابقة.

فيتضح أن المخلوقات العظيمة التى لها مقام الزلفى والقرب الإلهى هى أسماؤه تعالى، أسماء وآيات دالة عليه تعالى من حيث إنها آيات وكلمات، ومن ثم أطلق على عيسى عليه السلام كلمته، وأطلق عليه وجيها فقال تعالى: «اذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى الدُّنْيَا وَالآخرة وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ» «۱».

وكذلك موسى عليه السلام. قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا» «۲».

هذا فضلا عن سيد الأنبياء وأوصيائه الطاهرين عليهم السلام.

ولا بد أن يتنبه إلى ضرورة الأسماء الإلهية فى باب المعرفة بالذات الإلهية وباب التوجه إلى الحضرة الإلهية، فإن الطلب للمجهول المطلق ممتنعٌ، وإدراك المبهم المتوغل فى الإبهام من كل جهة محال، وهذا حال المخلوق مع كنه الذات الإلهية، فلا بد من علامة يهتدى بها إلى الذات الإلهية، وتلك العلامة هى الاسم والأسماء والآيات.

فلولا دلالة الأسماء على المسمى لامتنع الطريق إليه تعالى، وللزم التعطيل فى المعرفة.

ومن ذلك تبين أن الأسماء التى هى الآيات المخلوقة هى الوسيلة إلى معرفته تعالى.

ومن ثم لو أعملنا دقة التحليل فى ألفاظ قوله تعالى: «وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۶۴

فَادْعُوهُ بِهَا» عن المدعو هو اللّه تعالى، والأسماء هى الوسيلة للدعاء والتوجه والقصد إليه تعالى، وأن الإلحاد عن الأسماء يمنع التوجه إلى الذات الإلهية، وأن حقيقة الأسماء هى الآيات العظيمة فى الخلقة الإلهية لا للأصوات الملفوظة والرسوم المنقوشة المكتوبة التى هى نماذج اعتبارية لا تكوينية للأسماء.

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۶۵

الوجه السادس: ابتغاء الوسيلة ... ص: ۶۵

إن التوجه إلى اللّه تعالى يجب أن يكون بشى وهو الوسيلة، ولا يتوجه إليه تعالى بدون وسيلة ووصلة، وهذا هو القاعدة التى ذكرناها.

قال اللّه تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِى سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» «۱».

وقوله تعالى: «أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أقرب وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا» «۲».

ذكرنا أن معنى الوسيلة هو ما يتوسل به ويتوجه به، أو ما يجعل وصلة للوصول إلى شىء، وذلك الشى هو بمثابة الغاية المطلوبة بالأصل، ومن الجدير بالذكر أن الآيات السابقة لا تعبر بلفظ «ابتغوه» وإنما تعبر بلفظ «وَابْتَغُواْ إِلَيهِ» مما يدلل على أن التوجه إلى اللّه تعالى يجب أن يكون بشى وهو الوسيلة، ولا يتوجه إليه تعالى بدون وسيلة ووصلة، وهذا هو القاعدة التى ذكرناها.

ومن ثم فإن القول بأن الأعمال الصالحة والقربية هى الوسيلة لا ينافى القول أن هذه الوسيلة تحتاج إلى وسيلة أخرى من أجل أن تصعد وتتأهل للصحة والقبول

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۶۶

الإلهى، فإن الأعمال الصالحة لا تقبل إلا بالولاية مما يدلل على أن لهذه الأعمال الصالحة وسيلة وهى ولاية أهل البيت عليهم السلام، فهى وسيلة فى وسيلة، وسيأتى ما يتعلق بهذا الوجه.

وبيان مفاد الآية بنحو أوضح أن لفظة فعل الأمر «وَابْتَغُواْ» متعلق أولًا وبالذات بلفظة الوسيلة كمفعول به، أى أن الذى يبتغى ويقصد هو الوسيلة، ولفظة «إِلَيهِ» متعلق ثانٍ، وهو لأجل الوصول إليه تعالى.

فمفاد الآية أن القصد والابتغاء يتوجه أولًا إلى الوسيلة وبها يحصل التوجه إلى اللَّه تعالى.

هذا فضلا عما لو جعلنا الجار والمجرور متعلق بلفظ الوسيلة، فيكون الابتغاء متعلق بنحو التمحض بلفظ الوسيلة، وعلى كلا التقديرين فالقصد متوجه ابتداءً إلى الوسيلة، وعبرها يتم التوجه والوصول إلى اللَّه تعالى.

وهذه الآية نص فى أن هناك مسافة وبعداً بين العباد والرب من طرف العباد اتجاه الرب تعالى، وإن كان الرب تعالى قريب من العباد من جهته هو إليهم علما وسيطرة واستيلاء؛ لأنه لو لم تكن مسافة وبعدٌ من العباد اتجاه الرب من جهتهم إليه تعالى لما كان معنى لطلب الوسيلة ولوجودها بينه وبين خلقه، ولكان الأمر بطلبها منه تعالى لغوا، وهو خارج عن الحكمة الإلهية.

ويستفاد من الآية الكريمة أن الوصول إليه تعالى ولقاءه منحصرٌ طريقه وسبيله بالوسيلة ولا يتم بدونها؛ وذلك لأن الآية تقرر وجود البعد والمسافة بين الخلق والخالق من جهة الخلق، وذلك بسبب نقصهم فى الكمالات عن الكمال الإلهى، فالبعد ذاتىٌ بينهم وبين الخالق ولا يُطوى من قبل ذاتهم، بل لا بد من أمر آخر خارج عنهم وهو الوسيلة.

كما أن الآية الثانية تبين وتبرهن أن المناط فى كون الشى وسيلة يدور مدار قربه إلى اللَّه تعالى، فكلما كان أقرب كان مقامه فى الوسيلة أعلى وأنفذ.

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۶۷

كما أن آية الإسراء تدلل على أن الغاية من الوسيلة هى لأجل القرب منه تعالى، وبالتالى تقررُ وجود البعد بين الخلق واللَّه من جهة الخلق إليه تعالى، ولأجل هذا البعد فلا بد فى طيه من التوسل بالوسيلة والتوجه إليها وقصدها؛ لأن دور الوسيلة الوساطة والتقريب، ومن ثم يكون أقرب الخلق إلى اللَّه هو أعظمهم وسيلة، ويكون صاحب الشفاعة الكبرى، ويكون هو الرحمة الإلهية القصوى.

ولا ريب بضرورة القرآن والدين أن أقرب الخلق إلى اللَّه هو سيد الأنبياء، ومن ثمَّ خُص بالشفاعة الكبرى، وكان أقربهم وسيلة إلى اللَّه، ووصفه البارى بأنه رحمة للعالمين، وخَلع عليه من خاصة أسمائه الإلهية وهو الرءوف الرحيم.

وقد قرن اللَّه تعالى بنبيه صلى الله عليه و آله فى جملة من المقامات أهلَ بيته الأطهار عليهم السلام، وجعل الوسيلة إلى القرب من نبيه؟ مسايرةَ أهل بيته عليهم السلام فقال تعالى: «قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى» «۱».

فجعل الوصلة إلى نبيه صلى الله عليه و آله والباب إليه مودة قرباه، وعظَّم من تلك المودة فجعلها كفوا لجميع الرسالة، تنبيهاً على أنهم الباب الأعظم إلى الرسول صلى الله عليه و آله والرسالة والدين والديانة، ثم قال فى سورة أخرى: «قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىءٍ شَهِيدٌ» «۲».

فبين أن نفع مودة قربى النبى صلى الله عليه و آله عائد للخلق والعباد أنفسهم؛ لأنهم وسيلةٌ لهم إلى اللَّه ورسوله صلى الله عليه و آله، فقال فى سورة أخرى: «قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا» «۳».

فكانوا هم السبيل الأعظم إليه والمسلك إلى رضوانه، فنصت مجموع هذه

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۶۸

الآيات على كونهم الوسيلة والسبيل إلى اللّه ورسوله صلى الله عليه و آله، وربطت بين كونهم وسيلة وسبيلًا وبين دور ومقام النبى صلى الله عليه و آله، فجعلت مودتهم التى هى سبيل ووسيلة أجراً لجُهد النبى صلى الله عليه و آله فى تبليغ الرسالة، وقد بينت الصديقة فاطمة عليها السلام جملة هذه البيانات القرآنية من بعد الخلق عن اللّه من جهتهم إليه لا من جهته إليهم، واحتياجهم بالتالى إلى الوسيلة، ودورها فى معرفة التوحيد، وأن تلك الوسيلة هم النبى وأهل بيته عليهم السلام، كل ذلك فى قولها عليها السلام: «واحمدوا اللّه الذى لعظمته ونوره يبتغى من فى السموات والأرض إليه الوسيلة ونحن وسيلته فى خلقه».

ويشير إلى هذا المعنى من كونهم عليهم السلام الوسيلة العظمى إلى اللّه تعالى- أى النبى وأهل بيته عليهم السلام؛ لأن مصطلح القرآن فى عنوان أهل البيت كما فى آية التطهير المراد به النبى وقرباه المطهرين من المعاصى- ما ورد فى العديد من الزيارات كما فيما رواه ابن قولويه فى كامل الزيارات: «من زار الحسين عارفا بحقه كان كمن زار اللّه فى عرشه».

كما ورد فى قوله تعالى: «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا» «۱»

فجعل اللّه تعالى الاستجارة بنبيه صلى الله عليه و آله وفودا عليه للتوبة ومجيئا إليه، ونظيره قوله تعالى: «وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى» «۲»

كما جعل المجى إلى المسجد زيارة إليه تعالى، فكيف بمن جعل اللّه مودتهم سبيلا إليه، وأنها العدل الأعظم لرسالته، ومن باهل به اللّه وجعله حجة من حججه مطهرا، وحججه هى آياته التى يصدق بها، وآياته هى أبواب سمائه ومفاتيح رحمته، كما فى سورة الأعراف التى سبقت.

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۶۹

الوجه السابع: وجه الشفاعة ... ص: ۶۹

اشارة

فوجود الأبواب بين المخلوق من جهته إلى الخالق عقيدة قرآنية أصيلة ومعتقد إسلامى أصيل، والتنكر له جحود لعقيدة ركن فى نظام السنة الإلهية.

نبدأ البحث باستعراض آيات الشفاعة، وقد وردت آيات الشفاعة فى القرآن على طوائف عديدة، ومن المهم تصنيفها إلى أصناف تمهيدا لإيضاح رؤية القرآن فيها:

طوائف الآيات ... ص: ۶۹

الطائفة الأولى: آيات نفى الشفاعة ... ص: ۶۹

قال اللّه تعالى: «فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ» «۱».

وقال تعالى: «وَاتَّقُواْ يَوْماً لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ» «۲».

الطائفة الثانية: آيات نفى الشفعاء ... ص: ۶۹

قال تعالى: «وانذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أن يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۷۰

وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ» «۱».

وقال: «وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وأن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ» «۲»

.وقال: «فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ» «۳».

«وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ» «۴».

الطائفة الثالثة: آيات تحقق الشفاعة مع الإذن الإلهى ... ص: ۷۰

«انَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ» «۵».

«وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِىُّ الْكَبِيرُ» «۶».

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۷۱

«يَوْمَئِذٍ لَّاتَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِىَ لَهُ قَوْلًا» «۱».

«اللّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِىُّ الْعَظِيمُ» «۲».

الطائفة الرابعة: آيات تحقق الشفاعة من قبل المرضى قولا وفعلا ... ص: ۷۱

«لَايَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا» «۳».

«يَوْمَئِذٍ لَّاتَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِىَ لَهُ قَوْلًا» «۴».

«وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ» «۵».

الطائفة الخامسة: آيات تحقق الشفاعة فى صالح من كان مرضيا ... ص: ۷۲

«يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ» «۶».

والنتيجة على ضوء الجمع بين مفاهيم الطوائف القرآنية السابقة كما يلى:

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۷۲

(۱) استحالة الشفاعة الاستقلالية عن اللّه من قبل أى مخلوق لآخر.

(۲) بطلان توهم الشفعاء المزعومين من قبل البشر.

(۳) صحة الشفاعة مع صدور الإذن الإلهى بها، والمراد به الإذن التكوينى الذى يعنى إقدار اللّه لهم على الشفاعة.

(۴) احتياج الشفيع إلى شرائط روحانية وملكوتية استثنائية تؤهله للشفاعة.

(۵) ضرورة توفر المشفوع له على العقائد الصحيحة التى تجعله جديرا باستيعاب الشفاعة له.

الطائفة السادسة: آيات ضرورة تحقق الشفاعة ... ص: ۷۲

الآية الأولى: «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا» «۱».

الآية الثانية: «وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِى قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ»».

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۷۳

بحوث الآية الأولى ... ص: ۷۳

اشارة

قال اللّه تعالى: «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا» «۱».

القاعدة الأولى: التوسل شرط فى صحة التوبة ... ص: ۷۳

اشارة

وهذه الآية من المحكمات ذات المفاد الدائم، ولاسيما وأن للتوبة أكبر علاقة ورابطة بين العبد وربه، والتوبة مأخوذة من الأوبة وهى الرجوع إلى اللّه تعالى.

وتبين الآية الأولى أن لتوبته تعالى على البشر شرائط وهى كسنة دائمة أبدية، وأول تلك الشرائط ومبدؤها- أى التى يراعى فى البدء- هو التوجه إلى النبى صلى الله عليه و آله وقصد الحضرة النبوية، وهذا نحو توسل بالنبى صلى الله عليه و آله وتوجه به إلى اللّه تعالى.

وثانيها استغفار المذنب وهو ندمه وتوبته ورجوعه.

وثالثها استغفار الرسول صلى الله عليه و آله، أى أن استغفار مذنبى الأمة وتوجههم بالنبى صلى الله عليه و آله وهما الشرطان الأولان ليسا كافيين فى حصول توبة اللّه ما لم يتوسط الرسول صلى الله عليه و آله ويتشفع فى نجح سؤال المستغفرين.

وقد جعل توسط الرسول صلى الله عليه و آله فى نهاية المطاف للتدليل على أن ترتب الجزاء وهى التوبة الإلهية إنما يتحقق عقب الدور النبوى فى الشفاعة لجميع الأمة، فى جميع ما تسأل الأمة من ربها.

ويرتسم لنا من ذلك أن هذا ليس مخصوصاً بباب التوبة والاستغفار من الذنوب الذى هو أعظم حاجيات المخلوقين، بل هو شامل لكل سؤالٍ ودعاءٍ وطلب من الحضرة الربوبية، بل إن حقيقة التوبة هى من الأوب وهو الرجوع

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۷۴

والوفود على الحضرة الإلهية والتوجه إليها وقصدها.

فالبحث فى التوبة فى الحقيقة بحث فى مطلق الزلفى والتقرب والتوجه للحضرة الإلهية.

وقد أُطلق على نوافل صلاة الظهر اسم صلاة الأوابين، لما فيها من الأوبة الخاصة.

فالتوبة فى الحقيقة ليست عملا- منحازا ومنفصلا عن حقيقة العبادات، إذ كل باب من العبادات نوع من الأوبة إلى اللَّه تعالى، فكل عبادة تصب فى نفس مضمار الاستغفار.

وعلى ذلك فالآية تدل على لزوم شرطين آخرين يجب أن ينضما إلى العبادات:

الأول: هو المجى إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله والوفود على الحضرة النبوية، بعد كون الآية غير مخصوصة بزمان الحياة الشريفة للنبى صلى الله عليه و آله إذ هى تتعرض لأمر أبدى ولأعظم أمر يخص العبد فى العلاقة بينه وبين اللَّه، فمؤداها سنة إلهية أبدية تشترط فى التوبة المجى للنبى صلى الله عليه و آله.

الثانى: استغفار الرسول صلى الله عليه و آله.

وبصراحة مرة ننبه على أن الفقهاء أغفلوا فى كتبهم الفقهية وكتبهم الكلامية الشرط الأول، وإن نبه بعضهم على أن من شرائط التوبة الإيمان بولاية النبى وأهل بيته عليهم السلام، لكنهم أغفلوا هذا الشرط وهو اللجوء والالتجاء واللواذ بحضرة النبى صلى الله عليه و آله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام.

وبعبارة أخرى: إن الآية تضيف فى شرائط التوبة- علاوة على أصل الإيمان بالنبى وأهل بيته عليهم السلام- اشتراط التوسل بالنبى صلى الله عليه و آله، فلفظ الآية فى الشرط الأول يعنى اللجوء إلى الحضرة النبوية واللواذ به والاستعاذة والالتجاء، وهو عين التوسل

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۷۵

والتوجه بالنبى صلى الله عليه و آله.

وقد أفتى فقهاء الإمامية وعلماؤهم فى صلاة الفريضة والنافلة باستحباب دعاء التوجه قبل تكبيرة الإحرام بل بعدها أيضا، وهو: «وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض، وما أنا من المشركين على ملة إبراهيم ودين محمد وهدى على أو منهاج على» والدعاء الآخر: «باللَّه أستنجح وباللَّه أستفتح، وبمحمد الرسول وآله أتوجه».

مناقشة مع الفخر الرازى ... ص: ۷۵

قال الفخر الرازى فى التفسير الكبير:

المسألة الثانية: لقائل أن يقول: أليس لو استغفروا اللَّه وتابوا على وجه صحيح لكانت توبتُهم مقبولة؟ فما الفائدة فى ضم استغفار الرسول إلى استغفارهم؟

قلنا: الجواب عنه من وجوه

الأول: إن ذلك التحاكم إلى الطاغوت كان مخالفة لحكم اللَّه، وكان أيضا إساءة إلى الرسول صلى الله عليه و آله وإدخالا للغم فى قلبه، ومن كان ذنبه كذلك؛ وجب عليه الاعتذار عن ذلك الذنب لغيره، فلهذا المعنى وجب عليهم أن يطلبوا من الرسول أن يستغفر لهم.

الثانى: إن القوم لما لم يرضوا بحكم الرسول ظهر منهم ذلك التمرد، فإذا تابوا وجب عليهم أن يفعلوا ما يزيل عنهم ذلك التمرد، وما ذاك إلا بأن يذهبوا إلى الرسول صلى الله عليه و آله ويطلبوا منه الاستغفار.

الثالث: لعلهم إذا تابوا بالتوبة أتوا بها على وجه الخلل، فإذا انضم إليها استغفار الرسول صارت مستحقة للقبول واللَّه أعلم «۱». انتهى

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۷۶

أقول: وكل ما ذكره من الوجوه فيه نظر

أما الأول: وفيه مع عدم خصوصية المورد؛ لأن المورد لا يخصص الوارد بل يفسره، إن تفسيره لشرطية استغفار الرسول صلى الله عليه و آله لا- ينطبق على تجاوزهم لحق الرسول؛ لأن اللازم أن يكون التعبير حينئذ «وغفر لهم الرسول»، بخلاف التعبير الذى هو من باب

الاستفعال؛ فإنه وساطة وتشفع عند اللَّه، والاستغفار هو طلب الرسول صلى الله عليه و آله من اللَّه أن يغفر لهم اللَّه عن حق له تعالى.

وأما الثانى: وفيه أن رجوعهم عن غير تمرد، إنما يكون بالطاعة والانقياد على حسب زعمه، بينما مفاد الآية العام شرطية استغفار الرسول لهم، لا- مجرد طلبهم من الرسول صلى الله عليه و آله أن يستغفر لهم، مع أن استغفار الرسول متعلق بما هو حق اللَّه، بينما تمردهم على طاعة الرسول هو بالخضوع له لا الحصر بطلب أن يستغفر لهم.

وأما الثالث: وفيه أن هذا اعتراف بأن توبتهم من دون شفاعة النبى صلى الله عليه و آله مخدوشة وناقصة ومختلة، وهذا هو كر على ما فر منه وتنكر له، مما يبين صراحة الآية فى الشرطية العامة للتوبة من عموم الذنوب، ولو كان الخلل فى توبتهم من جهة فعل هم يقومون به، فكيف يقوم فعل من غيرهم مقام فعلهم؟ مع أن ظاهر الآية تمامية الاستغفار كفعل لهم، وإنما التأكيد على ضرورة ضميمة شفاعة النبى صلى الله عليه و آله لذلك وضميمة الالتجاء والاستشفاع بالنبى صلى الله عليه و آله، ويقرر عموم مفاد الآية «۱».

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۷۷

القاعدة الثانية: شرطا الإيمان والعبادة ... ص: ۷۷

اشارة

قد مر فى الوجه الثانى أن نبهنا أن آية سورة الأعراف الآتية وغيرها من الآيات التى مرت فى الوجوه السابقة دالة على أن التوسل أو التوجه أو التشفع بهم عليهم السلام شرط فى حتمية الإيمان باللَّه ورسوله وبإمامتهم، فلا يكفى الإيمان بولاية اللَّه ورسوله وأولى الأمر من أهل بيته عليهم السلام من دون اللجوء إليهم.

فالمصلى فى الصلاة إلى اللَّه يتوجه بالنبى صلى الله عليه و آله، ولا يقتصر على الإيمان بالنبى

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۷۸

وأهل بيته عليهم السلام، فما بحثه فقهاء وعلماء الإمامية من أن ولاية أهل البيت عليهم السلام شرط فى صحة العبادات، أو شرط فى قبولها لا يفى بتمام البحث، إذ كما تلاحظ أن الآية الكريمة تضيف شرطا آخر فى صحة العبادة أو قبولها وهو التوجه بهم والتوسل بهم كعمل قلبى قصدى، وهذا الشرط قد دل عليه أيضا قوله تعالى: «انَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِى سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِى الْمُجْرِمِينَ» «۱».

حيث لم تكتف الآية بمانعية التكذيب فى صعود الأعمال والدعاء والعبادة والعقيدة، بل جعلت المانع أيضا الاستكبار على الآيات فى مقابل الالتجاء إليها والتوجه بها، نظير التعبير الذى ورد فى قوله تعالى: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ» «۲».

فالاستكبار على الآيات فى مقابل الالتجاء والتوجه بها.

وقد استعمل هذا التعبير أيضا فى استكبار إبليس عن التوجه بآدم والتوسل به للوصول إلى اللَّه تعالى.

فجملة هذه الآيات وغيرها تشترط هذا الشرط زيادة على أصل الإيمان والتصديق بآيات اللَّه وحججه وهم النبى وأهل بيته عليهم السلام.

ومن ثم جاء التعبير فيها كشرط أول «جاؤوك» «۳»

، ولم يجعل الشرط الأول الندامة أو الاستغفار أو البكاء، كما لم يجعل الشرط مجرد الإيمان بالنبى وبولاية

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۷۹

أهل بيته عليهم السلام، بل جعلت أول شيٍ يفعله المذنبون هو الالتجاء العملى للحضرة النبوية.

وهذا التعبير بالمجى فى الاستعمال العرفى يعنى الأمر بالاستجارة بالنبى صلى الله عليه و آله والاستنجاد بحضرته وحماه الذى هو حمى رحمة اللَّه تعالى، فيفر مذنبو الأمة من غضب اللَّه إلى رحمة اللَّه تعالى، فالأمر بالمجى إليه صلى الله عليه و آله نص بحسب الاستعمال العرفى كناية عن الاستجارة، وهى نمط من الاستغاثة نظير ما فى قوله تعالى: «وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ» «۱».

فتشترط الآية قبل استغفارهم وندامتهم أى قبل الإتيان بالعبادة- لا خصوص التوبة- أن يلتجئوا إلى النبى وأهل بيته عليهم السلام بالترامى فى حضرتهم وتعاليمهم ووصاياهم.

ولا بد أن نتعرف فى زمننا هذا من هو الذى يجسد امتداد النبى صلى الله عليه و آله؟ ومن هو الذى بالالتجاء إليه يتحقق الالتجاء بالنبى صلى الله عليه و آله؟ ومن الذى يحل محله فى هذا الركن؟ وهو بقية اللَّه فى الأرضيين الإمام المهدى (عج).

الانتماء الصادق لأهل البيت عليهم السلام ... ص: ۸۰

ثم إنه لا يظن إن المجى إلى الحضرة النبوية وأهل بيته عليهم السلام وللمهدى بقية اللَّه فى الأرضيين هو المجى الفيزيائى بالبدن، كما ليس المراد من التوسل بهم هو التوسل بمجرد لفظ دعاء التوسل.

بل المراد من المجى إليهم هو الترامى فى مسار أهل البيت عليهم السلام بكله، والانتماء إليهم مقدما على أى انتماء سواء انتماء المواطنة، فإن المواطنة الأولى هى لأهل

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۸۰

البيت عليهم السلام، أو الانتماء الوظيفى فإن الانتماء الوظيفى الأول هو لهم، أو الانتماء الأسرى أو العشائرى، فكل ذلك لهم أيضا، أو الحزبى والتنظيمى، فإن الانتماء الأول إلى نظام طائفة أتباعهم، فلا بد من تشديد الانتماء لهم ولمناهجهم والتشبع بهديهم وتعاليمهم، وأن يكون هوانا وعوننا ونصرنا لهم، والذوبان فيهم بفكرنا وعملنا وتخطيطنا وممارساتنا، ولابد من الهجرة لهم فى فكرنا، والهجرة لهم فى سلوكنا، وفى منهاجنا وفى ولائنا السياسى والاجتماعى والتشريعى القانونى، ولا يكفى أن نؤمن بهم ونحن لا نلتجئ ولا نتوجه إليهم، ونحن جافون قاطعون مبتعدون عنهم، جاعلون ولاءنا ومودتنا فى من يباينهم، فهم كهف يؤوى إليه فى كل شىء، وباب الرحمة، وموضع العبادة والتقرب.

وقد جُعل هذا التوجه والالتجاء إلى الحضرة النبوية ملجأ يحتمى به من الغضب الإلهى، وعن النقمة الإلهية، وعاصم يعصم من السخط الإلهى.

فالكينونة فى تلك الحضرة والروضة بأبعادها المختلفة أمان عاصم وشفيع مشفع، وإلا فالندامة وحدها والاستغفار وإرادة التوجه المباشر للحضرة الإلهية لا يعصم من سطوته تعالى وعقابه بنص الآية.

فالمجى إلى النبى صلى الله عليه و آله التجاء واستعاذة ولواذ به، كما أشار اللَّه تعالى فى قوله:

«وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وأنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ» «۱».

فمن عجيب الأمر أن يأمر اللَّه تعالى بذلك، بالتمسك بسيد الأنبياء وباللواذ بحضرته صلى الله عليه و آله بينما تلك الجماعة تحادد اللَّه جهارا، وتنهى عن اللواذ بنبيه وأهل بيته عليهم السلام، وتنهى عن الاستغاثة به.

فينهون عن قول «يا محمد يا على» ويسمون هذا التوحيد الجلى فى الآية

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۸۱

الكريمة بالشرك، فهم يحكمون بالشرك بذلك على الملائكة بسجودهم لآدم، ويحكمون بالتوحيد على إبليس، ويجعلون منه الرائد القدوة الذى يتبع فى خطواته.

ثم إن الآية تشترط علاوة على ذلك تشفع النبى صلى الله عليه و آله، وتدلل بذلك على مقام عظيم لسيد الأنبياء من أن جميع عبادة

العباد لا تقبل فی الحضرة الإلهية إلا بتشفع النبی صلی الله علیه و آله لقبولها من قبل اللّه تعالی.

فجمیع أعمال العباد- عباداتهم وقصدهم وقرباتهم وتوجههم إلی الحضرة الإلهية- لابد لها من وساطة النبی صلی الله علیه و آله لقبولها فی الحضرة الإلهية.

فلو أهلک عابد نفسه، وعمر ما عمر نوح فی قومه صائما نهاره قائما لیله وصلی بین الرکن والمقام لما قبلت عباداته من دون شفاعة سید الأنبیاء صلی الله علیه و آله «۱».

هذا بعد توفر عبادته علی الشرط الأول وهو التوجه بالنبی وأهل بیته علیهم السلام.

ولا یخفی الصلة الوثیقة بین هذا المقام وبین ما أثبتته جملة من الآیات فی النبی وأهل بیته علیهم السلام من الشهادة علی الأعمال کما فی قوله تعالی: «وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَیَرَی اللّهُ عَمَلَکُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ» «۲».

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۸۲

وقوله تعالی مخاطباً أهل البیت علیهم السلام: «هُوَ اجْتَبَاکُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَیْکُمْ فِی الدِّینِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِیکُمْ إِبْرَاهِیمَ هُوَ سَمَّاکُمُ الْمُسْلِمِینَ مِن قَبْلُ وَفِی هَذَا لِیَکُونَ الرَّسُولُ شَهِیدًا عَلَیْکُمْ وَتَکُونُوا شُهَدَاء عَلَی النَّاسِ» «۱»

، وغیرها من الآیات.

فإن مقام شهادتهم لأعمال العباد هو لرعایتهم لتلک الأعمال حتی یتشفعوا لقبولها فی الحضرة الإلهية، فهی لا تأخذ طریق الکمال والبقاء الأبدی من الفیض الإلهی إلا بواسطة النبی وأهل بیته علیهم السلام لمجری هذا الفیض.

کیف لا والنبی وأهل بیته علیهم السلام یتشفعون للأنبیاء فی حصولهم علی النبوة والکتاب والحکمة وسائر المقامات الغیبیة، کما یأتی فی قوله تعالی: «وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِیثَاقَ النَّبِیِّیْنَ لَمَا آتَیْتُکُم مِّن کِتَابٍ وَحِکْمَةٍ ثُمَّ جَاءکُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَکُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَی ذَلِکُمْ إِصْرِی قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وأَنَاْ مَعَکُم مِّنَ الشَّاهِدِینَ» «۲».

نزول الفیض الإلهی متوقف علی شروط ثلاثة ... ص: ۸۲

إن الشرائط المزبورة فی الآیة لیست شرائط فی خصوص التوبة، بل هی شرائط فی عموم العبادة الإلهية بما یشمل العبادة العلمیة وهی المعرفة العقلیة والقلبیة، فحصول الإجابة والفیض الإلهی المعرفی والکمالی مشترطة بالشروط الثلاثة المتقدمة.

وهذه الآیة تبین سنة قرآنیة عظیمة وشرعیة فی کیفیة ناموس الدعاء والطلب من الحضرة الإلهية، وهی أنه ینبغی تقدیم التوجه إلی الحضرة النبویة علی الدعاء

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۸۳

والطلب، أو قل یلزم فی ماهیة الدعاء تقدیم التوجه إلی الحضرة النبویة علیه.

ثم لابد أن یضاف إلی الدعاء مطالبة النبی صلی الله علیه و آله وحمله لذلک الطلب والذهاب به إلی الحضرة الإلهية.

فالآیة بیان واضح لسنة إلهیة دائمة هی لزوم تشفع النبی صلی الله علیه و آله إلی الرب فی قضاء جمیع حوائج الخلق، فالتوسل به صلی الله علیه و آله مقدم علی الدعاء من الحضرة الإلهية، ثم یتعقبه الدعاء من الحضرة الإلهية، ثم ذلک یهیئ الأرضیة إلی شفاعة النبی صلی الله علیه و آله وتشفعه.

فتبین من ذلک أن الشفاعة ملزومة للتوسل، وأن ما دل علی ضرورة الشفاعة دال علی ضرورة التوسل، وضرورة اقترانهما بدءاً وختماً للدعاء من الحضرة الإلهية.

ویعاضد الآیة السابقة فی نفس المفاد قوله تعالی: «وَإِذَا قِیلَ لَهُمْ تَعَالَوا یَسْتَغْفِرْ لَکُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَیْتَهُمْ یَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَکْبِرُونَ» «۱».

فهذه الآية متطابقة مع مفاد الآية السابقة فى أطراف مفادها وعناصر مكوناته والخصائص المشار إليها، فها هى تبين أن الخطوة الأولى للمذنبين ولصراط الأوابين إليه تعالى هى أن يتوجهوا إلى الحضرة النبوية، وهذا يتطابق مع الشرط الأول فى الآية السابقة مفادًا ورتبة، وهذا الشرط مفادا وتقدما لا يختص بالتوبة من الذنوب، بل هو قوام ودعامة أساسية فى كل أوبة ورجوع وتوجه إلى الحضرة الإلهية، وأن طريق السلوك إليها هو بالتوجه إلى بابها وهى الحضرة النبوية.

كما أن الآية تدل على أن شرط حصول التوبة والأوبة إلى اللَّه تعالى هو باستغفار الرسول صلى الله عليه و آله وتشفعه فى ذلك، وأما استغفار المذنبين فكأنه شرط مطوى

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۸۴

مدلول عليه بإرادة المذنبين للأوبة إلى الحضرة الإلهية.

مضافًا إلى أن الآية تتعرض إلى بيان حقيقة وحكم المنكرين للتوسل بالنبى صلى الله عليه و آله والتوجه به إلى اللَّه تعالى والاستشفاع به، وهى أنهم مستكبرون- كحكم إبليس عندما أعرض وأبى عن التوجه بآدم عليه السلام فى عبادته إلى اللَّه أنه استكبر وكان من الكافرين- وأن هؤلاء صادون عن سبيل اللَّه تعالى، وينطبق عليهم قوله تعالى:

«وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِى أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ» «۱».

لأنهم أعرضوا عن باب اللَّه الأعظم، وآيته الكبرى، واسمه العظيم الدال على عظمة الذات الإلهية.

فالصادون عن حجج اللَّه تعالى المصطفين مكذبون بهذه الآيات الكبرى، ومستكبرون عليها، وملحدون عنها إلى صراط الغوى.

وبالتالى فالآية الكريمة تشير إلى انحصار الطريق إليه تعالى بالتوسل بالنبى صلى الله عليه و آله والتوجه به إلى اللَّه؛ وذلك لأنها كما تشترط طريق الأوبة والرجوع إلى اللَّه بالتوسل والتوجه بالنبى صلى الله عليه و آله وقيامه بدور الشفاعة، كذلك تبين حكم الطرف المقابل والحالة المقابلة، بأنه طريق غواية وصد عن سبيل اللَّه واستكبار على آياته.

التوجه بهم ناموس وسنّة إلهية ... ص: ۸۴

فتأكد بذلك دلالة الحصر عن طريق التقسيم القاطع للشركة، وبيان المنطوق مع التصريح بالمفهوم، فتشير بذلك إلى مفاد الدليل العقلى السابق الدال على حصر الطريق إلى اللَّه بآياته تعالى.

وقد ورد فى الأحاديث الصحاح عن أهل البيت عليهم السلام ما يدل على هذا الناموس

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۸۵

فى السنن الإلهية فى الدعاء ومنها:

صحيح صفوان الجمال عن أبى عبد اللَّه عليه السلام قال: «كل دعاء يدعى اللَّه عز وجل به محجوب عن السماء حتى يصلى على محمد وآل محمد» «۱».

صحيح هشام بن سالم عن أبى عبد اللَّه عليه السلام قال: «لا يزال الدعاء محجوبا حتى يصلى على محمد وآل محمد» «۲».

معتبرة السكونى عن أبى عبد اللَّه عليه السلام قال: «من دعا ولم يذكر النبى صلى الله عليه و آله رفرف الدعاء على رأسه، فإذا ذكر النبى صلى الله عليه و آله رفع الدعاء» «۳».

وغيرها من الروايات فى نفس الباب.

ومضامين هذه الروايات متطابق مع الآية الكريمة فى لزوم التوسل بالنبى وآله صلى الله عليه و آله لأجل حصول النيل الإلهى، وأن التوسل بهم مفتاح لأبواب السماء وتصاعد الدعاء، وأن بدونه لا تفتح أبواب السماء لا للدعاء ولا لغيره، حيث إن فى الصلاة على النبى وآله صلى الله عليه و آله ذكر له ولهم وتشفع بهم وتوجه بهم إلى اللَّه تعالى.

وإليك طائفة أخرى من الروايات ذكرها صاحب الوسائل فى الباب السابع والثلاثين من أبواب الدعاء وهى تؤكد دور التوسل فى الدعاء:

عن داود الرقى قال: «إنى كنت أسمع أبا عبد اللَّه عليه السلام أكثر ما يلح فى الدعاء على اللَّه بحق الخمسة، يعنى رسول اللَّه، وأمير المؤمنين، وفاطمة، والحسن والحسين عليهم السلام» «۴».

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: سألت النبى صلى الله عليه و آله عن الكلمات التى تلقاها آدم من ربه فتاب عليه؟ قال صلى الله عليه و آله: «سأله بحق محمد وعلى وفاطمة والحسن

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۸۶

والحسين إلا تبت على، فتاب عليه» «۱».

عن معمر بن راشد، عن الصادق عليه السلام- فى حديث- قال، قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله:

«إنه يكره للعبد أن يزكى نفسه، ولكنى أقول: إن آدم لما أصاب الخطيئة كانت توبته أن قال: اللهم إنى أسألك بحق محمد وآل محمد لما غفرت لى، فغفرها له، وأن نوحا لما ركب السفينة وخاف الغرق قال: اللهم إنى أسألك بحق محمد وآل محمد لما أنجيتنى من الغرق، فأنجاه اللَّه منه، وأن إبراهيم لما ألقى فى النار قال: اللهم إنى أسألك بحق محمد وآل محمد لما أنجيتنى منها، فجعلها اللَّه عليه بردا وسلاما، وأن موسى لما ألقى عصاه وأوجس فى نفسه خيفة قال: اللهم إنى أسألك بحق محمد وآل محمد لما أمنتنى، فقال له اللَّه عز وجل: لا تخف، إنك أنت الأعلى» «۲».

أحمد بن فهد فى «عدة الداعى» عن سلمان الفارسى قال: سمعت محمداً صلى الله عليه و آله يقول: «إن اللَّه عز وجل يقول: يا عبادى، أو ليس من له إليكم حوائج كبار لا- تجودون بها إلا أن يتحمل عليكم بأحب الخلق إليكم تقضونها كرامة لشفيعهم؟ ألا فاعلموا أن أكرم الخلق على وأفضلهم لدى محمد وأخوه على ومن بعده الأئمة الذين هم الوسائل إلى اللَّه، فليدعنى من همته حاجة يريد نفعها أو دهمته داهية يريد كشف ضرها بمحمد وآله الطيبين الطاهرين أقضها له أحسن ما يقضيها من «تستشفعون له» بأعز الخلق إليه» «۳».

الحسن بن على العسكرى عليه السلام فى «تفسيره» عن آبائه، عن النبى صلى الله عليه و آله قال: «إن اللَّه سبحانه يقول: عبادى، من كانت له إليكم حاجة فسألكم بمن تحبون أجبتم دعاءه، ألا فاعلموا أن أحب عبادى إلى وأكرمهم لدى محمد وعلى حبيبى ووليى، فمن كانت له حاجة إلى فليتوسل إلىّ بهما، فإنى لا أرد سؤال سائل يسألنى بهما وبالطيبين من عترتهما، فمن

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۸۷

سألنى بهم فإنى لا- أرد دعاءه، وكيف أرد دعاء من سألنى بحبيبى وصفوتى ووليى وحجتى وروحى ونورى وآيتى وبابى ورحمتى ووجهى ونعمتى؟ ألا- وإنى خلقتهم من نور عظمتى، وجعلتهم أهل كرامتى وولايتى، فمن سألنى بهم عارفا بحقهم ومقامهم أوجبت له منى الإجابة، وكان ذلك حقا على» «۱».

وفى الرواية بيان للتلازم بين قرب المحبوب ودوره فى الشفاعة، وبالتالى دوره فى صيرورته وسيلة وبابا ووجها إليه تعالى، وأن ما يمارس عند البشر من التوسيط للوسائط كوسائل عند من يقصد طلب الحاجة منه وأن المحبوب باب ووجه يتوجه به، أمر فطرى حكيم يمارسه الناس بقضاء فطرتهم.

عن على بن الحسن بن فضال، عن أبيه، عن الرضا عليه السلام قال: «لما أشرف نوح على الغرق دعا اللَّه بحقنا فدفع اللَّه عنه الغرق، ولما رمى إبراهيم فى النار دعا اللَّه بحقنا فجعل اللَّه عليه النار بردا وسلاما، وأن موسى لما ضرب طريقا فى البحر دعا اللَّه بحقنا فجعل يبسا، وأن عيسى لما أراد اليهود قتله دعا اللَّه بحقنا فنجى من القتل فرفعه إليه» «۲».

قال الحر العاملى: أقول والأحاديث فى ذلك كثيرة جدا من طريق العامة والخاصة، أو فى الأدعية المأثورة دلالة على ذلك لأنها مشحونة بالتوسل بهم عليهم السلام «۳».

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۸۸

بحوث الآية الثانية ... ص: ۸۸

اشارة

قال اللّه تعالى: «وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِى قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ» «۱».

القاعدة الثالثة: نيل كل كمال بالاستشفاع وشفاعة النبى وأهله عليهم السلام ... ص: ۸۸

اشارة

ومقتضى مفاد الآية أن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام كانوا على دين محمد صلى الله عليه و آله قبل أن يبعث، إذ قد أخذ اللّه عليهم بعد التوحيد الإقرار بنبوة سيد الأنبياء صلى الله عليه و آله، كما هو نص الآية الشريفة، لا كما يثيره جملة من الباحثين فى علم الكلام والتأريخ والسيرة من أن الرسول صلى الله عليه و آله قبل بعثته كان رسولا- على دين إبراهيم أو على دين غيره من الأنبياء!!

إذ مقتضى الآية فى سورة الأعراف أن إبراهيم كان على دين محمد، وكذا عيسى وموسى وآدم لا العكس.

فإذا كان جميع الأنبياء من قبل على دين النبى محمد صلى الله عليه و آله وإن كانوا على شرائع مختلفة إلا أن دينهم دين واحد وهو دين خاتم الأنبياء، كما هو مفاد العديد من الآيات الآتية:

قوله تعالى: «انَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلَامُ» «۲».

فوقوله تعالى: «لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا» «۳».

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۸۹

وقوله تعالى: «مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» «۱».

والدين عبارة عن مجموع الأصول الاعتقادية وأركان الفروع، بخلاف الشريعة التى هى عبارة عن تفاصيل الفروع.

وأما أصول المحرمات والواجبات فإنها داخلة فى الدين كذلك دون الشريعة، والمقصود من أصول المحرمات والواجبات هى أسس التحريم وأسس الواجبات، مثل تحريم الفواحش والربا، والظلم والعدوان ومثل صلة الرحم، وأداء الأمانة والوفاء بالعهد.

والمقصود بأركان الفروع هى العشرة التى منها الصلاة والزكاة والحج والصوم.

وحيث إن ولاية على وأهل بيته عليهم السلام هى من نظام الدين لا- الشريعة بنص قوله تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا» «۲».

حيث جعل تبليغه صلى الله عليه و آله لولاية على عليه السلام إكمالا للدين، لا حكما فرعيا فى تفاصيل الشريعة كما هو مفاد قوله تعالى أيضا: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وأن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ»»

.فجعلت الرسالة برمتها مرهونة بإبلاغ ولاية على عليه السلام، أى أن ولاية على عليه السلام امتداد للتوحيد والنبوة، وهى ولاية اللّه

وولاية الرسول صلى الله عليه و آله، وكذلك مفاد قوله

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۹۰

تعالى: «قُل لَّاأَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» «۱».

حيث جعلت المودة عدلا للكون على جملة الرسالة بما فيها من أصول الدين، مما ينبه على كون مودة القربى وولاية أهل البيت عليهم السلام هى من الأصول الاعتقادية.

وغيرها من الآيات الواردة فى أهل البيت عليهم السلام الدالة على أن ولايتهم عليهم السلام من أصول الدين والديانة، فإذا كان جميع الأنبياء على دين واحد وديانة واحدة وهو دين سيد الأنبياء صلى الله عليه و آله الذى تضمن ولاية على وأهل بيته عليهم السلام كأصل من أصوله، فلا محالة فإن جميع الأنبياء قد أخذ عليهم الإقرار بولاية أهل البيت عليهم السلام أيضا، لاسيما بعد الالتفات إلى أن ولاية أهل البيت وإمامتهم عليهم السلام تأتى فى ترتيب أصول الديانة بعد ولاية الرسول صلى الله عليه و آله، كما هو مقتضى جملة من الآيات كقوله تعالى: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» «۲»

التى نزلت فى على عليه السلام حينما تصدق بالخاتم، وقد أورد ذلك فى كتب عديدة ومن الفريقين «۳».

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۹۲

وقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ» «۱».

وقوله تعالى: «مَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَايَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» «۲».

وقوله تعالى: «هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ» «۳»

وغيرها من الآيات.

وقد قرن أهل البيت عليهم السلام مع سيدهم سيد الأنبياء صلى الله عليه و آله فى آية التطهير ولم يشرك معه غيرهم، كما قرنوا تابعين معه فى آية المباهلة.

وعلى ضوء ذلك:

فإذا كان جميع الأنبياء إنما قد حصلوا على مقام النبوة وتأهلوا لذلك بالإقرار بدين خاتم الأنبياء صلى الله عليه و آله المتضمن لولاية أهل بيته تلو ولاية الرسول صلى الله عليه و آله، فذلك دال

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۹۳

على أنهم لم يحصلوا على تلك المقامات إلا بالإقرار بولاية الرسول وولاية أهل بيته عليهم السلام.

وهذا مما يقضى أن جميع الأنبياء والمرسلين توسلوا وتشفعوا بالنبى وأهل بيته عليهم السلام ليحصلوا على مقام النبوة والحكمة والكتاب، ومما يدعم ذلك قوله تعالى:

«فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» «۱».

وسوف تأتى الرواية التى رواها الحاكم النيسابورى فى تفسير الآية «۲».

وقد أطلق القرآن الكريم الكلمة على عيسى كما مر، والتعبير فى الآية بالكلمات لا الكلمة، ولا ريب أن الكلمة الإلهية أصدق على سيد الأنبياء من عيسى عليه السلام، وقد مر اقتران أهل البيت عليهم السلام بسيد الأنبياء فى مقام التطهير فى سورة الأحزاب «۳»، وفى مقام الحجية فى سورة آل عمران فى آية المباهلة «۴»، وفى مقام الطاعة فى سورة النساء «۵»، وغير ذلك من المقامات فى السور القرآنية.

فتبين من ذلك أن الكلمات التى تاب اللّه بها على آدم بعد توسله وتشفعه هى النبى صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام.

وكذلك فى قوله تعالى: «وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۹۴

جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ» «۱».

إذ الكلمات التى ابتلى بها إبراهيم عليه السلام وامتحن لنيل مقام الإمامة لا ريب أن أحدها هو ولاية سيد الأنبياء صلى الله عليه و آله، كما نصت على ذلك آية أخذ الميثاق التى نحن بصدد الحديث عنها.

وقد مر أن مفاد الآية أخذ الإقرار بولاية أهل البيت عليهم السلام أيضا عليهم فى الميثاق؛ لأنه قد أخذ عليهم الإقرار بدين خاتم الأنبياء المتضمن لكل من ولاية اللّه ورسوله وأهل بيته عليهم السلام، ومن ثم بين القرآن الكريم تفوق علم أهل البيت عليهم السلام- بعلم الكتاب كله- على علم جميع الأنبياء السابقين، حيث أثبتت لهم علم بعض الكتاب، فورد فى شأن أهل البيت عليهم السلام فى سورة الرعد قوله تعالى: «وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ» «۲».

والآية مكية النزول، حيث نزلت فى مكة المكرمة فى بدايات البعثة ناعتة لعلى بن أبى طالب عليه السلام بمن عنده علم الكتاب، والإضافة تقضى الاستغراق مع «أل» العهدية، وكذلك ورد فى شأنهم قوله تعالى: «انَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيم* فِى كِتَابٍ مَّكْنُونٍ* لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ* تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ» «۳».

فأثبتت الآية الكريمة أن المطهرين من هذه الأمة- الذين شهد لهم القرآن بالطهارة- ينالون ويحيطون بالقرآن كله، فى مقام الكتاب المكنون، إذ قد أسند المس للكتاب كله.

وغيرها من الآيات الدالة على علمه عليه السلام، بينما نعت القرآن الكريم العلم الذى

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۹۵

أوتيه النبى عيسى بقوله تعالى: «وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ» «۱».

وقال تعالى فى شأن موسى عليه السلام فى التوراة التى أنزلت عليه: «وَكَتَبْنَا لَهُ فِى الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىءٍ» «۲».

فوصف العلم فى التوراة بالتبعيض، بينما نعت القرآن الكريم بأنه: «وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَىءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» «۳».

وأنه: «تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَىءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ» «۴».

ثم إن قضاء الضرورة الدينية بمقام الشفاعة بالنبى وأهل بيته عليهم السلام يقضى بأن يكون الطلب مباشرة من اللّه هو من قبل الشفيع لا المشفوع له، وأن الاستغاثة بالشفيع ترجع فى حقيقتها إلى طلب الشفاعة من الشفيع، بأن يشفع ويكون الطلب منه مباشرة.

وهذا المفاد ذاتى فى مكونات الشفاعة، فالتوجه بالطلب والاستغاثة بالشفيع من المقتضيات الذاتية للشفاعة التى هى سنة إلهية وقرآنية.

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۹۶

سؤال حول قرب اللّه وضرورة الواسطة إليه ... ص: ۹۶

وقد يعترض قائل بأنه كيف يدعى لزوم الحاجة إلى التوسل والتوجه بالنبى وأهل بيته عليهم السلام فى العبادة للّهودعائه، مع أنه تعالى قد قال: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ» «۱».

فإذا كان البارى تعالى قريب، فأى حجاب وحاجب بينه وبين خلقه؟ فهو لا يحتجب عن خلقه، وقد قال تعالى: «وَنَحْنُ أقرب الَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ» «۲».

الجواب:

إن هذا القائل تخيل أن قرب اللّه تعالى من خلقه ملازم لقرب الخلق منه تعالى، وظن أن قرب أحد الطرفين وهو اللّه من الآخر وهو

الخلق يلازم قرب الخلق منه تعالى، وهذا التوهم مبنى على حساب أن هذا القرب قرب مكانى كقرب جسم من جسم، وتشبيه بالمواد الفيزيائية، فإن فى القرب الجسمانى افتراض قرب أحد الطرفين يلازم قرب الطرف الآخر، ويمتنع افتراض قرب أحدهما من الآخر وافتراض بعد الآخر من الأول.

وهذا بخلاف القرب والبعد المعنوى، فإن قرب اللَّه تعالى من خلقه بمعنى نفوذ قدرته فيهم وسيطرته عليهم وقيامهم بحوله وقوته، واستعلائه على فعله وهيمنته على مخلوقاته.

فقربه تعالى قرب قدرة واقتدار وسيطرة واستعلاء وهيمنة وقيومية ونفوذ علم، فالخلق قائم به تعالى بحوله وقوته، وبفيض مدده يكون كل كائن، فأنى للمخلوق أن

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۹۷

يبتعد قيد شعرة عن قبضته؟! كيف وحاق كينونة ذات المخلوق بيده تعالى.

وقربه تعالى قرب القادر من العاجز، وقرب المحيط من المحاط به، وقرب الغنى من الفقير، وقرب المدد من المستمد، وقرب القوى من الضعيف، وقرب القاهر من المقهور، وقرب ذى البطش النافذ من المنفوذ فيه.

فقدرته تعالى داخلة فى الأشياء لا بالممازجة، وخارجة عنها لا بالمزايلة، فمن ذا يقرب من اللَّه كقربه تعالى من الأشياء، وأنى للأشياء أن تقترب إليه كقربه هو منها.

بل هذا القرب منه تعالى يتلازم مع بعد الأشياء من أن تصل إلى مقامه وعلو شأنه، ومن ثم كان تعالى بعيدا فى قربه وقريبا فى بعده، أى أنه تعالى بعيد عن أن يضاهيه شىء غيره، فى حين أنه قريب القدرة والتصرف والنفوذ فى الأشياء.

ومن ثم عمل العاملون، وعبد العابدون، وأطاع المطيعون، وتسابق المتسابقون، وتنافس المتنافسون فى الاقتراب منه، كما جعلت نية الأعمال والعبادات لأجل الزلفى والقربى منه تعالى، وعلى ضوء ذلك اختلفت درجات قرب العباد وبعدهم منه تعالى.

فهناك المقربون والسابقون الأولون وأصحاب اليمين والأبرار وأصحاب الشمال، وهناك المذحور المطرود المرجوم كإبليس الغوى الرجيم، فليس زلفى العباد على درجة واحدة، ولأجل ذلك اختلف العطاء الإلهى والهبات منه بحسب مقامات القرب والبعد.

واختلاف المخلوقات فى القرب منه تعالى والبعد لا يعنى اختلاف قرب البارى منهم جميعا، بل البارى تعالى قربه من الأشياء كلها على استواء واحد، فإن قدرته تعالى على جميع مخلوقاته سواء العظيم منها والحقير.

فإذا تبين ذلك اتضح أن قرب البارى تعالى من العباد لا يعنى استواء قربهم هم

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۹۸

منه تعالى، وعدم وجود الحجاب بالنسبة إليه تعالى اتجاه الخلق والمخلوقات لا- يعنى عدم وجود الحجاب والحاجب بالنسبة إلى المخلوقات اتجاه البارى تعالى، إذ هذا هو حال المحيط والمحاط به، فإن المحيط لا يحجبه حاجب عن إدراك المحيط به والاقتدار عليه والعلم بشؤونه، لكن ضعف المحاط به أكبر حاجب عن أن يدرك ويحيط بمن هو محيط.

وبعبارة أخرى: هذا هو حال القرب والبعد الناشئ من الكمال والنقص، وهذا هو معنى استواء الرب تعالى على العرش، أى عرش القدرة والعلم. واستواؤه أى سيطرته وهيمنته ونفوذ علمه وقدرته فى الأشياء على استواء وسواسية.

فإذا كانت العلاقة من طرف الخالق إلى المخلوق تختلف عن العلاقة من طرف المخلوق اتجاه الخالق، وأن المخلوقات على اختلاف فيما بين بعضها البعض قربا وبعدا من البارى تعالى، فلا محالة كان بعضها وسيلة للبعض الآخر؛ لأن المخلوق البعيد الضعيف ليس فى قابليته أن يدرك من باريه إلا فعله وهو المخلوقات العظيمة الشأن قربا، والتى تمثل آية للصفات الربانية وعلامة ودلالة للتعرف على شأن الذات الإلهية.

فسبيل معرفة الذات الإلهية ممتنع على المخلوقات الضعيفة لامتناع أن تحيط بذات البارى، بل لا يمكنها إلا نيل شعاع فعل اللَّه، وهى

آياته من مخلوقاته الكريمة المقربة عنده فى الفيض والعطاء والهبات الإلهية.

ومن كل ذلك يتبين الضرورة العقلية للتوسل بالنبى وأهل بيته عليهم السلام والاضطرار إلى التوجه بهم فى مقام المعرفة بالذات الإلهية والإيمان بها ومقام القصد فى العبادة وكل أوبة إليه تعالى، ولنيل كل فيض وعطية ومقام إلهى.

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۹۹

الصفات الإلهية العظمى والحاجة إلى وساطة كلماته تعالى ... ص: ۹۹

إن هذا الشأن- ضرورة التوسل بالموجود المقدس للوصول إلى اللَّه تعالى- جار فى سائر الصفات الإلهية لعدم تناهيها فضلا عن الذات الإلهية، فإن تعاظم تلك الصفات وعدم انتهائها إلى حد محدود يوجب امتناع استغراق الفكر فيها، ويحول دون استقصاء القلب لمعرفة كنهها، وبالتالى يستحيل إدراكها من المخلوقات إلا بتوسط علامات ودلائل فى أفعاله تعالى، وهى مخلوقاته العظيمة، فتكون بمثابة العلامات والآيات والدلائل على تلك الصفات، فتلك المخلوقات أسماؤه الحسنى؛ لأنها سمات وعلامات ودلائل على شموخ صفاته وتعاظمها.

بل إن هذا الشأن مقرر فى أفعال اللَّه وفيضه العميم الدائم الذى لا يبيد كما تشير إلى ذلك عديد من الآيات:

قوله تعالى: «قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا» «۱».

وقوله تعالى: «وَلَوْ إنما فِى الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» «۲».

وكذا قوله تعالى: «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَىٍ» «۳».

فإن لفظة «شىء» مبهمة فضلا عن إضافة لفظة «كل» التى هى من أدل ألفاظ العموم إليها.

وكذا قوله تعالى: «لَايَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى السَّمَاوَاتِ وَلَا فِى الْأَرْضِ وَلَا

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۰۰

أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أكبر الَّا فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ» «۱».

وقوله تعالى: «وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِى السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ» «۲».

وغيرها من الآيات التى تصف الكتاب المبين بالإحاطة بغيب المقدرات الماضية والكائنة فى المستقبل والحاصل فى الحال فى جميع طبقات السماء والأرض.

وكقوله تعالى فى وصف نعيم الجنة: «وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلَّا مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ» «۳».

وقوله تعالى: «مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِى وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأنهار أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ» «۴».

وقوله تعالى فى وصف فاكهة الجنة: «وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ* لَّامَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ» «۵»

. وغيرها من الآيات الواصفة لعظمة أفعاله تعالى وأن فيضه عميم دائم لا يبيد ولا ينقطع، فهو دائم الفضل، فإذا كان هذا شأن فعله سواء فى جانب الهداية أو العلم أو الحكمة أو النور، فمن ذا الذى يحيط بكتاب اللَّه ليزعم ويتزعم تلك المقولة «حسبنا كتاب اللَّه» متوهما أن فى قدرته وإمكانه الإحاطة بكتاب اللَّه، ومن ثم إمكان التمسك بكله وأنى له ذلك!!

فهو الكتاب الذى لا تنفذ كلماته ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى السماء ولا فى

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۰۱

الأرض، ولا غائبة ولا كائنة إلا أحصاها.

تعليق على مقولة الاستغراق فى الرسالة دون الرسول صلى الله عليه و آله ... ص: ۱۰۱

ومن الذى يحيط بشريعة اللّه ورسالته كى يزعم ويوصى بالذوبان فى الرسالة والاستغراق فيها دون الاستغراق والذوبان فى الرسول والأئمة من أهل البيت عليهم السلام، ظنا منه أنه يحيط بالكتاب والرسالة منفكا عن النبى والأئمة والأوصياء عليهم السلام الذين هم على اتصال بالغيوب يسترفدون من بحور غيب اللّه مددا متصلا.

ومن ثم ركز القرآن الكريم وأصر على لزوم الرجوع إلى ثلة من هذه الأمة، مرتبطة بغيب مقامات القرآن الكريم، يتنزل عليها تأويل الكتاب كل عام ليلة القدر وفى كل وقت، وأشار إليهم بالخصوص وشخصهم بالتعيين حيث قال تعالى:

«انَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ، فِى كِتَابٍ مَّكْنُونٍ، لَّايَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» «۱».

فأشار إلى أن القرآن الكريم المجيد فى الكتاب المكنون واللوح المحفوظ لا يمسه ولا يناله إلا المطهرون، وهم الذين شهد القرآن لهم بالتطهير فى قوله تعالى:

«إنما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا» «۲».

فهم أهل بيت النبى وقرابته صلى الله عليه و آله.

وقال تعالى: «هُوَ الَّذِىَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأخر مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُواْ الأَلْبَابِ» «۳».

فخص علم التأويل بالراسخين فى العلم.

وقال تعالى: «بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِى صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا

إِلَّا الظَّالِمُونَ» «۱».

فخص الذين أوتوا العلم بأن القرآن كله آيات بينات فى صدورهم، وليس منه آيات متشابهة عندهم، بل كله آيات بينات محكمات، مما يعزز أن «الواو» فى آية سورة آل عمران للعطف.

وكيف لا- وقد أثبتت سورة الواقعة نيل المطهرين من أهل البيت عليهم السلام للكتاب المكنون، والمطهر غير المتطهر بالوضوء أو الغسل، كما فى قوله تعالى: «انَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ» «۲».

وكما شهد القرآن أيضا لهم فى قوله تعالى: «قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ» «۳».

وهى آخر آية من سورة الرعد المكية نزولا، ولم يكن قد آمن أحد من النصارى واليهود فى مكة قبل الهجرة، حيث ورد أنها نزلت فى على عليه السلام، وكيف لا وهو الذى احتج اللّه به فى آية المباهلة على النصارى واليهود إلى يوم القيامة، وجعله بمنزلة نفس النبى صلى الله عليه و آله، وقد أمر النبى صلى الله عليه و آله ببيان الكتاب كله كما فى مجموعة هذه الآيات:

قوله تعالى: «وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِى اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» «۴».

وقال تعالى: «وأنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ

يَتَفَكَّرُونَ» «۱».

وقوله تعالى: «لَاتُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ* فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ» «۲».

فإن بيان القرآن الكريم كله من المسؤوليات الملقاة على النبى صلى الله عليه و آله ومن بعده على بن أبى طالب عليه السلام الذى هو

بمنزلة نفس النبى صلى الله عليه و آله بشهادة القرآن الكريم، وأنه لقب بأنه من عنده علم الكتاب، ومن بعده أهل البيت من ذريته عليهم السلام.

وكذا قوله تعالى: «وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلاء وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ» «۳».

فبينت الآيات الكريمة أن بيان القرآن الكريم بجميع فصول معارفه من أدناها إلى أعلاها هى من وظيفة سيد الأنبياء صلى الله عليه و آله، أى أنه الذى يحيط علما بالكتاب وبيانه، وأن تبيان القرآن يقوم به ما دام حيا، ومن بعده يقوم به أهل بيته عليهم السلام استمرارا ومواصلة لبيان القرآن الذى لا يحد ولا ينتهى، بل يتنزل تأويله فى كل عام وبالتحديد فى ليلة القدر، لحاجة البشر بحسب ذلك العام، ومن ثم تتنزل الملائكة والروح فى ليلة القدر بتأويل الكتاب، ومن ثم ربط بين تنزل الملائكة والروح ونزول القرآن فى سورة القدر «۴»، وفى سورة الدخان «۵».

فالقرآن والكتاب والرسالة والدين بحر لا ينزف، وغيب لا ينقطع، ولا

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۰۴

يستطيع العقل بكل ما فيه إلا من له موطأ قدم فى علوم الغيب، ويطلع على الغيوب باطلاع من رب العالمين.

فمن ادعى التمسك بالكتاب من دون أن يستمسك بأصحاب القرآن، ومن ادعى الاستغراق فى الرسالة والدين من دون أن يستمسك بالذين يبلغون رسالات اللّه، فقد زيف بأراجيف قد بان عوارها «۱».

على أن تلك المقولة تستلزم الإمامة النوعية إذ لا- يتقيد بالأشخاص، وبالتالى قالب الإمامة نوعى غير منحصر ومختص ولا متقيد بأشخاص، وكذلك الحال فى الرسالة فيؤدى إلى النبوة النوعية، بينما شدد القرآن الكريم على ضرورة الإيمان بالشخوص والأسماء الخاصة للأنبياء، ولم يكتف بالإيمان بالنبوة العامة من دون الإيمان بالنبوات الخاصة، وكذلك الحال فى الاعتقاد بإمامة شخوص قربى

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۰۵

النبى صلى الله عليه و آله وعددهم وعدتهم الإثنى عشر، وأنه الدين القيم.

كما أن خطورة هذه المقولة هى فى هدم هذا الشرط الذى هو شرط ركنى فى صحة وقبول الإيمان، أى هدم التوسل والالتجاء والتوجه بهم، ومن ثم فإن هذه المقولة تتظافر مع مقولة السلفية فى الصد عن النبى وأهل بيته عليهم السلام، وهذه هى غاية الجاحدين والمنكرين للشريعة ولولاية أهل البيت عليهم السلام «۱».

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۰۶

التوفيق بين قربه تعالى منا وبعدنا عنه ... ص: ۱۰۶

إن البارى تعالى قربه إلينا عين بعدنا عنه؛ لأنه قريب إلينا قرب قدرة واستعلاء وقاهرية، ونحن بعيدون عنه قدرة وسلطانا وقاهرية ونورا، حتى أولئك الذين يجحدون التوسل ويحاربون الواسطة بين اللّه وخلقه، هم يقولون بالتوسل بالأعمال وسائر القربات، ومن ثم يطرح عليهم السؤال التالى:

أليس هناك مسافة من جهة العابد بينه وبين المعبود، لا من جهة المعبود للعابد؟

فمن ثم لا بد لك أن تسير على صراط الاقتراب، بأن تهتدى إلى الصراط والطريقة والوسيلة، ومن ثم أكدت أعظم سورة فى القرآن على لزوم الاهتداء إلى الصراط المستقيم، صراط الهداة المنعم عليهم، المعصومون من غضب اللّه، والمعصومون من الضلال، فهم وصراطهم الوسيلة والوصلة للهداية إلى الساحة الربوبية.

فكيف يصد عنهم وقد أمر اللّه بإتباع صراطهم والتمسك بحبلهم، فكون اللّه قريب من جميع عباده لا يعنى أن الكل مقرب، وليس

الكل بدرجة إبراهيم الخليل عليه السلام، بل الأنبياء ليسوا على درجة واحدة، إذ بعضهم أفضل من بعض، فالفاضل يتوسل بالأفضل، كما أن النبى إبراهيم يتوسل ويتبع ويستمسك بسيد الأنبياء صلى الله عليه و آله، كما مر فى آية سورة آل عمران «۱» من أن جميع الأنبياء والمرسلين من آدم ونوح وإبراهيم وسائر الأنبياء والمرسلين عليهم السلام نالوا وحصلوا على النبوة بإقرارهم بولاية سيد الأنبياء وبالتوسل به صلى الله عليه و آله.

احتياج عموم الخلق لوساطة سيد الأنبياء صلى الله عليه و آله ... ص: ۱۰۶

ومن ثم يتساءل:

لماذا الواسطة بين اللَّه وأنبيائه فضلا عما بين اللَّه وخلقه؟ بل بين آدم ونوح

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۰۷

وإبراهيم وموسى وعيسى وبين اللَّه فضلا عن بقية الأنبياء عليهم السلام، مع أن اللَّه قريب يجيب دعوة الداعى إذا دعاه، فهو تعالى أقرب شىء إلى المخلوقات، ولا- تتفاوت المخلوقات إليه فى قربه منها، ومع قربه تعالى لم تحتج الأنبياء عليهم السلام كأولى العزم للواسطة، والحال أنهم أنبياء اللَّه تعالى وفى أعلى مستويات المقربين، فلم يحتاجون إلى الإيمان بنبوة سيد الأنبياء صلى الله عليه و آله والتذلل له بأن يقروا على أنفسهم أنهم تابعون ناصرون له مقرون بولايته، إذ إن الناصر تابع والمنصور متبوع، والتابع مأموم والمتبوع إمام وهو سيد الأنبياء صلى الله عليه و آله، فهو الواسطة بين اللَّه عز وجل وبين أولى العزم من أنبيائه الذين هم عظماء الأنبياء عليهم السلام؟

الجواب:

إن الحجاب بين المخلوق والخالق من جهة المخلوق مع الخالق لا من جهة الخالق مع المخلوق لا يعنى نقص قدرة وقصور فى الخالق، وإنما يعنى عظم الخالق وقصور المخلوق، فالحجاب والحجب الربوبية هى من جهة المخلوقين اتجاه الخالق لا من جهة الخالق اتجاه المخلوقين، ألا ترى أن الرئيس والملك ذا المهابة، والسلطان ذا الحجاب والحجب، أن حاجبه هو من جهة الرعية من دون أن يكون حجابا من جهة الملك عن أن يطلع على الرعية.

ومن ثم يقال فى اللغة السيد المحجب أى المعظم، فالحجاب فى الأصل هو تعظيم لصاحب الحجاب من طرف المحجوب عنه من دون أن يكون ذلك قصورا فى المحجوب ونقصا، فالحجاب يحجب من طرف دون الطرف الآخر.

فكلما تكامل المخلوق كلما عرف من كمال خالقه أكثر فأكثر، فإن الكمال الذى فى المخلوق هو من فعل الخالق وهو آية لصفات الخالق، وكلما نقص كمال المخلوق كلما قلت معرفته بالخالق لقلة ما يعكسه كمال ذاته من كمال الصفات الإلهية، وعلى ضوء ذلك تفاضل الأنبياء فى الفضل والكمال كما قال تعالى: «تِلْكَ

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۰۸

الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ» «۱».

وقوله تعالى: «وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا» «۲»

.فتفاوت درجاتهم وقربهم وبعدهم من اللَّه تعالى، إذ قد مر أن القرب والبعد قرب معرفة وعلم وقدرة وكمال لا قرب جغرافى وبعد جسمانى، فأقربهم إلى اللَّه تعالى أكثرهم كمالا وأكثرهم معرفة، فأقرب الخلق حجاب من جهة الخلق اتجاه الرب، وهو حجاب ربوبى من جهة الخلق أيضا اتجاه الخالق.

نفى الواسطة رؤية إبليسية ... ص: ۱۰۸

فقرب اللَّه من خلقه قرب سيطرة وقدرة وعلو وسلطان، وكل شيء قائم به من السماوات والأرضيين، وكل شيء فى الكون والمكان كذلك قائم باللَّه، فكيف يكون المكان محيطا باللَّه تعالى ونحن بعيدون عن اللَّه قدرة وسلطانا وقاهرية ونورا.

فتعظيم البارى تعالى هو بأن تتوسل بواسطة قريبة، وتوسلك بتلك الواسطة إقرار على نفسك بأنك بعيد فى الصفات الحقيرة عن صفات البارى العظيمة، فالتوسل واتخاذ الواسطة والوصلة عين التعظيم لرب العزة تعالى، ورفض الواسطة كما فعل إبليس هو عين التكبر على اللَّه تعالى، واستنقاص عظمة البارى، كقول إبليس عندما خوطب من قبل اللَّه بأن يتوجه بآدم عليه السلام فى سجوده، حيث قال البارى تعالى: «قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ» «۳».

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۰۹

وقال تعالى: «قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا» «۱».

فإن إبليس رأى التعاظم من ذات نفسه، ورأى أن لا حجاب بينه وبين الحضرة الربوبية، وهذه الرؤية الإبليسية فى الحقيقة استنقاص لمقام الذات الإلهية؛ لأنه يرى أن بكمال ذاته المحدودة يتعرف على كل صفات الرب مع أن كمال إبليس فى الخلقة ناقص ومنحدر.

فمن ثم كان التكبر من جذور الكفر، والعبودية والتواضع من جذور التوحيد، إذ فى العبودية سر وهو الاعتراف بالنقص والفقر الذى هو بدوره اعتراف بتعاظم عظمة البارى.

فتبين أن التوسل من صميم جوهر التوحيد، وجحود التوسل من صميم جوهر الكفر، ومن ثم مر فى آية سورة النساء «۲» تقديم البارى مجى مذنبى الأمة إلى الرسول صلى الله عليه و آله على استغفارهم وندامتهم، إذ بالمجى إلى النبى صلى الله عليه و آله إقرار منهم بالبعد من ساحة البارى، بخلاف مقولة إبليس «أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ» «۳»

، بل يقرون على أنفسهم بالنقص والاحتجاب، وهو تعظيم للبارى تعالى.

النبى وأهل بيته عليهم السلام الأبواب والحجب والسدنة ... ص: ۱۰۹

فالإيمان بوجود الحجب الإلهية من جهة المخلوق اتجاه الخالق هو من الاعتقاد بعظمة البارى وعلوه، ألا ترى إلى قوله تعالى: «انَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۱۰

وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِى سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِى الْمُجْرِمِينَ» «۱».

ألا ترى أن الآية تثبت بين المخلوقين من جهتهم والخالق أبوابا هى حجب مسدودة مفتاحها التصديق بحجج اللَّه المصطفين، والخضوع والتواضع لهم، لا كما فعل إبليس من التكذيب والجحود بمقام خلافة آدم عليه السلام، واستكباره عن السجود والخضوع لولاية آدم، ولا كما فعل المنافقون كما فى قوله تعالى: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ» «۲».

بل بالتصديق بحجج اللَّه الذين اجتباهم واصطفاهم وطهرهم، بالانقياد لولايتهم والتوجه والتوسل بهم، ليكون ذلك مفتاحا وفتحا لأبواب السماوات، فالآية لا تثبت بابا واحدا بل أبوابا، وهذه الأبواب حجب لسماوات الحضرة الإلهية؛ لأن الباب بمعنى الحجاب، فإذا قصد وفتح صار وسيلة ووصلة إلى الهدف، وإذا صد واعرض عنه صار حجابا وسدا.

فوجود الأبواب بين المخلوق من جهته إلى الخالق عقيدة قرآنية أصيلة ومعتقد إسلامى أصيل، والتنكر له جحود لعقيدة ركن فى نظام السنة الإلهية.

ومع الإقرار بأن لسموات الحضرة الإلهية والسدانة الربوبية أبوابا، لا بد من طلب المفتاح لتلك الأبواب، والوسيلة لفتحه والتوجه إلى تلك الأبواب، وليس لك أن تتجهم أن تواجه ربك بأن تخاطب الرب تعالى من دون أن تتوسل إليه بتلك المفاتيح.

وإذا كان عيسى بن مريم وأمه آية كما فى قوله تعالى: «وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۱۱

آيَةً» «۱»

.فكيف بسيد الأنبياء وأهل بيته عليهم السلام!

وقد احتج اللَّه بالنبى وأهل بيته الخمسة من أصحاب الكساء عليهم السلام حججه على العالمين إلى قيام يوم الدين فى آية المباهلة، كما اصطفاهم فى آية التطهير.

وقد جعلت الآية فى سورة الأعراف المتقدمة مفتاح أبواب السموات التصديق بآيات عديدة وليست بآية واحدة، فالإيمان بحجج اللَّه والتصديق بهم والتوجه بهم إلى اللَّه مفتاح أبواب السماء، ألا ترى إلى قوله تعالى فى القبلة التى يتوجه إليها فى الصلاة إلى اللَّه «وهى الكعبة» وقد كان المسلمون يتوجهون إلى بيت المقدس، كما فى قوله تعالى: «وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِى كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ» «۲».

أى ما جعلنا وفرضنا استقبال القبلة إلا لنعلم من ينقاد إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فجعل القبلة غايته الانقياد إلى النبى صلى الله عليه و آله، فى مقابل من ينقلب على عقيبيه، كما فى قوله تعالى: «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفإِن مَّاتَ أو قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِى اللّهُ الشَّاكِرِينَ» «۳».

فباب استقبال القبلة والتوجه إليها هو التوجه بالنبى صلى الله عليه و آله إلى اللَّه تعالى.

وقد كان الامتحان صعبا على قريش إذ كانت قبلتهم التى ورثوها من ملة إبراهيم وإسماعيل هى الكعبة، فتبدلت إلى بيت المقدس فى أوائل الإسلام، واختيار هذا الامتحان الصعب لقريش غايته هو معرفة انقيادهم وتبعيتهم لخاتم

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۱۲

الأنبياء صلى الله عليه و آله.

وقد أشار الإمام زين العابدين على بن الحسين عليهما السلام فى دعائه فى يوم عرفة إلى ذلك حيث يقول: «ولا تردنى صفرا مما ينقلب به المتعبدون لك من عبادك، وإنى وإن لم أقدم ما قدموه من الصالحات فقد قدمت توحيدك، ونفى الأضداد والأنداد والأشباه عنك، وأتيتك من الأبواب التى أمرت أن تؤتى منها، وتقربت إليك بما لا يقرب به أحد منك إلا بالتقرب به، ثم اتبعت ذلك بالإنابة إليك، والتذلل والاستكانة لك» «۱».

وقد كان قد قدم فى أول دعائه الحمد والثناء على اللَّه بالتوحيد والنعت بالصفات الإلهية، ثم أردف ذلك بالإطالة فى الصلاة على النبى صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام ووصفهم بالوسيلة.

فهو يشير بذلك إتيان اللَّه من الأبواب التى أمر بها والتى لا يمكن التقرب إلا منها، كما يشير صلى الله عليه و آله أن بالتوسل والتوجه بهم تتحقق الخطوة الأولى المقدمة على شرائط التوبة، والتى يستأهل المذنب بذلك أن يشرع فى الاستغفار والندم والتوبة، وهو مطابق للآية المتقدمة وهى قوله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا» «۲».

فما فى دعائه صلى الله عليه و آله يشير ويفسر الترتيب فى الآية، بأن المجى إلى النبى واللواذ به والالتجاء إليه والاستعاذة به جعل بابا للوفود والأوبة إلى الحضرة الإلهية، ومن ثم بدأ به فى الآية لأنه باب للاستغفار.

الشفاعة فعل تكوينى ... ص: ۱۱۲

إن طلب الشفاعة فى الحقيقة يرجع إلى نمط من الاستغاثة؛ لأن تشفع الشافع

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۱۳

غوث وإغاثة للمشفوع له، وهذا لا يتنافى مع كون مصدر الإنعام والفضل والشفاعة كلها بيد اللَّه تعالى، وأن كل حول وقوة منه تعالى، لكن جرت سنته تعالى على إجراء الفضل بيد كرام خلقه عليه والمقربين لديه.

وفى الحقيقة فإن الشفاعة من الشافع إذا كانت تكوينية تكون فى الحقيقة إيجاد من الشافع للشى المراد بإذن اللَّه تعالى، والشافع يكون مجرى لفيض اللَّه تعالى، كما هو الحال فى حقيقة المعجزة التى يجريها اللَّه على يد صاحب المعجزة.

فكما تعددت الرؤى والنظريات فى حقيقة المعجزة، هل هى مجرد سؤال من صاحب المعجزة ودعاء منه بإنشاء الكلام؟ أم أنه مقام تمكين يوهب له من اللَّه تعالى، ويستفيض مدده من البارى تعالى؟

بل وقع هذا التحليل فى تفسير مقام مستجاب الدعوة وكرامات الأولياء، هل هى بإنشاء لفظى وطلب اعتبارى؟ أم أنه مقام تمكين وإقدار إلهى يوهب منه تعالى لذلك الولى؟

وهناك قول ثالث يزاوج بين القولين السابقين، فإنه يتقدم الدعاء اللفظى والتوجه القلبى إلى الحضرة الربوبية، ومن ثم يفاض منه تعالى القدرة على نفس الولى تكوينا، فينال مقام التمكين والاقتدار على الفعل.

بل إن تضرع الداعى والتجاءه إلى الحضرة الإلهية هو السبب فى استدرار الفيض والرحمة الإلهية، أى سبب قابلى واستعدادى للجود الربانى، فإن الجود والفضل الإلهى دائم وحتمىّ إذا تمت قابلية القابل، إذ لا بخل فى الحضرة الإلهية ولا عجز.

ومن ذلك يرتفع توهم أن تشفع الشافع عبارة عن مجرد مسألة وطلب لفظى منه يتوجه بها إلى الحضرة الإلهية، فإن روح وحقيقة الدعاء هو الطلب من الحضرة الإلهية وليست مجرد تمتمة لفظية، وإنما قوامه التوجه القلبى والضراعة الروحية من

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۱۴

الداعى حينما يولى وجه قلبه شطر وجه الرب تعالى، وهو وصول إلى حد من حدود العبودية التى تستمطر الفيض التكوينى الربوبى.

فالقول الثالث قول متين يجمع ويزاوج بين خصائص القولين الأولين، فيجمع بين حال العبودية والضراعة الفطرية للمخلوق وحال الإفاضة الإقدارية الربانية، وأن حقيقة الشفاعة والمعجزة ومقام استجاب الدعوة مقامات تكوينية وهبية منه تعالى.

طلب الشفاعة تعلق بالاسم الإلهى التكوينى ... ص: ۱۱۴

إن الشفاعة هى الوساطة وطلب الشفيع من المشفوع إليه أو المشفوع عنده لقضاء حاجة المشفوع له، فالاستشفاع هو بعينه توسل، فصاحب الشفاعة هو الوسيلة والمتوسل إليه هو البارى تعالى، وهو بعينه استغاثة إلى اللَّه تعالى بالوسيلة وبالوجيه عند اللَّه.

وقد أشار السيد العلامة الطباطبائى فى الميزان إلى أن الشفاعة ترجع حقيقتها إلى الشفع فى الأسماء، أى الاقتران، وبالتالى يكون الأثر لمجموع الاسمين، أى أن الذى يتوجه بالشفيع إلى اللَّه يتوجه باسم إلهى ليقترن مع اسم آخر ليكون نجحا لحاجته بالأسماء الإلهية إلى اللَّه، أى توجه إلى اللَّه بأسمائه الحسنى «۱».

وقد مر أن المخلوقات العظيمة التى لها القربى والزلفى والوجاهة عند اللَّه هى الأسماء الإلهية التى يتوجه بها إلى اللَّه تعالى ويدعى بها.

ومن ثم الاستشفاع بسيد الأنبياء صلى الله عليه و آله، والذى قد وصفه البارى تعالى بأنه رحمة للعالمين وأنه بالمؤمنين رءوف رحيم، استشفاع بالرحمة الإلهية وباسمه

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۱۵

الرؤوف الرحيم.

استعراض بعض روايات المقام ... ص: ۱۱۵

وفی ما یلی نستعرض بعض روایات الشفاعة من کتب الفریقین:

عن سعید بن جبیر، عن ابن عباس قال: قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: «أعطیت خمسا لم یعطها أحد قبلی: جعلت لی الأرض مسجدا وطهورا، ونصرت بالرعب، وأحل لی المغنم، وأعطیت جوامع الکلم، وأعطیت الشفاعة» «۱».

تدل الروایة علی أن الشفاعة تکوینیة؛ لأنها عطفت علی مقام جوامع الکلم، ولأن جوامع الکلم عبارة عن الکلمات التکوینیة، وجوامعها عبارة عن التوفر علی کمالات وقدرات الکلمات التامات وقدرات الآیات العظمی.

ورد فی الاحتجاج عنه علیه السلام: «السلام علیک أیها العلم المنصوب، والعلم المصبوب، والغوث والرحمة الواسعة» «۲».

فصفة الحجة المنتظر بأنه الغوث، وهی دالة علی أنه من شؤونه ونعوته ومقاماته أنه یستغاث به ویلتجأ إلیه فی طلب الحاجة.

حدثنا علی بن عیاش قال حدثنا شعیب بن أبی حمزة عن محمد بن المنکدر عن جابر بن عبد اللَّه أن رسول اللَّه صلی الله علیه و آله قال: «من قال حین یسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدا الوسیلة والفضیلة، وابعثه مقاما محمودا الذی وعدته، حلَّت له شفاعتی یوم القیامة» «۳».

حدثنا العباس العنبری، أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن ثابت عن أنس

الامامة الالهیة(۵)، ج۵، ص: ۱۱۶

قال: قال رسول اللَّه صلی الله علیه و آله: «شفاعتی لأهل الکبائر من أمتی».

وفی الباب عن جابر هذا حدیث حسن صحیح غریب من هذا الوجه «۱».

الامامة الالهیة(۵)، ج۵، ص: ۱۱۷

الوجه الثامن: بحث الکلمات ... ص: ۱۱۷

اشارة

ویتحصل من آیات الکلمات أن الکلمات التی یتوسل بها إلی اللَّه تعالی ویتوجه بها إلیه لنیل کل نائلة وللاحتظاء بالزلفی والقربی هی النبی وأهل بیته علیهم السلام.

آیات قرآنیة فی الکلمات الإلهیة ... ص: ۱۱۷

اشارة

قال اللَّه تعالی: «فَتَلَقَّی آدَمُ مِن رَّبِّهِ کَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَیْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِیمُ»».

وقال تعالی: «وَإِذِ ابْتَلَی إِبْرَاهِیمَ رَبُّهُ بِکَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّی جَاعِلُکَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّیَّتِی قَالَ لَا یَنَالُ عَهْدِی الظَّالِمِینَ» «۲».

وقال تعالی: «فَتَلَقَّی آدَمُ مِن رَّبِّهِ کَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَیْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِیمُ» «۳».

وقال تعالی: «وَلَقَدْ کُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِکَ فَصَبَرُواْ عَلَی مَا کُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّی أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِکَلِمَاتِ اللّهِ وَلَقَدْ جَاءکَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِینَ» «۴»

.وقال تعالی: «وَتَمَّتْ کَلِمَتُ رَبِّکَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلِ لِکَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِیعُ

الامامة الالهیة(۵)، ج۵، ص: ۱۱۸

الْعَلِیمُ» «۱».

وقال تعالى: «لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَفِي الآخرة لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» «۲».

وقال تعالى: «وَيُحِقُّ اللّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ» «۳».

وقال تعالى: «وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَامُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا» «۴».

وقال تعالى: «قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا» «۵».

وقال تعالى: «وَلَوْ إنما فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» «۶».

وقال تعالى: «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلَّا الْحَقِّ إنما الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَاثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إنما اللّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلًا» «۷».

ومن مجموع هذه الآيات يظهر أن الكلمة أطلقت على من هو حجة مصطفى لديه تعالى، ومن ثم عبر فى آيات أخرى بتصديق تلك الكلمات، أى الإيمان بمن

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۱۹

هو حجة إلهية، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: «وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ» «۱».

فقوبل فى الآية بين الكتب والكلمات وأسند التصديق إلى الكلمات، مما يدل على الإيمان بالحجج الإلهية المصطفين.

فتبين أن الكلمة الإلهية تطلق فى الاستعمال القرآنى على الحجج الإلهية، وهذا هو الأصل فى معناها الحقيقى، إذ الكلمة هى الشى الدال على المعنى أو الشى المضمر أو الغائب، وحينما تكون دلالة الشى الدال دلالة تكوينية لا بتوسط الاعتبار الأدبى تكون الدلالة حقيقية، وإطلاق الكلمة على الدال حقيقة واقعة، بخلاف إطلاق الكلمة على الدال بالاعتبار الأدبى، فإنه إطلاق مجازى عقلائى.

تحقيق فى معنى الكلمة فى القرآن ... ص: ۱۱۹

ولا يخفى أن هناك تقارب بين معنى الكلمة والاسم والآية، فإن كلًّا من الثلاث فيه معنى العلامية والدلالة، فمن ثم يتطابق الاستعمال فى هذه الطائفة من الآيات مع الطوائف السابقة فى الأسماء والآيات.

ويتبين حينئذ أن معنى حصول توبة اللّه تعالى على آدم عليه السلام بتوسط الكلمات، دال على أن الكلمات وسيلة آدم عليه السلام فى التوجه إلى اللّه تعالى وأوبته ورجوعه، وأنه بتوسط تلك الكلمات عندما توجه آدم بها قبلت توبته منه تعالى.

والتدبر فى هذه الكلمات التى تلقاها آدم عليه السلام يعطى تطابقها مع الأسماء التى علمها اللّه إياه، من كون تلك الكلمات والأسماء حقيقة واحدة غيبية هى غيب السموات والأرض من عالم ملكوت السماوات والأرض، حيث إن الاسم كما مرَّ

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۲۰

يطابق معنى الكلمة الإلهية، فإن كلًا منهما علامة وآية على الصفات والذات الإلهية.

حيث إنه قد وصفت تلك الأسماء وأشير إليها بضمير العاقل والشاعر كما فى قوله تعالى: «وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ» «۱».

وقوله تعالى: «فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء» «۲».

وقوله تعالى: «قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ» «۳».

مما يدل على أن هذه الحقائق هى أنوار ذوات الحجج الإلهية المصطفين من النبى صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام، وهم

الـذين شـرف آدم عليه السـلام بتعليمه إيـاهم، وهـذه الأنوار الإلهيـة وصـفها تعالى بقوله: «قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَمْ إِنِّى أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ» «۴».

وهذه الذوات النورية كما هى أسماء إلهية فإن لها بدورها أسماء تظهر بها، فمن ثم تغاير التعبير فى آيات قصة آدم عليه السلام، حيث ورد التعبير الأول عنها أنها أسماء، ثم بعد عرضهم على الملائكة عبر عنها بقوله تعالى: «فَقَالَ أَنبِئُونِى بِأَسْمَاء هَؤُلاء» «۵».

حيث أضيف إلى ذوات هذه الأسماء أن لها أسماء.

ولا يخفى أن هذه الذوات الشريفة كما أطلق عليها أنها أسماء إلهية، ولها أسماء أطلق عليها أنها كلمات إلهية.

والظاهر أن التغاير حيثى بين الأسماء والكلمات، فإن تلك الذوات النورية الشريفة المخلوقة آيات إلهية، فمن حيث حكايتها عن الصفات والذات الإلهية

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۲۱

حكاية الاسم عن المسمى هى أسماء، وبالنظر إلى ذواتها بما هى هى، أى إذا أمعن النظر إلى ذاتها أولًا ثم أنتقل منها إلى دلالتها على الصفات والذات الإلهية يطلق عليها حينئذ الكلمات.

أو لعلَّ هذه الذوات الشريفة ذات مراتب، ففى أوائل مراتب صدورها عن البارى- وهى أعالى ومعالى مراتبها- يطلق عليها أسماء إلهية، نظرا لجامعيتها للكمالات، وبالتالى شفافيتها فى حكاية العظمة الإلهية، بخلاف مراتبها اللاحقة فإنها وإن كانت على جانبٍ من تمامية الكمال الخلقى؛ إلا أنها دون المراتب الأولى، وبالتالى فهى دونها فى الحكاية والإراءة للشؤون الإلهية والربوبية، فمن ثم كانت تلك المراتب كلمات.

ومن ذلك يتنبه إلى أن الكلمات التى ابتُلى وامتُحن بها إبراهيم عليه السلام لكى ينال مقام الإمامة؛ هى عبارة عن امتحانه بجملة من الآيات الخلقية، وهى من الحجج التى اصطفاها اللَّه تعالى فوق مرتبة النبى إبراهيم عليه السلام.

وقد أشار قوله تعالى: «وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِى قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ» «۱»

. حيث بينت الآية أن النبى إبراهيم عليه السلام وغيره من المرسلين؛ لم يعطوا مقام النبوة والرسالة والكتاب والحكمة إلا بعد أخذ العهد منهم والالتزام بأن يؤمنوا بخاتم الأنبياء، ويلتزموا ويتعهدوا بنصرته ومتابعته والانقياد إليه وطاعته.

فلا ريب أن أول الكلمات التى ابتلى بها إبراهيم عليه السلام وامتحن كى ينال مقام الإمامة هى امتحانه بقبول الإذعان والانقياد لولاية خاتم الأنبياء صلى الله عليه و آله.

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۲۲

ولا ريب أن بقية تلك الكلمات التى امتحن بها إبراهيم عليه السلام ليتأهل للإمامة هى أهل بيت النبى صلى الله عليه و آله، وذلك لإشراك اللَّه تعالى إياهم لخاتم الأنبياء صلى الله عليه و آله فى مواطن عديدة، منها مقام العصمة والتطهير فى آية التطهير كما فى قوله تعالى: «إنما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا» «۱».

ومنها مقام الحجية كما فى قوله تعالى: «فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ» «۲».

فأشركت الآية أهل البيت عليهم السلام بالنبى صلى الله عليه و آله فى مقام الحجية على العالمين، كما أنها نزلت نفس على أمير المؤمنين عليه السلام منزلة نفس النبى صلى الله عليه و آله، كما أنه فى آية الفى والخمس والشهادة على أعمال العباد قرن أهل البيت عليهم السلام بالنبى فى تلك المقامات.

وكذلك فى مقام العلم بالكتاب وغيرها من المقامات التى أشاد بها القرآن الكريم فى النبى صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم

السلام.

كل ذلك مما يبرهن أن الكلمات التى ابتلى بها إبراهيم عليه السلام وامتحن هى انقياده لولايـة خاتم الأنبياء وأهل بيته عليهم السلام، فبطاعته لهم استأهل مقام الإمامة.

ويتحصل من آيات الكلمات أن الكلمات التى يتوسل بها إلى اللَّه تعالى، ويتوجه بها إليه لنيل كل نائلة، وللاحتظاء بالزلفى والقربى؛ هى النبى وأهل بيته عليهم السلام.

وقد ورد فى روايات الفريقين أن اللَّه تعالى قبل توبة آدم عليه السلام عندما توجه بسيد الأنبياء صلى الله عليه و آله، فقد نُقل أن آدم عليه السلام لما اقترف الخطيئة قال: «يا ربى، أسألك بحق محمد صلى الله عليه و آله لما غفرت لى» فقال: «يا آدم، كيف عرفت؟» قال: «لأنك لما خلقتنى نظرت إلى العرش فوجدت مكتوبا فيه: «لا إله إلا اللَّه، محمد رسول اللَّه» فرأيت اسمه مقرونا مع اسمك،

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۲۳

فعرفته أحب الخلق إليك» «۱».

هذا ما ذكره الحاكم فى مستدركه، وفى رسائل المرتضى:

«إن آدم رأى مكتوبا على العرش أسماء معظمة مكرمة، فسأل عنها، فقيل له هذه أسماء أجلِّ الخلق منزلة عند اللَّه تعالى، وأمكنهم مكانة، ذلك بأعظم الثناء والتفخيم والتعظيم، أسماء محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين صلوات اللَّه عليهم، فحينئذ سأل آدم عليه السلام ربه تعالى وجعلهم الوسيلة فى قبول توبته ورفع منزلته» «۲».

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۲۵

الوجه التاسع: دلالة القصد إلى الحج وأداء المناسك على ضرورة التوسل بحضرتهم ... ص: ۱۲۵

اشارة

فمركز رحى الدين مودة آل إبراهيم وآل إسماعيل وهم آل محمد صلى الله عليه و آله، وصار التوجه إلى بيت اللَّه الحرام، والتوجه إلى إقامة شعائر الدين هو توجه إليهم، فهذه هى غاية الحج وغاية الشعائر وتشييد الدين، وهى التوجه إليهم وبهم إلى اللَّه تعالى.

غاية الحج وكماله أن ينفر الناس إلى أهل البيت عليهم السلام، ويقصدوهم ويتوجهوا إليهم وبهم إلى اللَّه تعالى.

وقد أشير إلى ذلك فى آيات الحج المبينة لفلسفته ولأعماله وأركانه، وجعل فى جملة المشاعر والأعمال بصمات وعلامات وآيات ترشد الحاج والمعتمر والناسك إلى التوسل والتوجه بالنبى وأهل بيته عليهم السلام إلى اللَّه تعالى.

وأما الآيات، فمنها قوله تعالى على لسان النبى إبراهيم عليه السلام: «وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ، رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فإنه مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فإنكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ، رَّبَّنَا إِنِّى أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِى

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۲۶

إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ» «۱».

وللتدبر فى معنى الآية لا بد من التركيز على جملة من النقاط:

الأولى: ما هى الغاية من إسكان النبى إبراهيم عليه السلام أهله فى الوادى الذى هو حرم مكة عند بيت اللَّه، أى المسجد الحرام؟ وقد كان إسماعيل عليه السلام وأمه هاجر اتخذا المسجد الحرام بيتا لهما، وقد سمى حجر إسماعيل بذلك؛ لأنه كان من المرافق التى يستخدمها إسماعيل فى شؤون حياته، وتجيب الآية عن الغاية على لسان النبى إبراهيم عليه السلام فى قوله تعالى: «لِيُقِيمُواْ الصَّلَاةَ

فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ» «۲».

وفى قوله تعالى: «وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ» «۳».

فجعل الغايـة من إسـكان أهله فى حرم البيت هو إحياء بيت اللّه الرحمن بإقامـة الصـلاة وسائر العبادات ومعالم الشـريعة، فيحيوا شـعائر التوحيد ومعالمه.

الثانية: إن الذى قام به إبراهيم من إسـكان هاجر وإسـماعيل الطفل الصغير- من دون وجود قرية أو قبيلة أو مأوى أو حمى أو كفيل أو ضامن فى وادى غير ذى زرع، وقد كان موضـعا قاحلا ووواديا قفرا لا ماء ولا كلأ- امتحان صـعب وفداء وتضـحية عظيمة، إلا أن المهم أن يُشيد التوحيد والدين فى تلك البقعة المقدسة كمركز انطلاق، وقد جعل على عاتق ذرية إبراهيم عليه السلام.

الثالثة: ثم عطف كغاية مرتبة على تلك الغاية: «فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ».

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۲۷

فسواء جعلت الفـاء للترتب وترتيب الغايـة تلو الغايـة، أو لترتيب السـبب على المسـبب «۱»، أى أن السبيـل لتشـييد الـدين هو أن تهوى الأفئـدة إلى تلك الذريـة، إذ الضـمير فى «تهوى» يعود إلى الذرية التى اسـكنها إبراهيم عليه السـلام ذلك الوادى، أى إسـماعيل ومن يتوالد منه.

وهـذه الذريـة قـد دعا فى حقها إبراهيم وإسـماعيل دعوات أخرى كما فى قوله تعالى: «وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ» «۲».

فـدعا بأن تكون الإمامـة الإلهيـة فى نسـله من إسـماعيل عليه السـلام إلى يوم القيامـة، ثم قال تعالى بعد تلك الآية مباشـرة: «وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ* وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ* وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ* رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ* رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ» «۳».

فوحدة سياق الآيات يقضى بأن الذرية التى دعا إبراهيم بأن تكون الإمامة فيها هى التى اسكنها عند البيت المحرم، وهى فى البلد الذى دعا أن يكون آمنا،

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۲۸

وهى الذريـة التى دعا إبراهيم وإسـماعيل أن تكون فيها أمة مسـلمة، أى على درجة من التسـليم فى الإسـلام على حذو وصف إبراهيم وإسماعيل بالمسلمين.

فهى الذرية من نسل إسـماعيل التى بقيت الإمامة فى عقبه باستجابة دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام فى خصوص الذرية الطاهرة من نسل إسماعيل، وهم المعنيون فى آخر سورة الحج: «هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ» «۱».

وهم المصـطفون المجتبون من قبل اللّه تعالى للإمامة وللشـهادة على أعمال الخلق، ويكون الرسول صـلى الله عليه و آله عليهم شـهيدا، فهم ذو وصلة بسيد الرسل صلى الله عليه و آله، وهناك تطابق واضح بين آية دعاء إبراهيم: «فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ».

وبين قوله تعالى: «قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى» «۲».

فإن قربى النبى صلى الله عليه و آله كما فرض اللّه على الخلق مودتهم، بين على لسان إبراهيم عليه السلام فى دعائه للّه‌تعالى بأن تهوى قلوب الخلق إليهم، وهو معنى المودة والمحبة إلى ذريته من نسل إسماعيل، الذين دعا فى شأنهم بأن تكون الإمامة فيهم، وهم

المجتبون المسمون بالأمة المسلمة.

فجعلت مودتهم وهوى قلوب الخلق إليهم غاية لتشييد الدين.

والإسكان كان بأمر من اللَّه تعالى، فبين إبراهيم الغاية من أمر اللَّه تعالى بالإسكان، وهى إحياء شعائر ومعالم الدين من الصلاة والحج وتعظيم بيت اللَّه الحرام.

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۲۹

ويترتب على ذلك ثمرة وفائدة قصوى تتمثل فى قوله تعالى: «فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ».

سواء جعلنا حرف «الفاء» لترتيب الغاية على الغاية أى المسبب على السبب، أو لترتب السبب على المسبب.

لاسيما وأن تشييد الدين قد جعل فعلا تقوم به تلك الذرية، أى إن إشادة الدين لا يتم إلا بتوسطهم وعلى يدهم ومن المسؤوليات الملقاة على عاتقهم، وهو بمعنى إمامتهم للخلق وهدايتهم له.

فمن ثم لا- بد من أن تهوى إليهم أفئدة من الناس وهم أهل الإيمان خاصة، ولا بد أن يفترض اللَّه مودتهم على الخلق لينقادوا لهم ويتبعونهم.

فصار محور الصلاة والحج ومحور إقامة وإحياء شعائر ومعالم الدين من المسجد الحرام هو مودة قربى النبى صلى الله عليه و آله، وهوى أفئدة من الناس إليهم، أى ولايتهم.

فمركز رحى الدين مودة آل إبراهيم وآل إسماعيل وهم آل محمد عليهم السلام، وصار التوجه إلى بيت اللَّه الحرام والتوجه إلى إقامة شعائر الدين هو توجه إليهم، فهذه هى غاية الحج وغاية الشعائر وتشييد الدين، وهى التوجه إليهم وبهم إلى اللَّه تعالى.

وقد أشير فى كلام الباقر عليه السلام إلى برهان تاريخى أديانى من السيرة، وهو الذى أشار إليه عليه السلام فيما رواه الكلينى فى الصحيح عن الفضيل عن أبى جعفر عليه السلام نظر إلى الناس يطوفون حول الكعبة، فقال: «هكذا كانوا يطوفون فى الجاهلية، إنما أمروا أن يطوفوا بها ثم ينفروا إلينا، فيعلمونا ولايتهم ومودتهم، ويعرضوا علينا نصرتهم، ثم قرأ هذه الآية: «فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ» «۱».

وفى مصحح أبى عبيدة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام ورأى الناس بمكة وما

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۳۰

يعملون، قال فقال: «كفعال الجاهلية، أما واللَّه ما أمروا بهذا، وما أمروا إلا أن يقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم، فيمروا بنا فيخبرونا بولايتهم ويعرضوا علينا نصرتهم» «۱».

وفى رواية سدير عن أبى جعفر عليه السلام فى حديث قال يا سدير: «إنما أمر الناس أن يأتوا هذه الأحجار فيعرضوا فيطوفوا بها، ثم يأتونا فيعلمونا ولايتهم لنا، وهو قول اللَّه: «وإنى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى* ثم أومأ بيده إلى صدره إلى ولايتنا»».

فيشير عليه السلام فيما مر إلى برهان من الملة الحنيفية الإبراهيمية، ويتضح هذا البرهان بالإجابة على التساؤل عن الفرق بين حج المشركين وحج المسلمين، وكيف تحول الحج الإبراهيمى «حج إبراهيم وإسماعيل» الذى توارثته قريش، من حج إبراهيمى إلى حج شرك وإشراك، ثم تبدل وعاد إلى الحج على الحنيفية البيضاء وهو الحج المحمدى «حج المسلمين»؟ حيث إن المشركين كانوا فى حجهم يتجردون عن الثياب فيحرمون ويطوفون بالبيت، ويسعون بين الصفا والمروة، ويقفون بعرفات، ويزدلفون للمشعر الحرام، ويقربون القرابين فى منى، فيأتون بكل تلك الطقوس والنسك التى تشاهد من المسلمين، فما الذى أوجد الفرق بين حج المشركين وحج المسلمين؟ وما الذى أوجد الفرق بين حج إبراهيم وحج المشركين؟

الجواب: لو فتشنا عن الفرق- بعد الالتفات إلى أن المشركين لا ينكرون أصل وجود اللَّه، وإنما يتقربون إليه بالأصنام والأوثان اقتراحا منهم على ربهم- لا نجده إلا فى نبذ المشركين ولاية إبراهيم وإسماعيل والذرية الطاهرة من إسماعيل إلى

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۳۱

ولايـة الأصـنام والأوثان، أى أنهم تركوا ما هو الغاية من الحج الذى بينه اللَّه تعالى على لسان إبراهيم عليه السـلام فى قوله تعالى: «رَّبَّنَا إِنِّى أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ» «۱».

كما لا نجد الفرق من جانب حج المشـركين مع حج المسـلمين بعد أن خاطب اللَّه عز وجل المسـلمين بقوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إنما الْمُشْـرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ الْمَسْـجِدَ الْحَرَامَ بَعْـدَ عَامِهِمْ هَذَا وأن خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِن فَضْـلِهِ إِن شَاء إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» «۲».

فنهى اللَّه عز وجـل عـن إحرام المشـركين، وعـد طـوافهم بـالبيت وسـعيهم بين الصـفا والمروة ووقـوفهم بالمشـاعر وتقـديمهم القرابين ورميهم للجمرات وصـلاتهم بالبيت اتجاه الكعبة وصدقاتهم واعتكافهم من المنهى عنه، مع أنه فى الصورة يشابه أفعال المسلمين، بينما شرَّع ذلك للمسلمين، وليس الفارق إلا إذعان المسلمين لولاية رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وإقرارهم بالشهادة الثانية ونبذهم لولاية الأصنام والأوثان التى لم ينزل اللَّه بها من سلطان.

أى أن المسـلمين فى عهـد رسـول اللَّه صـلى الله عليه و آله عملـوا وأوفوا بمـا هو عمـاد وركن الحـج الركين، وهو هوى أفئـدتهم إلى الذرية الطاهرة التى هى محل اسـتجابة دعوة إبراهيم بالإمامة والمودة لهم، فوفوا بما هو الغاية من الحج، ومن ثم صار حجهم على نهج حج إبراهيم.

فهـذا برهان تاريخى أديانى تقتضـيه الملـة الحنيفية، دال على أن الحج وأعماله ونسـكه من دون تولى وولاية الذرية المجتباة من نسـل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام،

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۳۲

يقضى بكون أفعال الحج والعبادات كفعال المشركين.

وهذا هو الذى أشار إليه الإمام الباقر عليه السلام كبرهان تاريخى فى الملة داعما لمفاد الآية الكريمة التى هى دليل قرآنى أول.

ثم أشار عليه السلام فى الروايات إلى دليل ثانى وهو قوله تعالى: «وانى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى» «۱».

أى أن المغفرة يشترط فيها أربعة شروط، والشرط الرابع هو الهداية مضافا إلى الإيمان والتوبة والعمل الصالح.

ومن الواضـح أن هذه الهداية أمر وراء أصل الإيمان باللَّه تعالى وبرسوله صـلى الله عليه و آله، كما تشـير إلى ذلك سورة الحمد، فبعد أن اسـتعرضت التوحيـد والنبوة والمعاد أشارت فى ذيلها إلى أن النجاة يشترط فيها الاهتداء إلى صـراط ومنهاج ثلة قد أنعم اللَّه عليهم وعصمهم من الغضب الإلهى ومن أن يضلوا.

وفى مصحح زيد الشحام قال: دخل قتادة بن دعامة على أبى جعفر عليه السلام فقال:

«يا قتادة أنت فقيه أهل البصـرة؟ قال: هكذا يزعمون فقال أبو جعفر عليه السـلام: بلغنى أنك تفسر القرآن؟ فقال له قتادة: نعم، فقال له أبو جعفر؟ بعلم تفسـره أم بجهل؟ قال: لا بعلم، فقال له أبو جعفر عليه السلام: فإن كنت تفسره بعلم فأنت أنت وأنا أسألك؟ قال قتادة: سـل قال: أخبرنى عن قول اللَّه عز وجل فى سبأ: «وَقَـدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِـيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ» فقال قتادة: ذلك من خرج من بيته بزاد حلال وراحلـة وكراء حلال يريـد هـذا البيت كان آمنا حتى يرجع إلى أهله، فقال أبو جعفر عليه السـلام: نشدتك اللَّه يا قتادة هل تعلم أنه قـد يخرج الرجل من بيته بزاد حلال وراحلـة وكراء حلال يريد هذا البيت فيقطع عليه الطريق فتذهب نفقته ويضـرب مع ذلك ضربة فيها اجتياحه؟ قال قتادة: اللهم نعم، فقال أبو جعفر عليه السلام: ويحك يا

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۳۳

قتـادة إن كنت إنمـا فسـرت القرآن من تلقـاء نفسـك فقـد هلكت وأهلكت، وأن كنت قـد أخـذته من الرجال فقـد هلكت وأهلكت، ويحك يا قتادة ذلك من خرج من بيته بزاد وراحلة وكراء حلال يروم هذا البيت عارفا بحقنا يهوانا قلبه كما قال اللَّه عز وجل: «فَاجْعَلْ

أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ» فنحن واللَّه دعوة إبراهيم عليه السلام التى من هوانا قلبه قبلت حجته وإلا فلا، يا قتادة فإذا كان كذلك كان آمنا من عذاب جهنم يوم القيامة، قال قتادة: لا جرم واللَّه لا فسرتها إلا هكذا، فقال أبو جعفر عليه السلام: ويحك يا قتادة إنما يعرف القرآن من خوطب به» «۱».

وفى هذه الرواية مضافا إلى الأدلة السابقة، يشير عليه السلام إلى دليل آخر وهو قوله تعالى: «وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِى بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ» «۲».

وكذا قوله تعالى: «انَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ* فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا» «۳».

وقد أشير إلى هذا الدليل فى رواية أخرى عن الصادق فى حواره مع أبى حنيفة كما فى علل الشرائع، قال: «حدثنا أبو زهير بن شبيب بن أنس عن بعض أصحابه، عن أبى عبد اللَّه عليه السلام قال: كنت عند أبى عبد اللَّه عليه السلام إذ دخل عليه غلام من كندة فاستفتاه فى مسألة فأفتاه فيها، فعرفت الغلام والمسألة فقدمت الكوفة، فدخلت على أبى حنيفة فإذا ذاك الغلام بعينه يستفتيه فى تلك المسألة بعينها، فأفتاه فيها بخلاف ما أفتاه أبو عبد اللَّه عليه السلام، فقمت إليه فقلت ويلك يا أبا حنيفة إنى كنت العام حاجا فأتيت أبا عبد اللَّه عليه السلام مسلّماً عليه فوجدت هذا الغلام يستفتيه فى هذه المسألة بعينها فأفتاه بخلاف ما أفتيته، فقال: وما يعلم جعفر بن محمد أنا أعلم منه، أنا لقيت الرجال وسمعت من أفواههم، وجعفر بن محمد

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۳۴

صحفى أخذ العلم من الكتب! فقلت فى نفسى واللَّه لأحجن ولو حبوا. قال فكنت فى طلب حجة، فجاءتنى حجة فحججت، فأتيت أبا عبد اللَّه عليه السلام فحكيت له الكلام فضحك ثم قال: أما فى قوله إنى رجل صحفى فقد صدق قرأت صحف آبائى إبراهيم وموسى، فقلت ومن له بمثل تلك الصحف، قال: فما لبثت أن طرق الباب طارق وكان عنده جماعة من أصحابه فقال الغلام انظر من ذا فرجع الغلام فقال أبو حنيفة، قال أدخله فدخل فسلم على أبى عبد اللَّه عليه السلام فرد عليه، ثم قال أصلحك اللَّه أتأذن فى القعود؟ فأقبل على أصحابه يحدثهم ولم يلتفت إليه، ثم قال الثانية والثالثة فلم يلتفت إليه، فجلس أبو حنيفة من غير إذنه، فلما علم أنه قد جلس التفت إليه فقال: أين أبو حنيفة؟ فقيل هو ذا أصلحك اللَّه، فقال أنت فقيه أهل العراق؟ قال نعم، قال: بما تفتيهم؟ قال: بكتاب اللَّه وسنة نبيه صلى الله عليه و آله. قال: يا أبا حنيفة تعرف كتاب اللَّه حق معرفته وتعرف الناسخ والمنسوخ؟ قال نعم، قال: يا أبا حنيفة لقد ادعيت علما، ويلك ما جعل اللَّه ذلك إلا عند أهل الكتاب الذين أنزل عليهم، ويلك ولا هو إلا عند الخاص من ذرية نبينا صلى الله عليه و آله ما ورثك اللَّه من كتابه حرفا فإن كنت كما تقول ولست كما تقول فاخبرنى عن قول اللَّه عز وجل: «سِيرُوا فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ» أين ذلك من الأرض؟

قال حسبه ما بين مكة والمدينة، فالتفت أبو عبد اللَّه عليه السلام إلى أصحابه فقال: تعلمون أن الناس يقطع عليهم بين المدينة ومكة فتؤخذ أموالهم ولا يؤمنون على أنفسهم ويقتلون؟

قالوا نعم، قال فسكت أبو حنيفة، فقال يا أبا حنيفة أخبرنى عن قول اللَّه صلى الله عليه و آله: «وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا» أين ذلك من الأرض؟ قال: الكعبة، قال أفتعلم أن الحجاج بن يوسف حين وضع المنجنيق على ابن الزبير فى الكعبة فقتله كان آمنا فيها؟ قال: فسكت، ثم قال له يا أبا حنيفة، إذا ورد عليك شىء ليس فى كتاب اللَّه ولم تأت به الآثار والسنة كيف تصنع؟ فقال أصلحك اللَّه: أقيس وأعمل فيه برأيى، قال يا أبا حنيفة: إن أول من قاس إبليس الملعون قاس على ربنا تبارك وتعالى فقال: «أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ» فسكت أبو حنيفة، فقال يا أبا حنيفة أيما أرجس البول أو الجنابة؟ فقال البول، فقال: فما بال

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۳۵

الناس يغتسلون من الجنابة ولا يغتسلون من البول؟ فسكت، فقال يا أبا حنيفة أيما أفضل الصلاة أم الصوم؟ قال الصلاة، قال: فما بال

الحائض تقضى صومها ولا تقضى صلاتها؟

فسكت، فقال يا أبا حنيفة: أخبرنى عن رجل كانت له أم ولد وله منها ابنة وكانت له حرة لا تلد فزارت الصبية بنت أم الولد أباها، فقام الرجل بعد فراغه من صلاة الفجر، فواقع أهله التى لا تلد وخرج إلى الحمام فأرادت الحرة أن تكيد أم الولد وابنتها عند الرجل فقامت إليها بحرارة ذلك الماء فوقعت عليها وهى نائمة، فعالجتها كما يعالج الرجل المرأة، فعلقت، أى شىء عندك فيها؟ قال: لا واللَّه ما عندى فيها شىء، فقال يا أبا حنيفة: أخبرنى عن رجل كانت له جارية فزوجها من مملوك له وغاب المملوك، فولد له من أهله مولود وولد للمملوك مولود من أم ولد له فسقط البيت على الجاريتين ومات المولى، من الوارث؟ فقال جعلت فداك: لا واللَّه ما عندى فيها شىء، فقال أبو حنيفة: أصلحك اللَّه إن عندنا قوما بالكوفة يزعمون أنك تأمرهم بالبراءة من فلان وفلان فقال: ويلك يا أبا حنيفة لم يكن هذا، معاذ اللَّه، فقال أصلحك اللَّه: إنهم يعظمون الأمر فيهما، قال: فما تأمرنى؟ قال: تكتب إليهم، قال: بماذا؟ قال: تسألهم الكف عنهما، قال: لا يطيعونى، قال: بلى أصلحك اللَّه إذا كنت أنت الكاتب وأنا الرسول أطاعونى، قال يا أبا حنيفة أبيت إلا جهلا، كم بينى وبين الكوفة من الفراسخ؟ قال أصلحك اللَّه ما لا يحصى، فقال كم بينى وبينك؟ قال لا شىء، قال أنت دخلت على فى منزلى فاستأذنت فى الجلوس ثلاث مرات فلم آذن لك، فجلست بغير إذنى خلافا على، كيف يطيعونى أولئك وهم هناك وأنا هاهنا؟ قال فقبل رأسه وخرج وهو يقول: أعلم الناس ولم نره عند عالم. فقال أبو بكر الحضرمى جعلت فداك الجواب فى المسألتين فقال يا أبا بكر سيروا فيها ليالى وأياما آمنين، فقال: مع قائمنا أهل البيت، وأما قوله ومن دخله كان آمنا، فمن بايعه ودخل معه ومسح على يده ودخل فى عقد أصحابه كان آمنا» «۱».

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۳۶

فهذا يدلل على أن المراد من الأمن هو الأمن الأخروى والنجاة من النار، وأنه لا يجازى به إلا من وفى بعهد اللَّه من إتيان الحج والعبادات وهوى فؤاده ومودته إلى الذرية من نسل إبراهيم وإسماعيل، وهم الذين فرضت مودتهم من قربى النبى وعترته عليهم السلام.

ويشير إلى ذلك قوله تعالى فى آيات سورة البقرة من تقييد الأمم بمن آمن، كما فى قوله تعالى: «وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخر» «۱».

وفى رواية للباقر عليه السلام فى قول إبراهيم عليه السلام: «رَّبَّنَا إِنِّى أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ» قال: «نحن بقية تلك العترة، وقال كانت دعوة إبراهيم لنا خاصة» «۲».

وفى رواية أخرى عن الباقر عليه السلام فى قوله تعالى: «رَّبَّنَا إِنِّى أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ» فقال عليه السلام: «ما قال إليه يعنى البيت، ما قال إلا إليهم، أفترون اللَّه فرض عليكم إتيان الأحجار والتمسح بها، ولم يفرض عليكم إتياننا وسؤالنا وحبنا أهل البيت، واللَّه ما فرض عليكم غيره» «۳».

وفى رواية أخرى إشارة إلى دليل آخر وهو قوله تعالى: «ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ» «۴».

فالمفاد أن الطهارة والكمال المرجو من العبادة لا يتم إلا بلقاء الإمام عليه السلام.

وعن عبداللَّه بن سنان، عن ذريح المحاربى قال: قلت لأبى عبد اللَّه صلى الله عليه و آله: «إن اللَّه

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۳۷

أمرنى فى كتابه بأمر فأحب أن أعمله، قال: وما ذاك؟ قلت: قول اللَّه عز وجل: «ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ» قال: ليقضوا تفثهم لقاء الإمام، وليوفوا نذورهم تلك المناسك، قال: عبداللَّه بن سنان فأتيت أبا عبد اللَّه عليه السلام فقلت: جعلت فداك قول اللَّه عز وجل: «ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ» قال: أخذ الشارب وقص الأظفار وما أشبه ذلك، قال:

قلت: جعلت فداك إن ذريح المحاربى حدثنى عنك بأنك قلت له: «لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ» لقاء الإمام «وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ» تلك المناسك،

فقال: صدق ذريح وصدقت إن للقرآن ظاهرا وباطنا، ومن يحتمل ما يحتمل ذريح؟!» «۱».

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۳۹

شواهد من مناسک الحج ... ص: ۱۳۹

تجسد التوسل واللواذ بحضرة الأولياء عليهم السلام ... ص: ۱۳۹

اشارة

ثم إن فی الحج جملة من الشواهد الأخری:

الشاهد الأول: مقام إبراهيم عليه السلام ... ص: ۱۳۹

قال تعالی: «وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى» «۱».

فإن هذا الأمر باتخاذ الحجر التی ركب عليها إبراهيم عليه السلام فی بناء البيت مقاما مقدسا يصلی عنده ويتوجه إليه، ويتوجه به إلی الكعبة، ينطوی علی نفس المفاد من أن العبادات قد أخذ فيها التوجه بأولياء اللّه وأصفيائه من الأنبياء والأوصياء عليهم السلام إلی اللّه تعالی، لاسيما وأن هذا المقام قد نصب فی بيت اللّه الحرام معلما ليدل علی أن العبادة التوحيدية للّه لا تتم ولا تتحقق إلا بولاية أوليائه المصطفين، وأنه كما أن البيت قطب لرحی التوحيد، فبابه هم أولياؤه المصطفون آيات بينات فيه.

ولا يخفی ما فی التعبير بكلمة «مقام» فإنه للتعظيم والتفخيم والتبجيل، مع أن هذا الحجر ليس هو إبراهيم الخليل عليهما السلام، وإنما أضيف إليه لملامسته جسد إبراهيم عليه السلام.

فالمكان الذی اتصل ولامس وماس جسده الشريف أمرنا فی السنة الإلهية أن نتخذه محلا للعبادة ونتوجه فيه ومنه إلی اللّه تعالی.

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۴۰

فما أشد المطابقة بين مفاد هذه الآية وما تقدم من قوله تعالی: «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا» «۱».

حيث جعل البارئ تعالی المجی فی الحضرة النبوية موضعا يزدلف فيه إلی اللّه تعالی ويتقرب فيه إليه ويتوجه فيه ومنه إليه.

فتلاحم التوجه إلی اللّه بالتوجه بالنبی محمد وآله عليهم السلام وإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام إلی اللّه تعالی، فكانوا أبواب سماء الحضرة الإلهية.

الشاهد الثانی: حجر إسماعيل عليه السلام ... ص: ۱۴۰

فإن هذا الحجر قد جعل بضميمة الكعبة مما يطاف به، وقد استخدمه إسماعيل لبعض مرافق معيشته، وفی جملة من روايات الفريقين أن هاجر وإسماعيل مدفونان به، وفيها أن عشرات النبيين قد دفنوا تحته «۲».

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۴۱

فجعل الحجر الذی هو ذكری لإسماعيل عليه السلام ولموضع قبره مطافا، مما يؤكد علی أن المدار فی التوجه إلی اللّه أن يكون

بالتوجه إليه عبر حججه وأصفيائه، ومن هنا جاء فى القرآن قوله تعالى: «وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ» «۱»

فالبيت المقدس وما يحويه من ذكريات الأنبياء عليهم السلام ومقاماتهم وقبورهم وسيلة للصعود إلى عالم الطهارة والحظوة عند اللَّه تعالى.

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۴۲

الشاهد الثالث: ولادة على عليه السلام فى الكعبة ... ص: ۱۴۲

وهذا التخصيص لعلى عليه السلام- وصى رسول اللَّه والمنزل منزلة نفس النبى صلى الله عليه و آله فى آية المباهلة، الذى هو من أهل البيت عليهم السلام فى آية التطهير، والذى هو ولى المؤمنين حصرا بعد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله بنص آية التصدق فى الركوع- بهذه الآية بأن تكون ولادته فى جوف وبطن الكعبة وهى مركز القبلة الإلهية «۱»، ومركز الطواف ومركز بيت اللَّه الحرام، إشارة إلهية واضحة فى أنه كما يتوجه إلى الكعبة لأجل التوجه إلى اللَّه، فكذلك لا بد من التوجه بسيد الأوصياء الذى هو باب مدينة علم

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۴۳

النبى صلى الله عليه و آله لأجل التوجه به إلى اللَّه ورسوله صلى الله عليه و آله.

فالقران والاقتران بين الكعبة ومولد على عليه السلام فى التقدير والقضاء الإلهى تشعير منه تعالى لشعيرة الوسيلة، وأن النبى وأهل بيته عليهم السلام هم وجه اللَّه الذى يتوجه به إليه تعالى، لاسيما مع ما لابس ذلك الحدث من انشقاق الجدار لفاطمة بنت أسد، ومكثها ثلاثة أيام، ومحاولة أبى طالب وقريش فتح باب الكعبة فلم ينفتح، فعلموا أن ذلك بتدبير من اللَّه، وغيرها من الإرهاصات كتسمية المولود، واللوح النازل من السماء والذى علق فى الكعبة وكان فيه اسم على عليه السلام «۱».

وغير ذلك مما أبان عن كون هذا الحدث آية ربانية خص بها البارى على ابن أبى طالب عليه السلام، للتدليل على اصطفائه، وأنه الباب الذى منه يقصد إلى اللَّه ورسوله صلى الله عليه و آله.

ومن ثم عبر المحدث المتتبع نادرة زمانه الميرزا النورى بقوله: «لا يبعد القول بأن ولادة على فى الكعبة من ضروريات المذهب» تدليلا على كونها أمرا عقديا وليس مجرد حدثا تاريخيا «۲».

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۴۵

الشاهد الرابع: شواهد أخرى ... ص: ۱۴۵

ومن الشواهد على البحث الذى نحن بصدده جملة الأعمال الأخرى فى الحج كالسعى بين الصفا والمروة، فإن فيه بصمة وعلامة من آدم صفى اللَّه، ومن ثم سمى الصفا، ومن حواء وهى امرأة، ومن ثم سمى مروة، حيث ورد أن آدم نزل على الصفا عندما أهبط، وحواء نزلت على المروة.

مضافا إلى ارتباط استحباب الشرب من زمزم بنبع الماء لإسماعيل وهاجر، وكذلك عرفات حيث سميت بذلك لاعتراف آدم عليه السلام بخطيئته إلى اللَّه تعالى بترك ما هو أولى، وكذلك المزدلفة حيث ازدلف آدم إلى ربه فيها، وكذلك ذبح الهدى كقربان فى منى وكافتداء عن إسماعيل.

وبالجملة فهذه النسك مضافا إلى كونها عبادات للَّه‌تعالى، فإنها مقترنة بمشاهد للأنبياء والمرسلين عليهم السلام مذكرة بهم احتفاء بهم

وبأسمائهم، وتقربا باحتذائهم إلى اللّه

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۴۶

كسبيل وباب إليه تعالى.

ومن ثم يتفطن إلى ما فى لزوم الإتباع لسنة الرسول صلى الله عليه و آله من معنى التوجه به إلى اللّه تعالى، كما فى قوله تعالى: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخر وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا» «۱».

فإن التأسى به توجه به إلى اللّه، وتقديمه إماما وافدا فى السير والوفود على اللّه، فيكون سيره وسيرته سبيلا يتوجه به إلى اللّه تعالى، وبابا يطرق للوفود على الحضرة الإلهية، فلا يتوجه إلى اللّه إلا بتقديمهم له إماما سواء فى نهج المعرفة أو فى سبيل العمل.

أو ليس الجائى بمعارف القرآن من عند اللّه تعالى هو رسول اللّه صلى الله عليه و آله فضلا عن شريعة الأعمال، فمن وحد اللّه قبل عنهم ومن قصده توجه بهم، وهذا هو معنى اتخاذهم عليهم السلام وسيلة إلى اللّه تعالى.

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۴۷

الوجه العاشر: قاعدة الإثبات بلا تشبيه والتنزيه بلا تعطيل ... ص: ۱۴۷

اشارة

فلا سبيل إلى التوحيد فى الذات والصفات والأفعال بالنحو الذى ذكرناه إلا بتقرير العظمة الإلهية والكمال اللا متناهى، وهو إنما يتقرر بتقرير أن الذات الإلهية أعظم من صفات الفعل ومن أسمائها وأفعالها.

إن السنن الإلهية فى الصفات والأفعال ونظام الوسائط هو نظام تنزيه بلا تعطيل وإثبات بلا تشبيه.

فإن تطبيق هذه القاعدة فى إقامة التوحيد خروجاً عن حد التشبيه وحد التعطيل فى مقام الأفعال، وكذلك فى مقام الصفات الفعلية والأسماء الحسنى، هو بتثبيت النسبتين المعبر عنه بنظام الوسائط.

وليس المراد من هذا العنوان ما قد يتخيل من أن الفعل إسناده إلى البارى من بعيد، وإسناده إلى الواسطة المخلوقة من قريب، فإن هذا نحو من التعطيل أو التشبيه بصدور الأفعال من العقول بأن يتصور نحو استغناء فى الوسائط عن البارى.

كما أنه ليس المراد من قرب إسناد هذه الأفعال من البارى التشبيه بتصوير مباشرة البارى للمادة أو النفس فى صدور الأفعال منه، فكم أخطأ من يتصور أن الإسناد من قرب يعنى الملابسة للمادة والمباشرة كمباشرة النفس، كما أنه يخطأ من

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۴۸

ينزه البارى عن ملابسة المادة، وعن المباشرة كمباشرة الروح، بأن يتصور أن إسناد الفعل للبارى على ضوء ذلك هو عن بعد، فإن البعد والقرب فى إسناد الأفعال ليس بمباشرة المادة وعدمها، ولا بملابسات الروح، ولا بالبعد والقرب الجغرافى والجسمانى، بل إنما هو بسيطرة القدرة ونفوذ القوة وهيمنة السلطان، فإن كل شىء قائم به.

فهذه القاعدة لا يقتصر فى مراعاتها كقاعدة أسسها أهل البيت عليهم السلام وكشفوا عنها، وتلقتها سائر المدارس الكلامية بالقبول- لسانا وشعارا لكنهم أخفقوا فى تطبيقها فى مجالات عديدة من مسائل العقيدة، فلربما ترى بعض المدارس تراعى تلك القاعدة فى تنظير معرفة التوحيد فى مقام الذات لكنها تخفق فى مراعاتها فى تنظير التوحيد فى مقام الصفات أو مقام الأفعال، بل قد وقع فى ورطة الإخفاق فى مراعاة القاعدة فى المقامين الآخرين جملة من المدارس الإسلامية فى مقام دون مقام؛ لأن أهل البيت عليهم السلام قد شددوا فى مراعاتها فى كل المقامات، فترى المدارس الإسلامية الأخرى قد جعلت جملة من الصفات الفعلية للبارى تعالى من منزلة ومقام الصفات الذاتية، فوقعت فى التشبيه كما فى قوله تعالى: «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ» «۱»

فجعلوا الأيدى هاهنا من الصفات الذاتية مع أنها من صفات الفعل.

وكذلك قوله تعالى: «وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِى فِى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ» «۲»

وقوله تعالى: «وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِى» «۳»

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۴۹

فجعلوا الأعين والعين صفة الذات بينما هى من صفات الفعل.

وكذلك قوله تعالى: «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فان* وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» «۱»

فجعلوا الوجه صفة الذات بينما هى صفة الفعل.

وقوله تعالى: «يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِى جَنبِ اللَّهِ وإن كُنتُ لَمِنَ السَّآخرينَ» «۲»

فجعلوا الجنب صفة الذات بينما هو صفة الفعل.

وقوله تعالى: «يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ» «۳»

وقوله تعالى: «وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ» «۴»

فجعلوا الكلام صفة الذات بينما هو صفة الفعل.

وقوله تعالى: «وَهُوَ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ» «۵»

وقوله تعالى: «وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ» «۶»

وقوله تعالى: «وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وإنا لَمُوسِعُونَ» «۷»

وقوله تعالى: «قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۵۰

كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ» «۱»

وغيرها من الصفات الأخرى فى القرآن الكريم، فجعلوها من صفات الذات فوقعوا فى أعظم تشبيه للخالق بالمخلوقات كأحكام التجسيم أو التشبيه بالنفس والروح أو الفعل.

فجعلوا لعين الذات الإلهية عينا ويدا وجنبا ووجها وساقا ونحو ذلك، بينما هناك فرق بين ثبوت صفات الفعل للذات الإلهية وثبوت صفات الذات للذات الإلهية، فإن صفات الذات عين الذات، بينما صفات الفعل هى عين الفعل لا عين الذات، نعم هى قائمة ومملوكة للذات الإلهية، كمملوكية جميع المخلوقات للذات الإلهية، ومن هذا القبيل قوله تعالى: «وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِى أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ» «۲»

فإن هذه الأسماء أضيفت إليه تعالى بلام الملكية والاختصاص للدلالة على أنها مملوكة له تعالى، وهذه الأسماء هى عين صفات الفعل، كما مر بيان ذلك فى رواية هشام بن الحكم عن الصادق عليه السلام.

بينما أكدت مدرسة أهل البيت عليهم السلام على أن هذه الصفات صفات فعل وليست صفات الذات، وأن من يسند هذه الصفات إلى الذات على نحو صفات الذات فقد وقع فى التشبيه.

ومن ثم ورد عن أمير المؤمنين وعنهم عليهم السلام أنهم عين اللَّه الناظرة ولسانه الناطق وجنبه وعيبة علمه، وأنهم يده الباطشة وأذنه الواعية.

وكذلك وقع أكثرهم فى التشبيه فى إسناد الأفعال إليه تعالى، فجعلوا إسناد تلك

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۵۱

الأفعال على نمط إسنادها إلى غير اللَّه تعالى، وهو إثبات بتشبيه كما فى العديد من الآيات:

قوله تعالى: «فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ» «۱»

وقوله تعالى: «يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُون» «۲»

وقوله تعالى: «وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا» «۳»

وقوله تعالى: «رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» «۴»

وكذلك قوله تعالى: «قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ» «۵»

وكذا قوله تعالى: «لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ» «۶»

وقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ» «۷»

وقوله تعالى: «وَاللّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاء» «۸»

.الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۵۲

وقوله تعالى: «فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا» «۱»

وقوله تعالى: «كَرِهَ اللّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُواْ مَعَ الْقَاعِدِينَ» «۲»

وقوله تعالى: «لَمَقْتُ اللَّهِ أكبر مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإيمان فَتَكْفُرُونَ» «۳».

وغيرها من سائر الأفعال التى أسندت فى ظاهر الكتاب إلى الذات الإلهية، فحمل الإسناد فى هذه الأفعال على نمط الإسناد إلى المخلوقين، وهو ما يستلزم القول بطرو الأحوال الحادثة على الذات الإلهية، وسبحان اللَّه عما يصفون.

وهو من التشبيه فى الأفعال إما بالأفعال الصادرة من النفس أو الروح أو الصادرة من الجسم، بينما إسناد هذه الأفعال المفروض فيه أنه بنمط آخر، كما فى إسناد أى فعل يصدر من المخلوق، فإن له نسبة إسناد إلى اللَّه لا تستلزم الجبر، فإن نسبة الأفعال إلى اللَّه هى بنمط ما منه الوجود، أى ما كان ابتداء ونشأة وإبداع وجوده منه تعالى.

ونسبة الأفعال نفسها إلى المخلوقين نسبة ما به الوجود، كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: «وأن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَذِهِ مِنْ عِندِ اللّهِ وأن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللّهِ فَمَا لِهَؤُلاء الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا* مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا» «۴»

.فتدل الآية على أن تقدير الأمور كلها من عند اللَّه تعالى، كما تدل على أن

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۵۳

مطلق الخير وإن صدر على يد العبيد وأسند إليهم، إلا أن منشأه وابتداءه هو من عند اللَّه تعالى، وقد ورد فى الحديث القدسى: «إن اللَّه أولى بحسنات العبد من نفسه كما إن العبد أولى بالسيئات من اللَّه» «۱».

وبعبارة أخرى:

إن جملة هذه الأفعال هى أفعال من يلابس المادة أو الجسم أو النفس، وصدورها عن البارى لا بالملابسة، وإن كان ذلك الفعل لا ينفك عن الملابسة لتقوم هويته بتلك الملابسة، وتقوم نسبته إلى النفس أو المادة أو الجسم، فمن ثم تكون له نسبتان:

الأولى: نسبة إلى البارى بنحو الإبداع.

الثانية: نسبة إلى المخلوق بنحو التكوين أو التوليد.

و من ثم أشير إلى هاتين النسبتين فى جملة من الآيات، وأسند الفعل إلى كل من الذات الإلهية، وإلى ذات المخلوقين، كما فى:

قوله تعالى: «وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ» «۲»

.وقوله تعالى: «وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ» «۳»

.وقوله تعالى: «وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا» «۴»

.فأسند تعالى التأييد إلى كل من الذات الإلهية وإلى روح القدس والجنود الغيبية، فدخل حرف «الباء» على مجرى الفيض وواسطة الإيجاد، وكذا في:

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۵۴

قوله تعالى: «وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ» «۱»

.وكما في قوله تعالى: «الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ» «۲»

.وقوله تعالى: «حَتَّى إذا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ» «۳»

.وقوله تعالى: «قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ» «۴»

.وقوله تعالى: «اللَّهُ يَتَوَفَّى الأنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا» «۵»

.فأسند الموت في هذه الآيات إلى ثلاث نسب، أي إلى كل من أعوان ملك الموت من الملائكة والرسل، وإلى ملك الموت نفسه، وإلى الذات الإلهية.

معنى نسبة الفعل بإسنادين لفاعلين بالطولية ... ص: ۱۵۴

وقد عبر عن التوفيق بين النسب السابقة بأنها على نحو النسب الطولية، وقد يوهم هذا التعبير ما مر من إسناد الفعل إلى الذات الإلهية من بعد، وإسناد الفعل من قرب إلى المخلوقين، وهذا معنى خاطئ للطولية.

بل المراد من الطولية تقوم كل من المخلوق وفعله بالذات الإلهية، فكل شيء قائم به، وكل حول وقوة به تعالى، أي أن المراد من الطولية افتقار الفعل والفاعل من المخلوقين إليه تعالى، والتقوم والانتهاء إليه.

وإن نسبة الفعل إلى ملك الموت وأعوانه ليس بنحو يستقل عن نسبة الفعل إلى

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۵۵

البارى، فنسبة الفعل إليهم ليست في عرض يغاير ويباين ويستقل عن ذات النسبة التي للبارى تعالى، بل النسبة إليهم متقومة بتلك النسبة التي إليه تعالى.

ويضاف أن هناك مغايرة بين النسبتين في أن النسبة التي للملائكة ولملك الموت هي بمباشرة ملك الموت وأعوانه لنحو ما للمادة، ولارتباط معين بالروح، بخلاف نسبة الإماتة للبارى تعالى، فإنها ليست بتعلق ببدن الميت ولا بمحاذاة روحية، بل بنسبة إبداعية خالية من شوب نقائص الاحتياج إلى المادة أو ما يتعلق بالمادة كالنفس.

ومن ثم ورد عنهم عليهم السلام أن معنى غضب اللَّه أن يغضب أولياؤه، وأن ابتهاجه تعالى هو ابتهاج أوليائه المصطفين وهكذا، وإليك بعض الروايات:

في الكافي عن الحارث بن المغيرة النصري قال: سئل أبو عبد اللَّه عليه السلام عن قول اللَّه تبارك وتعالى: «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ» فقال عليه السلام: «ما يقولون فيه؟ قلت:

يقولون: يهلك كل شيء إلا وجه اللَّه. فقال: سبحان اللَّه لقد قالوا قولا عظيما، إنما عنى بذلك وجه اللَّه الذي يؤتى منه» «۱».

وعن حمزة بن بزيع، عن أبي عبد اللَّه عليه السلام في قول اللَّه عز وجل: «فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ» فقال: إن اللَّه عز وجل لا يأسف كأسفنا ولكنه خلق أولياء لنفسه يأسفون ويرضون وهم مخلوقون مربوبون، فجعل رضاهم رضا نفسه وسخطهم سخط نفسه؛ لأنه جعلهم الدعاة إليه والأدلاء عليه، فلذلك صاروا كذلك، وليس أن ذلك يصل إلى خلقه، لكن هذا معنى ما قال من ذلك وقد قال: «من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ودعاني إليها»، وقال: «من يطع الرسول فقد أطاع اللَّه» وقال: «إن الذين يبايعونك إنما يبايعون اللَّه، يد اللَّه فوق أيديهم»، فكل هذا وشبهه على ما ذكرت لك،

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۵۶

وهكذا الرضا والغضب وغيرهما من الأشياء مما يشاكل ذلك، ولو كان يصل إلى اللَّه الأسف والضجر، وهو الذى خلقهما وأنشأهما لجاز لقائل هذا أن يقول: إن الخالق يبيد يوما ما؛ لأنه إذا دخله الغضب والضجر دخله التغيير، وإذا دخله التغيير لم يؤمن عليه الإبادة، ثم لم يعرف المكون من المكوَّن، ولا القادر من المقدور عليه، ولا الخالق من المخلوق، تعالى اللَّه عن هذا القول علوا كبيرا، بل هو الخالق للأشياء لا لحاجة، فإذا كان لا لحاجة استحال الحد والكيف فيه، فافهم إن شاء اللَّه تعالى «۱» «۲».

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۵۷

وعن زرارة، عن أبى جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول اللَّه عز وجل: «وَمَا ظَلَمُونَا وَلكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» قال: إن اللَّه تعالى أعظم وأعز وأجل وأمنع من أن يظلم ولكنه خلطنا بنفسه، فجعل ظلمنا ظلمه، وولايتنا ولايته، حيث يقول: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ» يعنى الأئمة منا.

ثم قال فى موضع آخر: «وَمَا ظَلَمُونَا وَلكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» «۱» «۲».

وكذلك ما ورد من الأفعال التى هى أليق بالمخلوقين من الخالق، فإن اللَّه لا يعتريه ما يعترى النفوس والأرواح من الأحوال والعوارض، ولا يقتصر قصور العقول.

ومن ثم نخرج بقاعدة عامة أن جملة صفات الأفعال وأسمائها، والأفعال هى مخلوقات لا هى عين الخالق، ولا هى أمور تعترى ذاته، وإنما هى مخلوقات تقوم به صدوراً، وهذه المخلوقات لها نسب إلى ذوات مخلوقة، فتتحقق فيها نسبتان نسبة إلى ذات الخالق تعالى، ونسبة إلى تلك الذوات المخلوقة، إلا أن نسبتها إلى الذات الإلهية نسبة الصدور من الخالق، وما منه الوجود ينشأ ويبتدئ، ونسبتها إلى

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۵۸

تلك الذوات ما به الوجود، أى ما يجرى به الفيض الإلهى ويظهر بصورته ويلابسه، أى يلابس الفعل الإلهى تلك الذوات المخلوقة.

ومن ذلك يتبين أن الارتباط بالذات الإلهية وعبر فعله تعالى والذى يكون اسماً وصفة ونفس تلك الأفعال هى ذوات مخلوقة شريفة، وهى آيات دالة وكاشفة عن العظمة الإلهية، وعظمة الكمال الذاتى.

وبذلك يظهر إن الوصول والزلفى والتوجه إلى الذات الإلهية لا يقدر عليه المخلوق إلا عبر التوجه بتلك الآيات والذوات الشريفة المخلوقة، فهى وسائل للمعرفة الإلهية والقربى والزلفى للحضرة الإلهية.

فلا سبيل إلى التوحيد فى الذات والصفات والأفعال بالنحو الذى ذكرناه إلا بتقرير العظمة الإلهية والكمال اللامتناهى، وهو إنما يتقرر بتقرير إن الذات الإلهية أعظم من صفات الفعل ومن أسمائها وأفعالها، وما هذه الأمور إلا آيات وعلامات على عظمة السذات الإلهية.

لأن هذه الأمور حيث اشتملت على نسب خلقية، فلا محال أن تكون محدودة، فلا تكون عين الخالق، بل مخلوقة دالة عليه، ووسيلة إلى معرفة عظمته، وأنه فوقها وهى دونه، ومن ثم هى متكثرة لمحدوديتها، وهو الواحد الأحد الذى ليس له حد يكثره.

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۵۹

الفصل الثانى تحليل مفاد وأبعاد يا محمد ويا على ... ص: ۱۵۹

اشارة

فهذا اللفظ الحاكى للنداء والتوجه هو بنفسه عبادة راجحة أصيلة من جذر تعاليم الدين، فهو ذكر صلاتى عظيم ومن أحكامه الفقهية الثابتة بطلان صلاة كل مسلم دان بدين الإسلام إن لم يأت به، فكيف بما هو خارج الصلاة!!

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۶۱

المقام الأول: مقام النداء ... ص: ۱۵۹

اشارة

فيكون التركيز التربوى فى الصلاة على التوجه لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله وندائه ومخاطبته، ومخاطبة عباد اللَّه الصالحين تجذير لهذه السنة الدينية الأصيلة لدوام التوجه والاتصال برسول اللَّه صلى الله عليه و آله وعدم الانقطاع عنه، وأن بالتوجه إليه يتوجه إلى اللَّه تعالى.

إن قول «يا محمد» أو «يا على» فى التركيب اللغوى يشتمل على «يا» النداء والمناداة، ويتضمن فى معناه توجه من المنادى إلى المنادى، كما أنها تشتمل على فعل التنبيه، أى جلب التفات المنادى للمنادى، فهى فى قوام معناها توجه وخطاب يوطأ لما بعده من الكلام، وهو فى نفسه بهذا القدر ليس إلا توجه وخطاب ونداء ونحو زيارة لفظية ومعنوية من بعد، كما فى قول المصلى المسلم فى داخل الصلاة: «السلام عليك أيها النبى ورحمة اللَّه وبركاته» فهو فى لب معناه زيارة وتوجه ونداء، فإن عبارة «أيا» من أدوات النداء مثلها مثل «يا» النداء؛ لأن النداء قد يصاغ ب «يا» وقد يصاغ ب «أيا» ونحوه.

فهذا اللفظ الحاكى للنداء والتوجه هو بنفسه عبادة راجحة أصيلة من جذر تعاليم الدين، فهو ذكر صلاتى عظيم، ومن أحكامه الفقهية الثابتة بطلان صلاة كل مسلم دان بدين الإسلام إن لم يأت به فكيف بما هو خارج الصلاة!!

وكذلك من أذكار الصلاة الشريفة قول المصلى: «السلام علينا وعلى عباد اللَّه

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۶۲

الصالحين» فإنه توجه وخطاب إلى عباد اللَّه الصالحين، وتكرار ذلك الخطاب والذكر فى الخمس الصلوات يمثل تربية من الدين الحنيف للمسلم على التوجه والنداء اليومى المكرر لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله ولعباد اللَّه الصالحين أى المصطفين من حجج اللَّه تعالى.

هذا فضلا عما لو أتى العابد بالنوافل المرتبة وغيرها، فإن هذا الذكر والتوجه والنداء سيتكرر عشرات المرات.

فيكون التركيز التربوى فى الصلاة على التوجه لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله وندائه ومخاطبته ومخاطبة عباد اللَّه الصالحين تجذير لهذه السنة الدينية الأصيلة لدوام التوجه والاتصال برسول اللَّه صلى الله عليه و آله وعدم الانقطاع عنه، وأن بالتوجه إليه يتوجه إلى اللَّه تعالى، كما أن بدوام التوجه إلى الكعبة وهى أحجار يحصل التوجه إلى البارى تعالى، فقد جعل اللَّه فى سورة البقرة تولية الوجه شطر المسجد الحرام هو من التولية لوجه اللَّه تعالى، فإذا كان المسجد الحرام استحق اسم وجه اللَّه فكيف بخاتم الأنبياء صلى الله عليه و آله وخاتم الأوصياء عليه السلام؟!

وقد ندب القرآن الكريم إلى التوجه إليه فقال اللَّه تعالى آمرا الناس: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا» «۱».

وقال تعالى فى صفة المنافقين: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ» «۲».

فالذى ينقطع عن التوجه برسول اللَّه صلى الله عليه و آله فقد أخذ بسنة إبليس فى استكباره عن

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۶۳

التوجه بآدم الذى هو خليفة اللَّه فى أرضه.

وليس وراء التحسس والإثارة على هذا الذكر الشريف «يا محمد» و «يا على» من ثمرة إلا قطع الصلة والاتصال والارتباط والتوجه للنبى صلى الله عليه و آله والوصى عليه السلام، مع أن هذا الذكر درس فى الصلاة التى هى عمود الدين أقيم لبيان أن الصلاة لا تقبل من دون نداء النبى صلى الله عليه و آله والتوجه إليه والزيارة له ولو عن بعد، فضمنت الصلاة زيارة النبى صلى الله عليه و آله لبيان أن

الصلاة كما هى معراج المؤمن هى أيضا حضور وتوجه إلى النبى صلى الله عليه و آله وزيارة له، وأنها لا تصح إلا بذلك كما لم تصح عبادة إبليس عندما رفض التوجه بآدم عليه السلام فى عبادته، فكان جزاؤه أن طرد عن باب رحمة اللَّه مذؤوما مدحورا رجيما، ووجبت عليه اللعنة الإلهية إلى يوم الدين، وقد قال تعالى: «انَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِى سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِى الْمُجْرِمِينَ» «۱».

وبضم قول اللَّه تعالى: «وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ» «۲»

إلى الآية السابقة نفهم أن الذى لا يتوجه إلى رسل اللَّه وحججه عليهم السلام لا تفتح له أبواب السماء لصعود عبادته ودعائه، وهذا ما يفسر لنا سر تركيز الدين على زيارة النبى صلى الله عليه و آله وندائه والتخاطب معه والتوجه إليه ولو من بعد الديار فى كل صلاة، كى تقبل وتصح وترتفع وتفتح لها أبواب السماء، بل لم يقتصر على زيارة النبى فى الصلاة اليومية مفروضة ومندوبة، وإنما ضمنت زيارة بقية الحجج عليهم السلام الذين هم عباد اللَّه الصالحين، كما نص على ذلك القرآن الكريم حيث وصف جملة من الأنبياء بمصطلح العبد الصالح.

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۶۴

بل ذهب الصدوق فى الفقيه والمقنع والهداية، والنراقى فى المستند، والنورى فى المستدرك، والمفيد فى المقنعة، والطوسى فى النهاية، والحلبى فى الكافى، وسلار فى المراسم، وابن براج فى المهذب، وغيرهم، إلى هذه الصورة من التسليم الصلاتى، وصورته اللفظية كما فى الفقيه: «السلام عليك أيها النبى ورحمة اللَّه وبركاته، السلام على محمد بن عبداللَّه خاتم النبيين، السلام على الأئمة الراشدين المهديين، السلام على جميع أنبياء اللَّه وملائكته ورسله، السلام علينا وعلى عباد اللَّه الصالحين» «۱».

وأما صورة التسليم بالكيفية المتعارفة وهى: «السلام علينا وعلى عباد اللَّه الصالحين» فعليها عامة المذاهب الإسلامية بشى يسير من الاختلاف.

ونضيف هنا أن النداء للرسول والأئمة عليهم السلام ذكر عبادى متواتر فى الزيارات المأثورة للنبى صلى الله عليه و آله عند الفريقين والمتواتر من زيارات أئمة أهل البيت عليهم السلام.

فأما من طرق العامة فقد جاء فى كتاب المغنى:

ويروى عن العتبى قال: كنت جالسا عند قبر النبى صلى الله عليه و آله فجاء أعرابى فقال:

السلام عليك يا رسول اللَّه سمعت اللَّه يقول: «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللّهَ تَوَّاباً رَحِيماً» وقد جئتك مستغفرا لذنبى مستشفعا بك إلى ربى. ثم أنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الإعرابى، فحملتنى عينى فنمت فرأيت النبى صلى الله عليه و آله فى النوم فقال: يا عتبى إلحق الإعرابى فبشره أن اللَّه قد غفر له.

ويستحب لمن دخل المسجد أن يقدم رجله اليمنى ثم يقول بسم اللَّه والصلاة على رسول اللَّه اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد واغفر لى وافتح لى أبواب

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۶۵

رحمتك وإذا خرج قال مثل ذلك، وقال وافتح لى أبواب فضلك، لما روى عن فاطمة بنت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله ورضى اللَّه عنها أن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله علمها أن تقول ذلك إذا دخلت المسجد.

ثم تأتى القبر فتولى ظهرك القبلة وتستقبل وسطه وتقول السلام عليك أيها النبى ورحمة اللَّه وبركاته، السلام عليك يا نبى اللَّه

وخيرته من خلقه، أشهد أن لا اله إلا اللّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله، أشهد أنك قد بلغت رسالات ربك، ونصحت لأمتك، ودعوت إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وعبدت اللّه حتى أتاك اليقين، فصلى اللّه عليك كثيرا كما يحب ربنا ويرضى، اللهم اجز عنا نبينا أفضل ما جزيت أحدا من النبيين والمرسلين، وابعثه المقام المحمود الذى وعدته يغبطه به الأولون والآخرون، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم إنك قلت وقولك الحق: «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللّهَ تَوَّاباً رَحِيماً» وقد أتيتك مستغفرا من ذنوبى، مستشفعا بك إلى ربى، فاسلك يا رب أن توجب لى المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه فى حياته، اللهم اجعله أول الشافعين، وانجح السائلين، وأكرم الآخرين والأولين، برحمتك يا أرحم الراحمين. ثم يدعو لوالديه ولإخوانه والمسلمين أجمعين «... ۱».

فترى فى رواياتهم يبنون على مشروعية نداء رسول اللّه صلى الله عليه و آله ورجحانه، وأنه نمط من الخطاب والزيارة للنبى صلى الله عليه و آله، بل يشرعونه لقادتهم ولمن يأتمون به.

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۶۶

نداء الرسول صلى الله عليه و آله فى العبادات نوع توسل ... ص: ۱۶۶

فيجد المتتبع فى مصادر العامة تظافر الكلمات على مشروعية النداء ب «يا رسول اللّه» أو «يا محمد» أو «يا نبى اللّه»، وأن النداء نحو خطاب وزيارة وتوسل واستغاثة واستشفاع، وأنه من الأذكار الدينية الراجحة، ولا وسوسة فى رجحانه وعباديته.

ثم إن مشروعية النداء ورجحانه للنبى صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام يفيد رجحان التوجه للنبى صلى الله عليه و آله وأنه وسيلة لعبادة اللّه، لأن كل شىء يؤتى به فى الصلاة لابد أن يكون عبادة.

فهذا التوجه إلى النبى صلى الله عليه و آله أثناء الصلاة لا بد أن يكون مؤداه عبادة اللّه، لاسيما على المقولة القائلة بأن أجزاء الصلاة عبادتها ذاتية أى مما يمكن أن يتقرب به إلى اللّه ويتعبد به، وكذلك التوجه إلى عباد اللّه الصالحين.

وهذه الضرورة التى يمارسها كل مسلم من أبناء جميع المذاهب الإسلامية باستقلالها وجه مستقل برهانى، وضرورة الشريعة على عبادية التوسل، وأنه من وجوه العبادة الكبرى التى يمارسها كل مسلم

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۶۷

المقام الثانى: مقام الاستغاثة ... ص: ۱۶۷

اشارة

يظهر أن أدلة الشفاعة القرآنية للرسول وأهل بيته عليهم السلام هى بنفسها مقتضية لتسويغ بل الحث على طلب الحوائج من النبى صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام لأن دأب المحتاجين على سؤال حوائجهم من الشفعاء والتوجه بطلبها إليهم.

إذا أريد من «يا محمد» و «يا على» الاستغاثة، وهو بلحاظ متبوع الذى يذكر بعد النداء والمنادى من الطلب والتوسل فى قضاء الحاجات، أو بتقدير نستغيث بك «يا محمد» و «يا على».

صور الاستغاثة بأهل البيت عليهم السلام ... ص: ۱۶۷

وحينئذ فللتوسل والاستغاثة بهم بهذا المعنى صور عديدة منها:

الصورة الأولى ...: ص: ۱۶۷

أن يقول الداعى المتوسل يا رسول اللَّه أو يا ولى اللَّه ادع اللَّه أن يرزقنى، أو يقضى حاجتى وهكذا.

وقد نص القرآن الكريم على كونه سنة إلهية، كما فى قوله تعالى على لسان أبناء يعقوب: «قَالُواْ يَا أَبانا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ* قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۶۸

رَبِّى إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» «۱».

وقد ذكر فى ذيل السورة قوله تعالى: «لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَىءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» «۲».

فمضافا إلى تقرير النبى المعصوم صلى الله عليه و آله لطلب أبنائه، كذلك قد قرر القرآن الكريم فى شريعة القرآن هذا النمط.

وهذا يدل على سنة إلهية فى ناموس الدعاء، وأنه من آداب الدعاء التوجه بالطلب إلى ولى اللَّه لأن يطلب الولى بما له من وجاهة عند اللَّه حاجة الداعى، وهذا نظير مطابق لما يحدث من استغاثة بالشفيع والوسيط والوجيه لأن يطلب ويتشفع فى قضاء الحاجة، فيكون الذى يتوجه بالطلب مباشرة هو الشفيع دون المشفوع له، فهذا الرسم المرسوم فى كيفية الدعاء من الآداب التى أكد عليها القرآن الكريم.

ومنه يعلم أن إنكار ذلك محادة للقرآن الكريم.

الصورة الثانية ...: ص: ۱۶۹

أن يقول الداعى أسألك يا اللَّه بحق رسولك ونبيك صلى الله عليه و آله، أو وليك أن ترزقنى أو أن تقضى حاجتى أو أن ترفع كربتى، أو يا اللَّه أتوجه إليك بوجاهة نبيك أو وليك عليهم السلام، وقد قامت روايات الفريقين على مشروعية ذلك، فمن طرق السنة ما ذكره فى الأذكار النووية:

وروينا فى كتاب الترمذى، وابن ماجه عن عثمان بن حنيف رضى اللَّه عنه، أن

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۶۹

رجلا ضرير البصر أتى النبى صلى الله عليه و آله فقال: ادع اللَّه تعالى أن يعافينى، قال: «إن شئت دعوت، وأن شئت صبرت فهو خير لك» قال: فادعه، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد صلى الله عليه و آله نبى الرحمة، يا محمد إنى توجهت بك إلى ربى فى حاجتى هذه لتقضى لى، اللهم فشفعه فى» «۱».

وقال ابن عابدين فى حاشية رد المحتار: ج ۶ ص ۷۱۶: نعم ذكر العلامة المناوى فى حديث: اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك نبى الرحمة، عن العز ابن عبد السلام: أنه ينبغى كونه مقصورا على النبى صلى الله عليه و آله وأن لا يقسم على اللَّه بغيره، وأن يكون من خصائصه. انتهى

وقد قامت الضرورة بأن هذا النمط نحو من التوسل والتشفع الراجح وإنما الكلام فى تعيين الأرجح فى الصورتين والصور الآتية.

أقول: وأودنا كلامه وأن لم نوافقه فى الحصر، بل الخصيصة والحصر هى فى امتياز سيد الأنبياء بالشفاعة الكبرى لا فى أصل الشفاعة، كيف وقد نص القرآن الكريم على استشفاع أبناء يعقوب به واستشفاع بنى إسرائيل بموسى عليه السلام فى مواطن عديدة، كما فى

قوله تعالى: «وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا» «۲»

.وقوله تعالى: «وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُواْ يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِى إِسْرَآئِيلَ» «۳».

وغيرها من الموارد القرآنية إلا أن الغرض من ذكر كلامه هو تقريره للتوجه بالنبى صلى الله عليه و آله فى الدعاء.

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۷۰

الصورة الثالثة ... ص: ۱۷۱

أن يقول المستغيث يا رسول اللَّه أو يا ولى اللَّه أسألك قضاء الحاجة الكذائية أو يا رسول ويا ولى اللَّه أغثنى، بمعنى أن يكون الطلب من النبى أو الولى عليه السلام لينجز الأمر على يديه وبإرادته باعتباره محل إرادة اللَّه وموضع مشيئته، وليس المعنى والاعتقاد أن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله أو الولى المعصوم عليه السلام يملك إنجاز الفعل بنفسه على وجه الاستقلال والاستغناء عن اقدار اللَّه تعالى.

شواهد الصورة الثالثة ... ص: ۱۷۰

اشارة

وقد نص القرآن الكريم على الصورة الثالثة فى العديد من الآيات منها:

الشاهد الأول ... ص: ۱۷۰

فى شأن الرجل الذى استعان بموسى عليه السلام فى قوله تعالى: «وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلاَنِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِى مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ» «۱».

وتقريب الآية من وجهين ... ص: ۱۷۰

الجهة الأولى: إن الآية تخبر عن وقوع حقيقة الاستغاثة بما لها من معنى وحقيقة من المستغيث، وأن المستشفع به كان النبى موسى عليه السلام، فحقيقة ما وقع من الطلب هو استغاثة حقيقية من الرجل المظلوم إلى النبى موسى عليه السلام، وأن النبى موسى عليه السلام قد أجابه ولبى استغاثته، مما يفيد كون الاستغاثة بالأنبياء عليهم السلام من السنن بعد تلبية الاستغاثة من النبى المرسل من أولى العزم.

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۷۱

الجهة الثانية: تقرير القرآن الكريم لكون ما وقع استغاثة وأنه قد تجاوب مع هذا الفعل من النبى المرسل.

الشاهد الثانى ... ص: ۱۷۱

قال تعالى: «قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ* قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ

وانى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ* قَالَ الَّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَـذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِى أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فإنما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فإن رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ* قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِى أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَايَهْتَدُونَ* فَلَمَّا جَاءتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ» «۱».

فإن الطلب متعلق بأمر غيبى أى ما تتعلق به القدرة الغيبية، وهو المجى بالعرش قبل أن يأتى قوم سبأ وملكتهم إلى سليمان، والذى سأل ذلك الطلب هو نبى اللَّه سليمان عليه السلام، والمسؤول والمطلوب الذى وجه إليه الطلب هو الملأ الحاضرين فى مجلسه، فهو سؤال متعلق بالحاجة من الغيب لكنه قد طلب من أولياء اللَّه تعالى، أى من أعطاهم اللَّه القدرة التكوينية والولاية التكوينية على الأمور المغيبة.

وقد وصف آصف بن برخيا بأن لديه علم من الكتاب، وبتوسطه استطاع أن يصدر هذا الفعل ذو القدرة الغيبية، والسائل هو نبى اللَّه سليمان عليه السلام، مع أنه أعلى درجة من آصف بن برخيا وصى سليمان عليه السلام والإمام بعده.

فإذا كان هذا الفعل وهو طلب الحاجة قد صدر من نبى مرسل فهو سنة يستن بها، لاسيما بأن هذه السنة قد أقيمت فى مورد الطلب ممن نعت بصفة القدرة اللدنية أى الغيبية المعطاة من اللَّه تعالى.

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۷۲

فهذا يفيد أن السنة الإلهية فى طلب الأمور ولو كانت غيبية من الأولياء الذين يعطون القدرة والولاية التكوينية من اللَّه وطلب الحاجيات منهم وإن كانت ذات منشأ غيبى هو من شرعة دين اللَّه وأوليائه، فإذا كان هذا حال طلب الحاجة والأمر ممن وصف أنه عنده علم من الكتاب أى بعض من الكتاب، فكيف حال طلب الحاجة ممن وصف بأنه عنده علم الكتاب كما هو الحال فى شأن على بن أبى طالب عليه السلام حيث قال تعالى فى نعته: «كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ» «۱».

حيث إن سورة الرعد مكية، ولم يكن قد أسلم فى مكة من أهل الكتاب أحد، والاحتجاج لعلى عليه السلام لمقام سيد الأنبياء صلى الله عليه و آله إنما هو بلحاظ هذا الوصف اللدنى الغيبى الذى آتاه اللَّه، كما وصف بهذا الوصف أهل البيت عليهم السلام أيضا، حيث قال تعالى: «انَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِى كِتَابٍ مَّكْنُونٍ* لَّايَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ* تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ» «۲»

. والمطهرون نعت لأهل البيت عليهم السلام كما فى آية التطهير، فهم الذين يطلعون على الكتاب كله.

الشاهد الثالث ... ص: ۱۷۲

وقد وصفت قدرة الكتاب العزيز فى سورة الرعد التى هى نفس السورة التى وصفت عليا عليه السلام بأن له علم الكتاب كله، ذكرت هذه السورة أن القرآن الكريم يحيى به الموتى، وتقطع به الأرض، وتسير به الجبال، كما فى قوله تعالى: «وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أو قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أو كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى» «۳».

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۷۳

سبب النزول ... ص: ۱۷۳

قال الشيخ الطوسى: هذه الآية تتضمن وصف القرآن بغاية ما يمكن من علو المنزلة وبلوغه أعلى طبقات الجلال؛ لأنه تعالى قال: «وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ» من مواضعها وقلعت من أماكنها لعظم محله وجلالة قدره.

والتسيير تصيير الشى بحيث يسير، تقول سار يسير سيرا، وسيره غيره تسييرا.

«أو قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ» لمثل ذلك، والتقطيع تكثير القطع، قطعه قطعة، وقطعه تقطيعا، والقطع فصل المتصل.

«أو كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى» لمثل ذلك حتى يعيشوا أو يحيوا، تقول: كلمه كلاما، وتكلم تكلما، والكلام ما انتظم من حرفين فصاعدا من الحروف المعقولة إذا وقع ممن يصح منه أو من قبيله لإفادة، و «الْمَوْتَى» جمع ميت مثل صريع وصرعى، وجريح وجرحى.

ولم يجئ جواب «لَوْ» لدلالة الكلام عليه، وتقديره: لكان هذا القرآن لعظم محله فى نفسه وجلالة قدره.

وكان سبب ذلك أنهم سألوا النبى صلى الله عليه و آله أن يسير عنهم جبال مكة لتتسع عليهم المواضع، فأنزل اللَّه تعالى الآية، وبين أنه لو سيرت الجبال بكلام، لسيرت بهذا القرآن لعظم مرتبته وجلالة قدره «۱».

وفى الكافى عن أبى الحسن الأول عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك أخبرنى عن النبى صلى الله عليه و آله ورث النبيين كلهم؟ قال: «نعم، قلت: من لدن آدم حتى انتهى إلى نفسه؟ قال:

«ما بعث اللَّه نبيا إلا ومحمد صلى الله عليه و آله أعلم منه» قال: قلت: إن عيسى بن مريم كان يحيى الموتى بإذن اللَّه، قال: «صدقت وسليمان بن داود كان يفهم منطق الطير، وكان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقدر على هذه المنازل، قال: فقال: إن سليمان بن داود قال للهدهد حين فقده وشك فى

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۷۴

أمره: «فَقالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كانَ مِنَ الْغائِبِينَ» حين فقده، فغضب عليه فقال: «لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطانٍ مُبِينٍ» وإنما غضب لأنه كان يدله على الماء، فهذا وهو طائر قد أعطى ما لم يعط سليمان وقد كانت الريح والنمل والإنس والجن والشياطين والمردة له طائعين، ولم يكن يعرف الماء تحت الهواء، وكان الطير يعرفه وأن اللَّه يقول فى كتابه: «وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ أو قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أو كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى» وقد ورثنا نحن هذا القرآن الذى فيه ما تسير به الجبال وتقطع به البلدان، وتحيى به الموتى، ونحن نعرف الماء تحت الهواء، وأن فى كتاب اللَّه لآيات ما يراد بها أمر إلا أن يأذن اللَّه به مع ما قد يأذن اللَّه مما كتبه الماضون، جعله اللَّه لنا فى أم الكتاب، إن اللَّه يقول: «وَما مِنْ غائِبَةٍ فِي السَّماءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتابٍ مُبِينٍ» ثم قال: «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا» فنحن الذين اصطفانا اللَّه عز وجل وأورثنا هذا الذى فيه تبيان كل شىء» «۱».

فأثبتت الآية الكريمة والرواية الشريفة أن الذى يعلم بحقيقة الكتاب والقرآن يتمكن من تسيير الجبال، وتقطيع الأرض، وإحياء الموتى.

وإذا كانت هذه القدرة معطاة من اللَّه لدنيا لصاحب علم الكتاب، فسؤال الحاجة منه الحاجة المشمولة للقدرة اللدنية التى أعطيها أو وهب إياها هى من السنن فى الشريعة الإلهية على حذو فعل النبى سليمان عليه السلام.

ومن ثم لم يخطئ اللَّه فى سورة الرعد طلب الكافرين من النبى محمد صلى الله عليه و آله إحياء الموتى، وتقطيع الأرض، وتسيير الجبال لتوسعة فجاج مكة، وبسط أرضها للزراعة كأرض الشام وإحياء أسلافهم.

لم يخطئهم فى طلبهم هذا من النبى صلى الله عليه و آله، بل أقر أن هذا الطلب من متناول قدرته لعلمه بحقيقة القرآن، بل أنكر عليهم عنادهم ولجاجهم، وأن سؤالهم اقتراحى لا

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۷۵

بداعى الجد والصدق، ولا لأجل طلب المعرفة والإيمان.

فهذه الآية ثالثة الموارد القرآنية التى يتم طلب حاجة غيبية فيها من الأنبياء والرسل والأوصياء عليهم السلام، لاسيما مثل إحياء الموتى، وفتح باب رغيف العيش وبركات الأرض.

لا سيما وأن الآية الثالثة تثبت ذلك بنحو الدوام لمن عنده علم بحقيقة الكتاب، لأنها تبين أن هذه القدرة لا لظرف مؤقت لإبراز معجزة ثم ينتهى الأمد، بل هذه القدرة ثابتة لمن عنده علم الكتاب وحقيقة القرآن بسبب هذه الصفة.

وكذلك الحال فى الآية السابقة التى تثبت القدرة على جلب العرش بطى الأرض، فقد أثبتها القرآن الكريم لآصف بن برخيا بسبب أنه عنده علم ببعض الكتاب، أى أن هذه القدرة ثابتة له بسبب الوصف الذى يتحلى به.

ولا بد من التنبيه إلى أن المراد من العلم بالكتاب وحقيقة القرآن ليس هو العلم بظاهر المصحف الشريف، بل هو العلم بحقيقة القرآن فى اللوح المحفوظ والكتاب المكنون، والكتاب المبين الذى يستطر فيه كل شىء.

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۷۶

الشاهد الرابع ... ص: ۱۷۶

قال اللّه تعالى: «وَمَا نَقَمُواْ إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ» «۱».

وقال تعالى: «وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَا آتَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ سَيُؤْتِينَا اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللّهِ رَاغِبُونَ» «۲».

ففى الآيتين إسناد إيتاء الفضل إلى كل من اللّه تعالى ثم لرسوله صلى الله عليه و آله، كما فيها إسناد الغنى إلى اللّه ثم إلى رسوله صلى الله عليه و آله، وذلك لأن الإفضال والإغناء من الرسول صلى الله عليه و آله هو فى حقيقته إفضال وإغناء من اللّه تعالى بجعل رسوله مجرى لفيضه تعالى «۳».

فحقيقة الإفضال والإغناء واحدة، وهذا مما يقضى بأن طلب الفضل والغنى من الرسول صلى الله عليه و آله هو طلب للغناء والفضل من قبل اللّه تعالى، وأن الاستغاثة بالرسول صلى الله عليه و آله هو عين طلب المدد الإلهى.

وبعبارة أخرى:

إن إسناد اللّه الإغناء للرسول صلى الله عليه و آله بعدما أسند الإغناء إلى الذات المقدسة هو بنفسه باعث ومحرك للعباد على طلب الحوائج من الرسول صلى الله عليه و آله والتوجه إليه، كيف

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۷۷

لا وقد جعله بابا لرحمته وشفيعا لهم!!

ومن ذلك يظهر أن أدلة الشفاعة القرآنية للرسول وأهل بيته عليهم السلام هى بنفسها مقتضية لتسويغ بل الحث على طلب الحوائج من النبى صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام؛ لأن دأب المحتاجين على سؤال حوائجهم من الشفعاء والتوجه بطلبها إليهم «۱».

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۷۸

وفى الحقيقة أن هذه الجدلية والاختلاف أشبه بالخلاف الذى وقع فى فصل الدين عن السياسة، وفصل الدين عن نظام الحكم السياسى، لكنه فى مقام فصل الدين عن نظام التشريع، والقول المتقدم فى صدر الكلام ناشئا فى الحقيقة من فصل الدين عن نظام عمارة وصناعة الطبيعة وفصل النظام الكونى والطبيعى عن نظام الآخرة.

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۷۹

الاستغاثة بهم عليهم السلام تستوعب حاجات الروح والبدن ... ص: ۱۷۹

اشارة

قال البعض: مشاهد الأئمة عليهم السلام هل هى مواطن علاج روحى أو مواطن علاج بدنى؟

وكان جوابه: إن ذلك يعرف من الجواب على سؤال آخر وهو: هل أن بيوت الأئمة عليهم السلام مواطن لمراجعة مرضى الروح أو مواطن لمراجعة مرضى البدن؟

وأجاب أن بيوت الأئمة والأنبياء عليهم السلام لم يرد لها أصلا أن تكون مستشفيات لعيادة مرضى البدن، وأن بيوتهم قبل مشاهدهم كانت عيادات لطب الأرواح، فلا تقصدوا الإمام على أنه صاحب عيادة بدنية!!

والتعليق على ذلك فى نقاط:

النقطة الأولى: أصول عمارة الأرض منبثقة من الأولياء عليهم السلام ... ص: ۱۷۹

إن منع وساطة الأئمة عليهم السلام لفيض اللَّه تعالى، وكذلك حصر آثار التوسل عند قبورهم بالأثر الروحى وغيرها من المسائل فى هذا المجال، تنم عن قلة إحاطة بمقامات الأئمة عليهم السلام عند اللَّه تعالى، وتنبأ عن عدم اطلاع بما أودعه اللَّه فيهم من واسطة عامة دينية وتكوينية فى هذا الوجود.

والذى ينبغى أن يقال هنا تأسيسا على المعارف الإلهية:

إن أصول عمارة الأرض كلها بنصوص الأديان السماوية فضلا عن روايات المسلمين، منبثقة من الأنبياء والأولياء عليهم السلام، نعم ينبغى جعل الحوائج الأخروية

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۸۰

الراجعة للجانب الروحى والشق المعنوى فى الإنسان أهم فى نظر الداعى والمتوسل من الحاجيات الدنيوية؛ لأن كمالات الروح أعظم وأهم وأشرف من كمالات البدن، لاسيما المعرفة باللَّه تعالى والرسول والأئمة من عترته صلى الله عليه و آله، فإنها أعظم منالا وبغية تسير بالإنسان إلى السعادة الأبدية، لكن ذلك لا ينافى صحة الرجوع إليهم من أجل إصلاح شؤون البدن الدنيوى.

النقطة الثانية: ديدن سيرة الرواة على عموم مراجعاتهم للأئمة عليهم السلام ... ص: ۱۸۰

أرجع المستشكل الحكم فى المسألة إلى دراسة الحالة العملية لبيوت الأئمة عليهم السلام، وقال لم يرد أصلا لها أن تكون محطاً للمراجعات البدنية، وهذا غريب جدا؛ وذلك لمخالفته لارتكاز المؤمنين فى مراجعاتهم للأئمة عليهم السلام، ومخالفته للنصوص الهائلة التى أثبتت فى المجاميع الروائية.

فإن المرتكز فى أذهان الناس هو جامعية حامل الدين لشؤون الدنيا والآخرة، ومن ثم فلدى الفريقين روايات متواترة فى أسئلة الرواة من النبى صلى الله عليه و آله وأهل بيته عليهم السلام عن طبابة البدن كما هى عن طبابة الروح.

ونحيل القارئ على الروايات المستفيضة بل المتواترة المثبتة فى كتب الفريقين ومنها:

ما فى الكافى: عن على، عن أبيه، عن النوفلى، عن السكونى، عن أبى عبد اللَّه، عن آبائه عليهم السلام قال: شكا رجل إلى النبى صلى الله عليه و آله وجعا فى صدره فقال صلى الله عليه و آله: استشف بالقرآن فإن اللَّه عز وجل يقول: «وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ» «۱».

ما ورد فى كتب العامة: كما فى خبر أبى داود فى سننه عن سلمى خادم

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۸۱

رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «ما كان أحد يشتكى إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وجعا فى رأسه إلا قال: احتجم، ولا وجعا فى رجليه إلا قال: خضبهما، وزاد البخارى فى تاريخه بالحناء» «۱».

وعن على بن النعمان قال: قلت للرضا عليه السلام: «إن لى أبنا، وبه الثؤلول، وقد اغتممت بأمره، فقال: خذ لكل ثؤلولة سبع شعيرات، وأقرأ على كل شعيرة سبع مرات أول سورة الواقعة، إلى قوله: «هَبَاءً مُّنبَثّاً» وقوله عز وجل: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ» ... إلى قوله «وَلَا أَمْتاً» ثم خذ الشعير، شعيرة شعيرة، فامسح بها على الثؤلول، ثم صيرها فى خرقة جديدة واربط على الخرقة حجرا وألقها فى كنيف. قال: ففعلت، فنظرت واللَّه يوم السابع أو الثامن وهو مثل راحتى. قال: وينبغى أن يعالج فى محاق الشهر، فانه يذهب إن شاء اللَّه تعالى» «۲».

النقطة الثالثة: عموم مرجعيتهم عليهم السلام فى العلوم والشؤون المختلفة ... ص: ۱۸۱

قصر المستشكل السعى إلى المشاهد المشرفة فى قصد المداواة الروحية والمعنوية، حملا على ما هو الحال فى البيوت المشرفة، ولكن كما تبين أن بيوتهم كانت مقصدا بالنحو المطلق ولكل المهمات فإن قبورهم كذلك ينبغى أن تقصد فى كل الحاجيات؛ لأنها مواطن استجابة الدعاء بالتوسل بهم فى كل الشؤون الأخروية والدنيوية الروحية والبدنية، وقد ورد استحباب الدعاء والحث عليه بأن يدعو الإنسان ويطلب الحاجة من ربه صغيرة وكبيرة، وسر ذلك معنوى توحيدى كى يستشعر الإنسان الفقر والحاجة إلى اللَّه فى كل شىء، وأن جميع النعم هى منه تعالى.

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۸۲

وهذا المعتقد ليس مجرد فتوى عقائدية فاقدة للدليل، وإنما هناك روايات متعددة تثبت ذلك ومن خلال السيرة العملية القائمة فى حياة الأئمة عليهم السلام:

الرواية الواردة فى الكافى: عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن أبى هاشم الجعفرى قال: بعث إلى أبو الحسن عليه السلام فى مرضه، وإلى محمد ابن حمزة فسبقنى إليه محمد بن حمزة وأخبرنى محمد ما زال يقول: ابعثوا إلى الحير، ابعثوا إلى الحير، فقلت لمحمد: ألا قلت له: أنا أذهب إلى الحير، ثم دخلت عليه وقلت له:

جعلت فداك: أنا أذهب إلى الحير؟ فقال: انظروا فى ذاك ... إلى أن قال فذكرت ذلك لعلى بن بلال فقال: ما كان يصنع بالحير وهو الحير فقدمت العسكر فدخلت عليه فقال لى: اجلس حين أردت القيام فلما رأيته أنس بى ذكرت له قول على بن بلال فقال لى: ألا قلت له: إن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله كان يطوف بالبيت ويقبل الحجر وحرمة النبى والمؤمن أعظم من حرمة البيت وأمره اللَّه عز وجل أن يقف بعرفة وإنما هى مواطن يحب اللَّه أن يذكر فيها فأنا أحب أن يدعى اللَّه لى حيث يحب اللَّه أن يدعى فيها وذكر عنه أنه قال: ولم أحفظ عنه، قال: «إنما هذه مواضع يحب اللَّه أن يتعبد له فيها فأنا أحب أن يدعى لى حيث يحب اللَّه أن يعبد» «۱».

فى وسائل الشيعة: عن ابن أبى عمير، عن أبى حمزة الثمالى، عن أبى عبد اللَّه عليه السلام فى حديث، أنه سئل عن طين الحاير هل فيه شىء من الشفاء؟ فقال:

«يستشفى ما بينه وبين القبر على رأس أربعة أميال، وكذلك قبر جدى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، وكذا طين قبر الحسن وعلى ومحمد فخذ منها فإنها شفاء من كل داء وسقم وجنة مما تخاف ولا يعد لها شىء من الأشياء الذى يستشفى بها إلا الدعاء، وإنما يفسدها ما يخالطها من أوعيتها وقلة اليقين لمن يعالج بها» «۲».

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۸۳

النقطة الرابعة: فصل الدين عن نظام الطبيعة ... ص: ۱۸۳

فى الحقيقة إن هذا البحث يمت إلى جدل مطروح فى النظرة إلى الدين على أنه مشروع هداية تشريعية وليس مشروعا لعمارة الطبيعة نظير ما أثير فى قوله تعالى:

«وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلاء وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَىءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ» «۱».

حيث قيل فى تفسير: «تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَىءٍ» أنه بيان للهداية التشريعية وأصول المعارف الاعتقادية، وأما علوم الطبيعة من الفيزياء والكيمياء والأحياء والطب والجغرافيا وغيرها من العلوم الرياضية والهندسية، فليست من شأن هداية السماء ولا من اختصاصات القرآن الكريم.

إذ ليس هو دخيلا فى السعادة الأخروية للبشر، ولا دخيلا فى إقامة العدالة الاجتماعية فى النظام الاجتماعى السياسى، ومن ثم لم يهتم الأنبياء عليهم السلام بعمارة دنيا البشرية، وإنما بعمارة الآخرة.

فالأنبياء والأولياء عليهم السلام هداة لا أطباء ومهندسون وحكام وساسة ولا محترفى صنائع ولا مهرة فنون، فلا بد أن يكون معنى «تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيءٍ» هو تبيان لكل شىء فى صراط الهداية والصراط المستقيم.

بل إن بعضهم ذهب إلى أن تبيان كل شىء لا يشمل تفاصيل الشريعة وإنما يختص بأصول وكليات التشريع فضلا عن علوم الطبيعة ونحوها من أنظمة العلوم وقوانين الفنون، بينما ذهب آخرون إلى عموم الآية فى عامة العلوم والمعارف أسسها وتفاصيلها، غاية الأمر إن ذلك ليس فى ظاهر القرآن بل فيما خفى من دلالته وظهوره الذى لا يلتفت إلى الإحاطة به إلا المعصوم عليه السلام، وقد أشارت إلى ذلك جملة من الآيات الأخرى منها:

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۸۴

قوله تعالى: «وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ» «۱».

وقوله تعالى: «وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى الأَرْضِ وَلَا فِى السَّمَاء وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَابٍ* مُّبِينٍ» «۲»

. وقوله تعالى: «وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِى السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ» «۳».

وقوله تعالى: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَاتَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَايَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى السَّمَاوَاتِ وَلَا فِى الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ» «۴».

فوقوله تعالى: «انَّا نَحْنُ نُحْيِى الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِى إِمَامٍ مُبِينٍ» «۵».

حيث تشير هذه الآيات إلى إحاطة الكتاب المبين بكل الحقائق، ليس فى العالم الأرضى فحسب، بل إلى عوالم الأرضين والسماوات السبع.

وفى الحقيقة أن هذه الجدلية والاختلاف أشبه بالخلاف الذى وقع فى فصل الدين عن السياسة، وفصل الدين عن نظام الحكم السياسى، لكنه فى مقام فصل الدين عن نظام التشريع، والقول المتقدم فى صدر الكلام ناشئا فى الحقيقة من فصل

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۸۵

الدين عن نظام عمارة وصناعة الطبيعة وفصل النظام الكونى والطبيعى عن نظام الآخرة.

وقد يكون منشأ هذا الفصل ناشئا عن الخطأ فى حساب الأولويات وإلغاء الأهم لما عداه وإلغاء الأسس للاهتمام بالتفاصيل، وقد يكون ناشئا أيضا عن عدم كفاءة المتصدين لمعارف الدين وأحكامه لدرجة كفاءة المعصوم عليه السلام فى الجمع والإحاطة بالعلوم، وهذا ما ينبه على أن ولى الدين إن لم يكن علمه محيطا لدُنياً انعكس ذلك تلقائيا وأوجد طابعا للدين بحسب موقعه وسلوكياته.

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۸۷

الفصل الثالث ملفات التوسل ... ص: ۱۸۷

اشارة

وكيف يؤمل بالقلم أن يكون أميناً فى ظل إرهاب السلطة، وكم من معالم فى سيرة النبى صلى الله عليه و آله قد أخفيت وزويت عن أن تصل الى مسامع أجيال المسلمين فى القرون اللاحقة، ومع كل ذلك «وَيَأْبَى اللّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ».

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۸۹

الطائفة الأولى: استغاثة المعصومين ببعضهم البعض عليهم السلام ... ص: ۱۸۹

اشارة

يتبين من الرواية تشكى الإمام عليه السلام حاله للرسول صلى الله عليه و آله وبثه إليه همومه، وهو نحو من الاستغاثة والاستنجاد والطلب.

استغاثة الرسول صلى الله عليه و آله بعلى عليه السلام ... ص: ۱۸۹

كتاب درر المطالب قال: «خرج رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إلى غزوة تبوك وخلف على بن أبى طالب عليه السلام على أهله، وأمره بالإقامة فيهم، فأرجف المنافقون وقالوا: ما خلفه إلا استقلالا به، فلما سمع ذلك أخذ سلاحه وخرج إلى النبى صلى الله عليه و آله وهو نازل بالحرق، فقال: يا رسول اللَّه زعم المنافقون أنك إنما خلفتنى استقلالا بى، فقال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: كذبوا، ولكنى خلفتك لما تركت ورائى، فارجع فاخلفنى فى أهلى وأهلك، ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى، فرجع إلى المدينة ومضى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لسفره.

قال: وكان من أمر الجيش أنه انكسر وانهزم الناس عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فنزل جبرائيل وقال: يا نبى اللَّه إن اللَّه يقرئك السلام ويبشرك بالنصرة، ويخيرك إن شئت أنزلت الملائكة يقاتلون، وإن شئت علياً ٧ فادعه يأتيك، فاختار النبى صلى الله عليه و آله علياً عليه السلام، فقال جبرائيل:

در وجهك نحو المدينة وناد: يا أبا الغيث أدركنى، يا على أدركنى، أدركنى يا على.

قال سلمان الفارسى: وكنت مع من تخلف مع على عليه السلام، فخرج ذات يوم يريد الحديقة فمضيت معه، فصعد النخلة ينزل كربا، فهو ينثر وأنا أجمع، إذ سمعته يقول: لبيك لبيك ها

أنا جئتك، ونزل والحزن ظاهر عليه ودمعه ينحدر، فقلت: ما شأنك يا أبا الحسن؟

قال: يا سلمان، إن جيش رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قد انكسر، وهو يدعونى ويستغيث بى، ثم مضى فدخل منزل فاطمة عليها السلام وأخبرها وخرج، قال: يا سلمان، ضع قدمك موضع قدمى لا تخرم منه شيئا. قال سلمان: فاتبعته حذو النعل بالنعل سبع عشرة خطوة، ثم عاينت الجيشين والجيوش والعساكر، فصرخ الإمام صرخة لهب لها الجيشان، وتفرقوا ونزل جبرائيل إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وسلّم، فردّ صلى الله عليه و آله واستبشر به، ثم عطف الإمام على الشجعان، فانهزم الجمع وولوا الدبر، ورد اللَّه الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا، وكفى اللَّه المؤمنين القتال بعلى أمير المؤمنين عليه السلام وسطوته وهمته وعلاه، وأبان اللَّه عز وجل من معجزة فى هذا الموطن بما عجز عنه جميع الأمة، وكشف من فضله الباهر، وإتيانه من المدينة شرفها اللَّه فى سبعة عشر خطوة، وسماعه نداء النبى صلى الله عليه و آله على بعد المسافة، وتلبيته من أعظم المعجزات، وأدل الآيات على عدم النظير له فى الأمة» «۱».

توضيح إشكال ... ص: ۱۹۰

سؤال: قد يتوهم أن مفاد الرواية غريب وشاذ ومن جهات متعددة:

الجهة الأولى: توهم الرواية أن أمير المؤمنين عليه السلام أشجع من سيد الأنبياء صلى الله عليه و آله، ومن ثم احتاج إليه لصد عدوان الكفار.

الجهة الثانية: فى الرواية غرابة أخرى، وهى تسجيل وقوع حرب بين المسلمين والروم فى غزوة تبوك، مع أن المصادر التاريخية لم

تذكر وقوع أى حرب، وإنما تخوف الروم وارتداعهم بمجرد السماع بمجى جيش النبى صلى الله عليه و آله، كما لم تسجل المصادر التاريخية أى حضور لعلى عليه السلام.

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۹۱

الجهة الثالثة: فى مضمون الرواية غرابة ثالثة وهى نزول آية: «وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ» فى غزوة تبوك مع أنها نزلت فى غزوة الأحزاب.

ويرد التوهم الأول: إن هذا الانطباع عن مفاد الرواية سطحى وفاتر جدا، فإن موقعية النبى صلى الله عليه و آله فى إدارة الجيش ونظم وضع المسلمين تستدعى أن لا يباشر بنفسه الشريفة كل الأدوار كما هو الحال فى غزوة بدر، فإنه قذف أخاه أمير المؤمنين عليه السلام فى لهوات نار الحرب فى مواطن عديدة، فلا ينكفئ حتى يطأ لهبها بأخمصه كما فى مبارزة عمرو بن ود فى الخندق، والمبيت على الفراش ليلة الهجرة وفتح خيبر، حيث بعث النبى صلى الله عليه و آله أبا بكر وعمر وعمرو بن العاص، كل منهم فى سرية ورجعوا منكفئين ولم يحققوا النصر، حتى بعث أخاه أمير المؤمنين عليه السلام مكدودا فى ذات اللَّه مجدا ناصحا، ومن ثم قال عنه النبى فى الحديث المشهور:

«أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى» أى أن موقعية على عليه السلام منه صلى الله عليه و آله هى كقول موسى فى أخيه هارون: «وَاجْعَل لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي* هَارُونَ أَخِي* اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي» «۱».

ومن ثم ورد فى الحديث القدسى الشريف عن ابن شهر آشوب: من طريق المخالفين من الرسالة القوامية وحلية الأولياء، واللفظ لها: بالإسناد عن سعيد ابن جبير أنه قال أبو الحمراء: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «رأيت ليلة أسرى بى مثبتا على ساق العرش: أنا غرست جنة عدن بيدى، محمد صفوتى من خلقى، أيدته بعلى نصرته بعلى» «۲».

وإلا فسيد الأنبياء صلى الله عليه و آله هو الحائز على كل الفضائل فوق سيد الأوصياء عليه السلام،

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۹۲

حيث قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «كنا إذا اشتدّ البأس وحمى الوطيس اتّقينا برسول اللَّه صلى الله عليه و آله ولذنا به» «۱».

وقال على عليه السلام عندما سئل من قبل بعضهم: أفنبى أنت؟ فقال: «ويحك إنما أنا عبد من عبيد محمد» «۲» «۳».

ويرد التوهم الثانى: إن عدم ذكر المصادر التاريخية لوقوع حرب فى غزوة تبوك لا يعنى عدم وقوعها، كيف وقد أخذ القلم السقيفى والأموى، ومن بعده القلم العباسى مأخذه فى إخفاء الحقائق وطمس مجريات مسرح الأحداث، إلى درجة أخذوا يزرون بشخصية سيد الأنبياء صلى الله عليه و آله فضلا عن عترته، وليس إلا لعداوة قريش لصاحب الدعوة وعترته الطاهرة عليهم السلام.

وكيف يؤمل بالقلم أن يكون أمينا فى ظل إرهاب السلطة!! وكم من معالم فى سيرة النبى صلى الله عليه و آله قد أخفيت وزويت عن أن تصل إلى مسامع أجيال المسلمين فى القرون اللاحقة!! ومع كل ذلك «وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ».

ويرد التوهم الثالث: إن نزول الآية فى الخندق لا ينافى تكرر نزولها فى غزوة تبوك، فإن الآية الواحدة قد يتكرر نزولها عدة مرات، وما أشتهر بين المفسرين من قاعدة سبب النزول الواحد للآية مدفوع بما فى الروايات من وقوع نزول الآية عدة مرات فى مواطن بمثابة تكون كلها أسباب نزولها، فليس النزول الأول يختص بالسببية كما عرف عن سورة الحمد بالسبع المثانى، حيث تكرر نزولها.

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۹۳

استغاثة على عليه السلام بالرسول صلى الله عليه و آله ... ص: ۱۹۳

ما جاء فى الروايات فى وصف حال أمير المؤمنين عليه السلام عند الاحتضار:

«فقال له الحسن عليه السلام يا أبه ما دعاك إلى هذا؟ فقال له: يا بنى إنى رأيت جدك رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فى منامى قبل

هذه الكائنة بليلة، فشكوت إليه ما أنا فيه من التذلل والأذى من هذه الأمة، فقال لى: أدع عليهم، فقلت: اللهم أبدلهم بى شرا منى وأبدلنى بهم خيرا منهم» «۱».

عن أبى عبد الرحمن السلمى، عن الحسن بن على عليه السلام قال: خرجت أنا وأبى عليه السلام نصلى فى هذا المسجد، فقال عليه السلام لى: يا بنى إنى بت الليلة أوقظ أهلى لأنها ليلة الجمعة صبيحة يوم بدر لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان فملكتنى عيناى، فسنح لى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله، فقلت: يا رسول اللَّه ماذا لقيت من أمتك من الأود واللدد؟ فقال لى: ادعُ عليهم. فقلت: «اللهم أبدلنى بهم من هو خير لى منهم، وأبدلهم بى من هو شر لهم منى» «۲».

فيتبين من الرواية تشكى الإمام عليه السلام حاله للرسول صلى الله عليه و آله وبثه إليه همومه، وهو نحو من الاستغاثة والاستنجاد والطلب.

وتبين شكايته لجحود الأمة حقه وتمردها عن الانصياع لهدايته صلى الله عليه و آله لها، وشدة الأذى الذى لاقاه، والتظلم هو نحو طلب المعونة والمدد من المشكو إليه طلبا للنصرة والإغاثة، وقد أجابه صلى الله عليه و آله وأذن له أن يدعو لتجازى الأمة بحرمانها من قيادته، وبركة وجوده، وتدبيره ورياض عدله، وحدائق القسط التى أقامها، والهدى والصلاح الذى أفشاه فيها.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لقد استرجعت الوديعة، وأخذت الرهينة، واختلست

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۹۴

الزهراء، فما أقبح الخضراء والغبراء، يا رسول اللَّه! أما حزنى فسرمد، وأما ليلى فمسهد، لا يبرح الحزن من قلبى، أو يختار اللَّه لى داركَ التى أنت فيها مقيم، كمد مقيح، وهم مهيج، سرعان ما فرق بيننا، وإلى اللَّه أشكو، وستنبئك ابنتك بتضافر أمتك على وعلى هضمها حقها، فاستخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثه سبيلا، وستقول ويحكم اللَّه وهو خير الحاكمين» «۱».

وهذه الشكاية هى الأخرى طلب من النبى صلى الله عليه و آله بتضميد جراح حليلته الزهراء عليها السلام، ونحو من بث الهم والحزن لرسول اللَّه صلى الله عليه و آله استظهارا واستنصارا ليكون شاهدا على ما يجرى من انحراف المسيرة، مع أنه قد وجه الشكاية إلى اللَّه تعالى أولا تدليلا على أن التوجه بالشكاية إلى رسول اللَّه هى شكاية إلى اللَّه تعالى وتوجه بالشكاية إلى الحضرة الإلهية، وهذا هو ما مر علينا من عقيدة كل مسلم عندما يستغيث بالنبى صلى الله عليه و آله والعترة عليهم السلام أن استغاثته بصفة اصطفائهم بالقرب من اللَّه تعالى، وأن التوجه إليهم يؤدى إلى التوجه للحضرة الإلهية؛ لأنهم باب اللَّه الأعظم الذى منه يؤتى.

استغاثة فاطمة عليها السلام بالرسول صلى الله عليه و آله ... ص: ۱۹۴

قال سليم بن قيس: قلت لسلمان أَدَخلوا على فاطمة عليها السلام بغير إذنها؟ قال: أى واللَّه وما عليها خمار. فنادت: يا أبتاه، لبئس ما خلفك أبو بكر وعمر، وعيناك لم تتفقأ فى قبرك، تنادى بأعلى صوتها...

فقالت فاطمة عليها السلام: يا عمر، ما لنا ولك؟ فقال: افتحى الباب وإلا أحرقنا عليكم بيتكم، فقالت: «يا عمر، أما تتقى اللَّه تدخل على بيتى»؟ فأبى أن ينصرف، ودعا عمر بالنار

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۹۵

فأضرمها فى الباب ثم دفعه فدخل فاستقبلته فاطمة؟ وصاحت: «يا أبتاه يا رسول اللَّه» فرفع عمر السيف وهو فى غمده فوجأ به جنبها فصرخت: «يا أبتاه» فرفع السوط فضرب به ذراعها فنادت: «يا رسول اللَّه، لبئس ما خلفك أبو بكر وعمر» «۱».

استغاثة الحسين عليه السلام بالرسول صلى الله عليه و آله ... ص: ۱۹۵

فی الروایة أنه خرج الحسین علیه السلام من منزله ذات لیلة وأقبل إلی قبر جده صلی الله علیه و آله فقال: «السلام علیک یا رسول اللّه أنا الحسین بن فاطمة فرخک وابن فرختک، وسبطک الذی خلفتنی فی أمتک، فاشهد علیهم یا نبی اللّه أنهم قد خذلونی، وضیعونی، ولم یحفظونی، وهذه شکوای إلیک حتی ألقاک، قال: ثم قام فصف قدمیه فلم یزل راکعا ساجدا».

قال: فجعل الحسین علیه السلام فی منامه ینظر إلی جده ویقول: «یا جداه لا حاجة لی فی الرجوع إلی الدنیا فخذنی إلیک وأدخلنی معک فی قبرک، فقال له رسول اللّه: لا بد لک من الرجوع إلی الدنیا حتی ترزق الشهادة، وما قد کتب اللّه لک فیها من الثواب العظیم، فإنک وأباک وأخاک وعمک وعم أبیک تحشرون یوم القیامة فی زمرة واحدة، حتی تدخلوا الجنة» «۲».

استغاثة السجاد علیه السلام فی دعائه بالنبی والأئمة علیهم السلام ... ص: ۱۹۵

روی محمد بن یحیی العطار عن أحمد بن محمد السیاری عن العباس بن مجاهد عن أبیه قال: کان علی بن الحسین علیه السلام یدعو عند کل زوال من أیام شعبان، وفی لیلة النصف منه ویصلی علی النبی صلی الله علیه و آله بهذه الصلوات یقول: «اللهم صل علی

الامامة الالهیة(۵)، ج۵، ص: ۱۹۶

محمد وآل محمد شجرة النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائکة ومعدن العلم وأهل بیت الوحی، اللهم صل علی محمد وآل محمد الفلک الجاریة فی اللجج الغامرة یأمن من رکبها ویغرق من ترکها المتقدم لهم مارق والمتأخر عنهم زاهق واللازم لهم لاحق، اللهم صل علی محمد وآل محمد الکهف الحصین وغیاث المضطر المستکین وملجأ الهاربین وعصمة المعتصمین..» «۱».

وقال علیه السلام: «أسألک بحق نبیک محمد صلی الله علیه و آله، وأتوسل إلیک بالأئمة علیهم السلام الذین اخترتهم لسرک، وأطلعتهم علی خفیک، واخترتهم بعلمک، وطهرتهم وأخلصتهم واصطفیتهم وأصفیتهم وجعلتهم هداة مهدیین، وائتمنتهم علی وحیک، وعصمتهم عن معاصیک ورضیتهم لخلقک، وخصصتهم بعلمک، واجتبیتهم وحبوتهم وجعلتهم حججا علی خلقک، وأمرت بطاعتهم علی من برأت، وأتوسل إلیک فی موقفی الیوم أن تجعلنی من خیار وفدک» «۲».

استغاثة الإمام الکاظم علیه السلام بالزهراء علیها السلام ... ص: ۱۹۶

عن علی بن أبی حمزة، عن أبی إبراهیم علیه السلام قال: قال لی: «إنی لموعوکٌ منذ سبعة أشهر، ولقد وعک أبنی اثنی عشر شهرا وهی تضاعف علینا، أشعرت أنها لا تأخذ فی الجسد کله ربما أخذت فی أعلی الجسد ولم تأخذ فی أسفله، وربما أخذت فی أسفله ولم تأخذ فی أعلی الجسد کله؟ قلت: جعلت فداک إن أذنت لی حدثتک بحدیث عن أبی بصیر عن جدک أنه کان إذا وعک استعان بالماء البارد فیکون له ثوبان: ثوب فی الماء البارد وثوب علی جسده یراوح بینهما، ثم ینادی حتی یسمع صوته علی باب الدار یا

الامامة الالهیة(۵)، ج۵، ص: ۱۹۷

فاطمة بنت محمد، فقال: صدقت، قلت: جعلت فداک فما وجدتم للحمی عندکم دواء؟ فقال:

ما وجدنا لها عندنا دواء إلا الدعاء والماء البارد، إنی اشتکیت فأرسل إلی محمد بن إبراهیم بطبیب له فجاءنی بدواء فیه قی فأبیت أن أشربه؛ لأنی إذا قیئت زال کل مفصل منی» «۱».

استغاثة زینب علیها السلام برسول اللّه صلی الله علیه و آله ... ص: ۱۹۷

وکانت زینب تقول: «وامحمداه، صلی علیک ملیک السماء، هذا حسین مرمل بالدماء، صریع بکربلاء، مقطع الأعضاء، مجزوز الرأس

من القفا، مسلوب العمامة والردا، بأبى من معسكره نهبا، بأبى من فسطاطه مقطع بالعرا، بأبى من لا هو غائب فيرجى، ولا مريض فيداوى، أنا الفداء للمهموم حتى مضى، أنا الفداء للعطشان حتى قضى، أنا الفداء لمن شيبته تقطر بالدماء» «۲».

ومررن على جسد الحسين عليه السلام وهو معفر بدمائه مفقود من أحبائه، فندبت عليه زينب بصوت مشج وقلب مقروح: «يا محمداه، صلى عليك مليك السماء، هذا حسين مرمل بالدماء، مقطع الأعضاء، وبناتك سبايا وإلى اللَّه المشتكى، وإلى على المرتضى، وإلى فاطمة الزهراء، وإلى حمزة سيد الشهداء، هذا حسين بالعراء تسفى عليه الصبا، قتيل أولاد الأدعياء، واحزناه واكرباه، اليوم مات جدى رسول اللَّه، يا أصحاب محمداه، هذه ذرية المصطفى يساقون سوق السبايا، فأذابت القلوب القاسية والجبال الراسية» «۳».

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۱۹۹

الطائفة الثانية: الندب إلى الاستغاثة بالمعصومين عليهم السلام ... ص: ۱۹۹

يا أولياء اللَّه، إن بينى وبين اللَّه عز وجل ذنوبا لا يأتى عليها إلا رضاكم، فبحق من ائتمنكم على سره، واسترعاكم أمر خلقه، وقرن طاعتكم بطاعته لما استوهبتم ذنوبى، وكنتم شفعائى.

روى البيهقى فى خبر صحيح: «إنه فى أيام عمر جاء رجل إلى قبر النبى صلى الله عليه و آله فقال: يا محمد، استسق لأمتك فسقوا» «۱».

روى الطبرانى وابن المكرى وأبو الشيخ، أنهم كانوا جياعا، فجاءوا إلى قبر النبى صلى الله عليه و آله فقالوا: «يا رسول اللَّه: الجوع، فاشبعوا» «۲».

«صلاة الاستغاثة بالبتول» تصلى ركعتين، ثم تسجد وتقول: «يا فاطمة» مائة مرة، ثم تضع خدك الأيمن على الأرض وقل مثل ذلك، وتضع خدك الأيسر على الأرض وتقول مثله، ثم اسجد وقل ذلك مائة وعشر دفعات، وقل: «يا آمناً من كل شىء، وكل شىء منك خائف حذر، أسألك بأمنك من كل شىء وخوف كل شىء منك أن تصلى على محمد وآل محمد وأن تعطينى أمانا لنفسى وأهلى ومالى وولدى حتى لا أخاف أحداً ولا أحذر من شىء أبدا إنك على كل شىء قدير» «۳».

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۲۰۰

«صلاة الغياث» عن أبى عبد اللَّه عليه السلام قال: إذا كانت لأحدكم استغاثة إلى اللَّه تعالى فليصل ركعتين ثم يسجد ويقول: «يا محمد، يا رسول اللَّه، يا على، يا سيد المؤمنين والمؤمنات، بكما أستغيث إلى اللَّه تعالى، يا محمد يا على، أستغيث بكما، يا غوثاه باللَّه وبمحمد وعلى وفاطمة- وتعد الأئمة- بكم أتوسل إلى اللَّه تعالى، فإنك تغاث من ساعتك إن شاء اللَّه تعالى» «۱».

ذكر الشيخ القمى فى كتاب المفاتيح لهم عليهم السلام زيارة جامعة تشتمل على الاستئذان، والظاهر أنه رحمه الله قد رواها عن بعض كتب الشيخ والسيد ابن طاووس، ونحن نوردها اعتمادا على أمانته فى النقل، قال (تغمده اللَّه برحمته) بعد أن ذكر بعض آداب الزيارة، وقل أيضا: «يا موالى، يا أبناء رسول اللَّه، عبدكم وابن أمتكم، الذليل بين أيديكم، والمضعف فى علو قدركم، والمعترف بحقكم جاءكم مستجيرا بكم قاصدا إلى حرمكم، متقربا إلى مقامكم، متوسلا إلى اللَّه تعالى بكم، أأدخل يا موالى، أأدخل يا أولياء اللَّه، أأدخل يا ملائكة اللَّه المحدقين بهذا الحرم، المقيمين بهذا المشهد» «۲».

حدثنى محمد بن يعقوب، عمن حدثه، عن سهل بن زياد، عن محمد بن أورمة. وحدثنى أبى، عن الحسين بن الحسن بن أبان، عن محمد بن أورمة، عمن حدثه، عن الصادق وأبى الحسن الثالث عليه السلام، قال: تقول عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام:

«السلام عليك يا ولى اللَّه، أنت أول مظلوم، وأول من غصب حقه، صبرت واحتسبت حتى أتاك اليقين، وأشهد أنك لقيت اللَّه وأنت شهيد، عذب اللَّه قاتلك بأنواع العذاب، وجدد عليه العذاب، جئتك عارفا بحقك، مستبصرا بشأنك، مواليا لأوليائك، معاديا لأعدائك ومن ظلمك، ألقى على ذلك ربى إن شاء اللَّه تعالى، يا ولى اللَّه، إن لى ذنوبا كثيرة فاشفع لى إلى

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۲۰۱

ربک» «۱».

«یا أولیاء اللَّه إن بینی وبین اللَّه عز وجل ذنوبا لا یأتی علیها إلا رضاکم، فبحق من ائتمنکم علی سره، واسترعاکم أمر خلقه، وقرن طاعتکم بطاعته لما استوهبتم ذنوبی، وکنتم شفعائی» «۲».

محمد بن یعقوب الکلینی عن عدة من أصحابنا عن سهل بن زیاد عن محمد بن أورمة عمن حدثه عن الصادق وأبی الحسن الثالث علیه السلام قال: تقول عند قبر أمیر المؤمنین علیه السلام: «السلام علیک یا ولی اللَّه أنت أول مظلوم وأول من غصب حقه صبرت واحتسبت حتی أتاک الیقین، وأشهد أنک قد لقیت اللَّه وأنت شهید، عذب اللَّه قاتلک بأنواع العذاب وجدد علیه العذاب، جئتک عارفا بحقک مستبصرا بشأنک معادیا لأعدائک ومن ظلمک، ألقی علی ذلک ربی إن شاء اللَّه، یا ولی اللَّه إن لی ذنوبا کثیرة فاشفع لی إلی ربک؟، فإن لک عند اللَّه مقاما محمودا وأن لک عند اللَّه جاها وشفاعة وقال اللَّه تعالی: ولا یشفعون إلا لمن ارتضی» «۳».

جعفر بن محمد بن قولویه فی الکامل: عن محمد بن جعفر الرزاز، عن محمد بن عیسی بن عبید، عمن ذکره، عن أبی الحسن علیه السلام قال: تقول ببغداد: «السلام علیک یا ولی اللَّه، السلام علیک یا حجة اللَّه، السلام علیک یا نور اللَّه فی ظلمات الأرض، السلام علیک یا من بدا للَّهفی شأنه، أتیتک عارفا بحقک، معادیا لأعدائک، فاشفع لی عند ربک یا مولای، قال: وادع اللَّه واسأل حاجتک، قال: وسلم بهذا علی أبی جعفر محمد بن علی علیهما السلام» «۴». «مولای یا حجة اللَّه، یا أمین اللَّه، یا ولی اللَّه، إن بینی وبین اللَّه ذنوبا قد أثقلت ظهری

الامامة الالهیة(۵)، ج۵، ص: ۲۰۲

ومنعتنی من الرقاد، وذکرها یقلقل أحشائی، وقد هربت منها إلی اللَّه وإلیک، فبحق من ائتمنک علی سره، واسترعاک أمر خلقه، وقرن طاعتک بطاعته، وموالاتک بموالاته، کن لی إلی اللَّه شفیعا، ومن النار مجیرا، وعلی الدهر ظهیرا، ثم انکب علی القبر وقل: یا حجة اللَّه، یا ولی اللَّه، یا باب حطة اللَّه، ولیک وزائرک واللائذ بقبرک، والنازل بفنائک، والمنیخ رحله فی جوارک، أسألک أن تشفع لی إلی اللَّه فی قضاء حاجتی، وانجح طلبتی فی الدنیا والآخرة، فإن لک عند اللَّه الجاه العظیم والشفاعة المقبولة» «۱».

أخبرنا عثمان بن عمر أخبرنا شعبة عن أبی جعفر عن عمارة بن خزیمة عن عثمان بن حنیف: أن رجلا ضریر البصر أتی النبی صلی الله علیه و آله فقال ادعُ اللَّه أن یعافینی، فقال: إن شئت أخرت ذاک فهو أعظم لأجرک، وأن شئت دعوت اللَّه، فقال: ادعه، فأمره أن یتوضأ ویصلی رکعتین ویدعو بهذا الدعاء: «اللهم إنی أسألک وأتوجه إلیک بنبیک محمد صلی الله علیه و آله نبی الرحمة یا محمد، إنی توجهت بک إلی ربی فی حاجتی هذه لتقضی، اللهم فشفعه فی عثمان بن أبی العاص» «۲».

وروینا فی کتاب الترمذی «سنن الترمذی، کتاب الدعوات باب ۱۱۹، ح ۳۵۷۸»، وابن ماجه «کتاب إقامة الصلاة، باب ۱۸۹، ح ۱۳۸۵»، عن عثمان بن حنیف رضی اللَّه عنه، أن رجلا ضریر البصر أتی النبی صلی الله علیه و آله فقال: ادع اللَّه تعالی أن یعافینی، قال: «إن شئت دعوت، وأن شئت صبرت فهو خیر لک» قال فادعه، فأمره أن یتوضأ فیحسن وضوءه ویدعو بهذا الدعاء: «اللهم إنی أسألک وأتوجه إلیک بنبیک محمد صلی الله علیه و آله نبی الرحمة، یا محمد إنی توجهت بک إلی ربی فی حاجتی هذه لتقضی لی، اللهم فشفعه فی؛ قال الترمذی: حدیث حسن صحیح» «۳».

الامامة الالهیة(۵)، ج۵، ص: ۲۰۳

الطائفة الثالثة: الندب الخاص بتوجه النداء إلی المعصومین علیهم السلام ... ص: ۲۰۳

اشارة

قال النبی صلی الله علیه و آله: «إنه حلقة باب الجنة من یاقوتة حمراء علی صفایح الذهب، فإذا دقت الحلقة علی الباب طنت وقالت: یا

على يا على».

الندب الخاص بتوجه النداء إليهم بلفظ النداء وبذكرهم ... ص: ۲۰۳

فيما يلى مجموعة من الروايات:

من كتاب المناقب قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله: «إن للَّهعمودا من نور يضى لأهل الجنة كالشمس لأهل الدنيا لا يناله إلا على وشيعته، وأن حلقة باب الجنة من ياقوتة حمراء طولها خمسون عاما، على صفائح من ذهب إذا نقرت طنت وقالت فى طنينها: يا على» «۱».

أقول: معناها طريق الجنة وشعارها يا على.

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، عن رسول اللَّه صلى الله عليه و آله أنه قال: «إن حلقة باب الجنة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب، فإذا دقت الحلقة على الصفحة طنت وقالت: يا على» «۲».

روى السيد المرعشى فى شرح إحقاق الحق عن مصادر العامة فى أن طنين

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۲۰۴

باب الجنة يا على يا على قال: رواه القوم: منهم العلامة المولى محمد صالح الترمذى فى «المناقب المرتضوية» (ص ۸۵ و ۲۲۳، ط بمبئى): روى من طريق الخطيب فى «المناقب» قال النبى صلى الله عليه و آله: «إنه حلقة باب الجنة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب، فإذا دقت الحلقة على الباب طنت وقالت: يا على يا على» «۱».

ابن بابويه: قال: حدثنا أبى، قال: حدثنا عبد اللَّه بن الحسن المؤدب، عن أحمد بن على الاصبهانى، قال: حدثنا إبراهيم بن محمد الثقفى، قال: حدثنا محمد بن داود الدينورى، قال: حدثنا منذر الشعرانى، قال: حدثنا سعد بن زيد، حدثنا أبو قبيل، عن أبى الجارود رفعه إلى النبى صلى الله عليه و آله قال: «إن حلقة باب الجنة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب، فإذا دقت الحلقة على الصفحة طنت وقالت: يا على» «۲».

خصائص النطنزى، قيس بن أبى حازم عن ابن مسعود، قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله:

«على بن أبى طالب حلقة معلقة بباب الجنة من تعلق بها دخل الجنة» «۳».

قال القاضى النعمان فى شرح الأخبار: ج ۱، ص ۱۴۱: عن مسروق، قال:

دخلت على عائشة فقالت لى: يا مسروق: إنك من أبر ولدى بى، وإنى أسألك عن شىء فأخبرنى به. فقلت: سلى يا أماه عما شئت. قالت: المخدج من قتله؟ قلت:

على بن أبى طالب عليه السلام. قالت: وأين قتله؟ قلت على نهر يقال لأعلاه تامرا، ولأسفله النهروان بين أحافيف «أخافيق» وطرق. فقالت: لعن اللَّه فلانا، تعنى عمرو بن العاص، فإنه أخبرنى أنه قتله على نيل مصر. قال مسروق: يا أماه، فإنى أسألك بحق اللَّه وبحق رسوله وبحقى فإنى ابنك، لما أخبرتنى بما سمعت من رسول اللَّه فيهم.

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۲۰۵

قالت: سمعته يقول فيهم «أهل النهروان»: «هم شر الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة، وأقربهم إلى اللَّه وسيلة».

رواه ابن المغازلى فى المناقب عن أحمد بن محمد بن عبد الوهاب بن طاوان، عن الحسين بن محمد العلوى، عن أحمد بن محمد الجواربى، عن أحمد ابن حازم، عن سهل بن عامر البجلى عن أبى خالد الأحمر، عن مجالد، عن الشعبى، عن مسروق قال: قالت عائشة: يا مسروق إنك من ولدى، وإنك من أحبهم إلى، فهل عندك علم من المخدج؟ قال: قلت: نعم، قتله على بن أبى طالب على نهر يقال لأعلاه تامرا ولأسفله النهروان، بين أحفاق وطرقاء قالت: إبغنى على ذلك بينة، فأتيتها بخمسين رجلا من كل خمسين بعشرة-

وكان الناس إذ ذاك أخماسا- يشهدون أن عليا عليه السلام قتله على نهر يقال لأعلاه تأمرا ولأسفله النهروان بين أخفاق وطرقاء. فقلت: يا أماه، أسألك باللَّه وبحق رسول اللَّه وبحقى- فإنى من ولدك- أى شيء سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول فيه؟ قالت: سمعت رسول اللَّه صلى الله عليه و آله يقول: هم شر الخلق والخليفة، يقتلهم خير الخلق والخليقة، وأقربهم إلى اللَّه وسيلة. انتهى «۱».

ورواه فى شرح الأخبار: ج ۲ ص ۵۹.

ما رواه السيد الأجل على بن طاووس رضى الله عنه فى كشف المحجة، نقلا عن كتاب الرسائل للشيخ الأقدم محمد بن يعقوب الكلينى رضى الله عنه عمن سماه قال: كتبت إلى أبى الحسن عليه السلام: إن الرجل يحب أن يفضى إلى إمامه ما يحب أن يفضى إلى ربه، قال:

فكتب عليه السلام «إن كان لك حاجة فحرك شفتيك فإن الجواب يأتيك» «۲».

وفى البحار عن عدة الداعى، عن سلمان الفارسى قال: سمعت محمدا صلى الله عليه و آله

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۲۰۶

يقول: إن اللَّه عز وجل يقول: «يا عبادى أوليس من له إليكم حوائج كبار لا تجودون بها إلا أن يتحمل عليكم بأحب الخلق إليكم، تقضونها كرامة لشفيعهم، ألا فاعلموا أن أكرم الخلق على وأفضلهم لدى محمد صلى الله عليه و آله وأخوه على ومن بعده الأئمة الذين هم الوسائل إلى اللَّه، ألا فليدعنى من أهمته حاجة يريد نفعها أو دهته داهية يريد كشف ضررها بمحمد وآله الطيبين الطاهرين أقضها له أحسن ما يقضيها من تستشفعون بأعز الخلق عليه» «۱».

فى البحار: ووجدت بخط الشيخ محمد بن على الجبعى: نقلا من خط الشيخ الأجل على بن السكون حدثنا الشيخ الأجل الفقيه سديد الدين أبو محمد عربى بن مسافر العبادى أدام اللَّه تأييده، قراءة عليه، حدثنا الشيخ أبو عبد اللَّه الحسين بن أحمد بن محمد بن على بن طحال المقدادى رحمه اللَّه بمشهد مولانا أمير المؤمنين صلوات اللَّه عليه فى الطرز الكبير الذى عند رأس الإمام عليه السلام فى العشر الأواخر من ذى الحجة سنة تسع وثلاثين وخمسمائة قال: حدثنا الشيخ الأجل السيد المفيد أبو على الحسن بن محمد بن الحسن الطوسى رضى اللَّه عنه بالمشهد المذكور على صاحبه أفضل السلام فى الطرز المذكور فى العشر الأواخر من ذى القعدة سنة تسع وخمسمائة، قال: حدثنا السيد السعيد الوالد أبو جعفر محمد بن الحسن، عن محمد بن إسماعيل، عن محمد بن الحسين البزاز قال: أخبرنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن يحيى القمى قال: حدثنا أبو عبد اللَّه محمد بن على بن زنجويه القمى قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن عبد اللَّه بن جعفر الحميرى قال أبو على الحسن بن أشناس:

وأخبرنا أبو المفضل محمد بن عبداللَّه الشيبانى أن أبا جعفر محمد بن عبد اللَّه بن جعفر الحميرى أخبره وأجاز له جميع ما رواه، أنه خرج إليه توقيع من الناحية المقدسة حرسها اللَّه بعد المسائل التى سألها: والصلاة والتوجه أوله:

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۲۰۷

«لا لأمر اللَّه تعقلون، ولا من أوليائه تقبلون، حكمة بالغة فما تغن الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون، والسلام علينا وعلى عباد اللَّه الصالحين، فإذا أردتم التوجه بنا إلى اللَّه تعالى وإلينا، فقولوا كما قال اللَّه تعالى: سلام على آل ياسين، ذلك هو الفضل المبين، واللَّه ذو الفضل العظيم، من يهديه صراطه المستقيم. التوجه: قد آتاكم اللَّه يا آل ياسين خلافته، وعلم مجارى أمره فيما قضاه ودبره ورتبه وأراده فى ملكوته، فكشف لكم الغطاء، وأنتم خزنته وشهداؤه وعلماؤه وأمناؤه، ساسة العباد، وأركان البلاد، وقضاة الأحكام، وأبواب الإيمان ومن تقديره منايح العطاء، بكم إنفاذه محتوما مقرونا فما شيء منه إلا وأنتم له السبب، وإليه السبيل، خياره لوليكم نعمة، وانتقامه من عدوكم سخطة، فلا نجاة ولا مفزع إلا أنتم، ولا مذهب عنكم، يا أعين اللَّه الناظرة، وحملة معرفته، ومساكن توحيده فى أرضه وسمائه، وأنت يا حجة اللَّه وبقيته كمال نعمته، ووارث أنبيائه وخلفائه، ما بلغناه من دهرنا، وصاحب الرجعة لوعد ربنا، التى فيها

دولة الحق وفرحنا ونصر اللّه لنا وعزنا. السلام عليك أيها العلم المنصوب، والعلم المصبوب، والغوث والرحمة الواسعة، وعدا غير مكذوب. السلام عليك صاحب المرأى والمسمع، الذى بعين اللّه مواثيقه، وبيد اللّه عهوده، وبقدرة اللّه سلطانه، أنت الحليم الذى لا تعجله العصبية والكريم الذى لا تبخله الحفيظة، والعالم الذى لا تجهله الحمية» «۱».

حميد بن زياد، عن الحسن بن محمد بن سماعة، عن وهيب بن حفص، عن أبى بصير، عن أبى عبد اللّه صلى الله عليه و آله قال: «ما اجتمع فى مجلس قوم لم يذكروا اللّه عزّ وجلّ ولم يذكرونا إلا كان ذلك المجلس حسرة عليهم يوم القيامة، ثم قال: قال أبو جعفر ۷: إن

ذكرنا من ذكر اللّه وذكر عدونا من ذكر الشيطان» «۱».

فى الاستيعاب لابن عبد البر: روى ابن عباس وأنس بن مالك أن عمر ابن الخطاب كان إذا قحط أهل المدينة استسقى بالعباس، قال أبو عمر: وكان سبب ذلك أن الأرض أجدبت إجدابا شديدا على عهد عمر سنة سبع عشرة، فقال كعب: إن بنى إسرائيل كانوا إذا قحطوا وأصابهم مثل هذا استسقوا بعصبة الأنبياء، فقال عمر: هذا عم النبى صلى الله عليه و آله وصنو أبيه وسيد بنى هاشم، فمضى إليه عمر فشكى إليه ما فيه الناس ثم صعد المنبر ومعه العباس فقال: «اللهم إنا قد توجهنا إليك بعم نبينا وصنو أبيه فاسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين» «۲».

عن أنس بن مالك أنهم كانوا إذا قحطوا على عهد عمر خرج بالعباس فاستسقى به وقال اللهم إنا كنا نتوسل بنبينا إذا قحطنا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا.. وعن ابن عمر أن عمر خطب الناس وقال: «أيها الناس إن رسول اللّه صلى الله عليه و آله كان يرى للعباس ما يرى الولد لوالده يعظمه ويفخمه ويبر قسمه، فاقتدوا أيها الناس برسول اللّه صلى الله عليه و آله فى عمه العباس واتخذوه وسيلة إلى اللّه عز وجل فيما نزل بكم» «۳».

حديث حسن صحيح تفرد به الزبير بن بكار، خرجه الحافظ الدمشقى.

ثم قال: «يا أبا الفضل قم فأدعو اللّه، فقام العباس يحمد اللّه ويثنى عليه ويدعو إلى أن قال: اللهم ... وقد توجه القوم بى إليك فاسقنا الغيث.

قال: فأرخت السماء غزالها، وأخصبت الأرض فقال عمر: هذى واللّه الوسيلة إلى اللّه، والمكان منه» «۴».

الفتاوى الدينية ... ص: ۲۰۹

قال السيد الخوئى:

قول القائل: أدركنا يا على لا مانع منه وهو يقصد التوسل به إلى اللّه، وهل هناك مانع من قول الغريق أو الحريق ومن إليهما حين يستغيث بمن ينقذه فيقول: يا فلان أنقذنى؟!

ملف الفتاوى الدينية

سؤال ۱۴۲۶: من الرسوم فى هذه البلاد أن المؤمنين يستغيثون بالإمام الحجة عليه السلام بعد كل صلاة، ويقولون: يا صاحب الزمان يا ابن الحسن العسكرى عجل على ظهورك.

واستشكل عليهم بعض العلماء: بأن هذا ينافى عقيدة الشيعة، فإن الإمام لا يملك أمره، والدعاء لا بد أن يكون من اللّه، فهل يرد هذا الإشكال ويحرم مثل هذه الاستغاثة أم لا؟

الخوئى: الإشكال المذكور غير وارد، فإن الغرض من الجملة المذكورة الدعاء والالتماس منه عليه السلام بتعجيل ظهوره بطلبه عليه

السلام من اللّه تعالى ذلك، كما هو الحال فى سائر الأدعية المشتملة على طلب الحوائج من الأئمة الأطهار، فإن معنى ذلك هو جعلهم: واسطة عند اللّه تعالى، وقد ذكر مضمونه فى ذيل دعاء العهد الوارد فى

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۲۱۰

صباح أربعين يوما عن الصادق عليه السلام، واللّه العالم. انتهى «۱»

أقول: ويستقيم الطلب منهم عليهم السلام بداعى أن يمنحوا ما أقدرهم اللّه عليه، وأذن لهم فى إعطائه، وهذا معنى الشفاعة التكوينية الذى مر بيانها فى المطالب السابقة، وهو لا يعنى استقلالهم لا ذاتا ولا فعلا فيما أقدروا عليه.

سؤال ۱۳۰۶: هل يجوز طلب الولد أو الرزق أو الحفظ والأمان إلى غير ذلك، من المعصومين عليهم السلام مباشرة، لا لأنهم يخلقون أو يرزقون وإنما لأنهم الوسيلة إلى اللّه تعالى والشفعاء إليه بقضاء الحاجات، ولأنهم لا يفعلون شيئا إلا بإذنه جل شأنه فهم يسألونه فيخلق ويسألونه فيرزق، ولا- ترد لهم مسألة أو دعاء لمنزلتهم منه جل شأنه ولولا-يتهم علينا، وقد قال تعالى: «وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ» و «يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ»؟

الخوئى: لا بأس بذلك القصد. انتهى «۲»

أقول: مر عدم الحصر بذلك الذى قد مر.

سؤال ۱۳۱۳: المتعارف حال النهوض أو القيام أو حال أى عمل الاستنجاد بالنبى صلى الله عليه و آله أو الإمام على عليه السلام أو أحد الأئمة عليهم السلام، فهل يجوز ذلك عن قصد، علما أن الاعتقاد هو أنهم الباب إلى اللّه تعالى؟

الخوئى: لا بأس بتوسيطهم والاستشفاع بهم إلى اللّه تعالى كوسيلة فى قضائه هو حوائج المتوسلين؛ لأنه تعالى رغب فى التوسل بقوله تعالى: «وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ». انتهى «۳»

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۲۱۱

أقول: قد مر أن الأفعال والقدرات التى وكل بها الملائكة أو الأولياء عليهم السلام ليست معزولة عن قدرة اللّه وفعله، بل قائمة به، فتسند مآلا إليه وإن كانت لها نسبة ملابسية إلى الموكلين، وهذه النسبة قائمة بالنسبة والإسناد إليه تعالى.

سؤال ۹۹۳: ما معنى العبارة الواردة فى دعاء رجب اليومى: «لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك»؟

الخوئى: لعلها تشير إلى أنهم مع بلوغهم فى مرتبة الكمال إلى حد نفوذ التصرف منهم فى الكون بإذنك، فهم مقهورون لك؛ لأنهم مربوبون لك، لا حيلة لهم دون إرادتك ومشيتك فيهم بما تشاء. واللّه العالم. انتهى «۱»

أقول: ويمكن أن يفسر بأن ظهور اللّه تعالى فى كافة شؤونه بالآيات، والآيات علامات عليه، وصور يظهر بها، فرؤيتها رؤيته، إلا أنها مخلوقة له، فما تقدم من جوابه؟ بيان للتوحيد بالتوسل فى مقام الفعل، وما ذكرناه بيان للتوحيد بالتوسل فى مقام الصفات والذات.

سؤال ۹۹۶: ما حكم قول: أدركنا يا على، ويا أبا الغيث أغثنا وغير ذلك؟

الخوئى: قول القائل: أدركنا يا على لا مانع منه وهو يقصد التوسل به إلى اللّه، وهل هناك مانع من قول الغريق أو الحريق ومن إليهما حين يستغيث بمن ينقذه فيقول: يا فلان أنقذنى؟! وهناك آية فى القرآن الكريم تؤيد ذلك، وهى قوله تعالى:

«وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللّهَ تَوَّاباً رَحِيماً». صدق اللّه العلى العظيم.

التبريزى: يضاف إلى جوابه؟: ويزاد على ذلك قوله تعالى: «وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ». انتهى «۲»

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۲۱۲

أقول: هذا الجواب منه؟ يقرر أن التوسل قد يكون بمعنى الطلب منهم فيما أقدرهم اللّه عليه، وأذن لهم فى فعله.

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۲۱۳

قال العلامة الأمينى:

هناك جماعة من الحفاظ وأعلام أهل السنة بسطوا القول فى التوسل وقالوا: إن التوسل بالنبى جائز فى كل حال قبل خلقه وبعده فى مدة حياته فى الدنيا وبعد موته..

ملف كلمات العلماء من الفريقين

قال الأصفهانى:

يمكن أن يقال إن من جملة فوائد وجود الإمام عليه السلام ووظائفه وعاداته ومناصبه على ما يظهر من الروايات إعانة الملهوفين، وإغاثة المستغيثين، بل لا ريب فى أن أحدا من الناس إذا كان من رعية رئيس قادر مطاع وبغى عليه، دله أحبته إلى التظلم لدى ذلك الرئيس، ولو ترك ذمه العقلاء بتركه عرض حاجته عليه. انتهى «۱»

أقول: يشير إلى أن نصب اللَّه تعالى للنبى وأهل بيته عليهم السلام ولاة على الأمة، بنفسه يقتضى كونهم شفعاء ووسطاء ما بين اللَّه وخلقه، ألا ترى إلى قوله تعالى: «وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاء رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ» «۲».

الدالة على أن حساب الأمم لا يقام إلا بمجى رسول وإمام كل أمة.

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۲۱۴

وكذلك قوله تعالى: «وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاء» «۱».

وقوله تعالى: «هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا» «۲».

فجعل النبى وأهل بيته عليهم السلام من ذرية إبراهيم وإسماعيل عليه السلام أشهادا على الناس، فأعمال العباد مرتهنة فى العرض على اللَّه تعالى بحججه من أنبيائه ورسله وأوصيائه.

قال الأمينى:

وأما الاستغاثة والنداء والانقطاع وما أشار إليها، فلا تعدو أن تكون توسلا بهم إلى المولى سبحانه، واتخاذهم وسائل إلى نجح طلباتهم عنده جلت عظمته، لقربهم منه وزلفتهم إليه ومكانتهم عنده؛ لأنهم عباد مكرمون، لا لأن لذواتهم القدسية دخلا فى إنجاح المقاصد أولا وبالذات، لكنهم مجارى الفيض، وحلقات الوصل، ووسايط بين المولى وعبيده، كما هو الشأن فى كل متقرب من عظيم يتوسل به إليه.

وهذا حكم عام للأولياء والصالحين جميعا وإن كانوا متفاوتين فى مراحل القرب، كل هذا مع العقيدة الثابتة بأنه لا مؤثر فى الوجود إلا اللَّه سبحانه، ولا تقع فى المشاهد المقدسة كلها من وفود الزائرين إلا ما ذكرناه من التوسل، فأين هذه من مضادة التوحيد؟! انتهى «۳»

أقول: قد مر أن التوسل هو الطريق الحصرى للتوحيد، وليس الكلام فى عدم المضادة وأصل المشروعية، بل فى الضرورة واللابدية.

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۲۱۵

قال الأمينى:

هناك جماعة من الحفاظ وأعلام أهل السنة بسطوا القول فى التوسل وقالوا: إن التوسل بالنبى جائز فى كل حال، قبل خلقه وبعده فى مدة حياته فى الدنيا وبعد موته فى مدة البرزخ وبعد البعث فى عرصات القيامة والجنة وجعلوه على ثلاثة أنواع:

(۱) طلب الحاجة من اللَّه تعالى به أو بجاهه أو لبركته، فقالوا: إن التوسل بهذا المعنى جائز فى جميع الأحوال المذكورة.

(۲) التوسل به بمعنى طلب الدعاء منه، وحكموا بأن ذلك جائز فى الأحوال كلها.

(۳) الطلب من النبى صلى الله عليه و آله ذلك الأمر المقصود، بمعنى أنه صلى الله عليه و آله قادر على التسبب فيه بسؤاله ربه وشفاعته

إليه، فيعود إلى النوع الثانى فى المعنى غير أن العبارة مختلفة، وعدوا منه قول القائل للنبى صلى الله عليه و آله: أسألك مرافقتك فى الجنة.

وقول عثمان ابن أبى العاص: شكوت إلى النبى صلى الله عليه و آله سوء حفظى للقرآن، فقال:

ادن منى يا عثمان، ثم وضع يده على صدرى وقال: اخرج يا شيطان من صدر عثمان، فما سمعت بعد ذلك شيئا إلا حفظت.

وقال السبكى فى «شفاء السقام»: والآثار فى ذلك كثيرة أيضا، إلى أن قال: فلا عليك فى تسميته توسلا، أو تشفعا، أو استغاثة، أو توجها «۱».

قال العلامة الطباطبائى:

ربما يظن أن ما ورد فى الأدعية من الاستشفاع بالنبى وآله المعصومين صلوات اللّه عليهم، ومسألته تعالى بحقهم، وزيارة قبورهم، وتقبيلها والتبرك

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۲۱۶

بتربتهم، وتعظيم آثارهم، من الشرك المنهى عنه وهو الشرك الوثنى، محتجا بأن هذا النوع من التوجه العبادى فيه إعطاء تأثير ربوبى لغيره تعالى وهو شرك، وأصحاب الأوثان إنما أشركوا لقولهم فى أوثانهم: إن هؤلاء شفعاؤنا عند اللّه، وقولهم: إنما نعبدهم ليقربونا إلى اللّه زلفى، ولا فرق فى عبادة غير اللّه سبحانه بين أن يكون ذلك الغير نبيا أو وليا أو جبارا من الجبابرة أو غيرهم، فالجميع من الشرك المنهى عنه.

وقد فاتهم أولا: أن ثبوت التأثير سواء كان ماديا أو غير مادى فى غيره تعالى ضرورى لا سبيل إلى إنكاره، وقد أسند تعالى فى كلامه التأثير بجميع أنواعه إلى غيره، ونفى التأثير عن غيره تعالى مطلقا يستلزم إبطال قانون العلية والمعلولية العام الذى هو الركن فى جميع أدلة التوحيد، وفيه هدم بنيان التوحيد، نعم المنفى من التأثير عن غيره تعالى هو الاستقلال فى التأثير ولا كلام لأحد فيه، وأما نفى مطلق التأثير ففيه إنكار بديهة العقل والخروج عن الفطرة الإنسانية، ومن يستشفع بأهل الشفاعة الذين ذكرهم اللّه فى مثل قوله: «وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ» «۱»

وقوله: «وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى» «۲»

، أو يسأل اللّه بجاههم ويقسمه بحقهم الذى جعله لهم عليه بمثل قوله مطلقا: «وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ* إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ* وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ» «۳»

وقوله: «انَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا» «۴»

، أو يعظمهم ويظهر حبهم بزيارة قبورهم وتقبيلها والتبرك بتربتهم بما أنهم آيات اللّه وشعائره تمسكا بمثل قوله تعالى: «ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۲۱۷

مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ» «۱»

، وآية القربى وغير ذلك من كتاب وسنة، فهو فى جميع ذلك يبتغى بهم إلى اللّه الوسيلة وقد قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ» «۲»

فشرع به ابتغاء الوسيلة، وجعلهم بما شرع من حبهم وتعزيرهم وتعظيمهم وسائل إليه، ولا معنى لا يجاب حب شىء وتعظيمه وتحريم آثار ذلك، فلا مانع من التقرب إلى اللّه بحبهم وتعظيم أمرهم وما لذلك من الآثار، إذا كان على وجه التوسل والاستشفاع من غير أن يعطوا استقلال التأثير والعبادة البتة.

وثانيا: أنه فاتهم الفرق بين أن يعبد غير اللّه رجاء أن يشفع عند اللّه أو يقرب إلى اللّه، وبين أن يعبد اللّه وحده مع الاستشفاع والتقرب

بهم إليه، ففى الصورة الأولى إعطاء الاستقلال وإخلاص العبادة لغيره تعالى، وهو الشرك فى العبودية والعبادة، وفى الصورة الثانية يتمحض الاستقلال للّه‌تعالى ويختص العبادة به وحده لا شريك له، وإنما ذم تعالى المشركين لقولهم: «إنما نعبدهم ليقربونا إلى اللّه زلفى» حيث أعطوهم الاستقلال وقصدوهم بالعبادة دون اللّه سبحانه، ولو قالوا: إنما نعبد اللّه وحده ونرجو مع ذلك أن يشفع لنا ملائكته أو رسله وأولياؤه بإذنه أو نتوسل إلى اللّه بتعظيم شعائره وحب أوليائه، لما كفروا بذلك بل عادت شركاؤهم كمثل الكعبة فى الإسلام هى وجهة وليست بمعبودة، وإنما يعبد بالتوجه إليها اللّه.

وليت شعرى ماذا يقول هؤلاء فى الحجر الأسود وما شرع فى الإسلام من استلامه وتقبيله؟ وكذا فى الكعبة؟ فهل ذلك كله من الشرك المستثنى من حكم الحرمة؟ فالحكم حكم ضرورى عقلى لا يقبل تخصصا ولا استثناء، أو أن ذلك من

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۲۱۸

عبادة اللّه محضا وللحجر حكم الطريق والجهة، وحينئذ فما الفرق بينه وبين غيره إذا لم يكن تعظيمه على وجه إعطاء الاستقلال وتمحيض العبادة، ومطلقات تعظيم شعائر اللّه وتعزير النبى صلى الله عليه و آله وحبه ومودته وحب أهل بيته ومودتهم وغير ذلك فى محلها «۱».

أقول: الظاهر أن تأليه المشركين للأصنام والأوثان لم يكن بزعم استقلال تلك الذوات فى الوجود عن خلق البارى، ومن الظاهر حصرهم الخلق باللّه كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: «وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» «۲».

وإنما إشراكهم فى استقلال المشركين بنصب وسائط بينهم وبين اللّه غير مأذونين فيها، كما تشير إلى ذلك جملة من الآيات التى مرت، وبالتالى فعبودية المشركين للأصنام والأوثان منطلقة من تزلفهم وتعظيمهم لها بغير إذن وأمر من اللّه، فأطاعوهم وقصدوهم بغير أمر من اللّه وطاعته، فلم تكن عبودية للّه‌بل طاعة وطوعانية وهى العبودية لغير اللّه تعالى.

ومن ثم يؤكد القرآن فى آيات عديدة كما أشارت إلى ذلك روايات أهل البيت أيضاً، إلى أن جملة العبادات لغير للّه‌كانت فى الطاعة لغير اللّه، وطاعة غير من أمر اللّه بطاعته، وتعظيم غير من أمر اللّه بتعظيمه، والتوجه إلى غير من أمر اللّه بالتوجه إليه، وهو معنى اتخاذ المشركين إلى للأصنام الطينية والأوثان الحجرية، كذا هو معنى اتخاذ الأصنام البشرية والأوثان من بنى الإنسان، فالصنم والوثن البشرى الذى قد تتخذه جماعة مناوئة للحق هو بنصبهم من يطيعوه بغير أمر اللّه، ومن يعظمه

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۲۱۹

بغير إذن اللّه بتعظيمه، وبأن يتوجهوا به إلى اللّه مع إنه يصد عن سبيل اللّه كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: «اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ» «۱».

وكما يشير إلى ذلك قول الصادق عليه السلام فى ذيل هذه الآية: «واللّه ما سجدوا لهم وما ركعوا لهم، ولكن أطاعوهم» كيف لا وحقيقة العبودية هى الطاعة والطوعانية كاستحقاق للمطاع بذاته.

وكذا قوله تعالى: «أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِى آدَمَ أَن لَّاتَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ» «۲».

إذ الطوعانية هى الخضوع والانقياد، فالعمدة فى الفارق بين التوحيد والشرك، والتوحيد والصنمية هو ما مر، وفى الحقيقة إن القول باستحقاق الطاعة لمطاع لذاته يرجع إلى القول باستقلاله فى الحول والقوة، وإلى افتقار العابد المطيع له فى ذلك الحول والقوة والوجود.

فالطاعة بداعى الاستحقاق للذات وهى الشرك فى الولاية تؤول إلى الشرك فى الذات والشرك فى الحكم، فالنكير فى القرآن على المشركين والوثنيين لا لأنهم يدعون استقلال ذوات الأصنام أو الأرواح المرسلة المرتبطة بها، ولا لزعمهم ضرورة أصل الوساطة والشفاعة بين الخلق والخالق، بل لكون اتخاذها لهم هو بغير اللّه وإذنه.

ومن ثم فالوثنية والصنمية باقية ضمن أشكال بشرية، كما ورد مستفيضاً فى روايات أهل البيت عليهم السلام: «أن من أطاع وتولى من لم يأمر اللَّه بطاعته وولايته فهو وثن

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۲۲۰

يعبد من دون اللَّه» «۱»

، وفى المقابل إن التوحيد يقام بطاعة وتولى المنصوبين من قبل اللَّه تعالى للطاعة، لكونهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون.

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۲۲۱

سئل آية اللَّه التبريزى:

هل يجوز الاعتقاد بأن النبى والأئمة المعصومين عليهم السلام هم العلة الفاعلية والمادية، والصورية والغائية لجميع الخلائق؟ وهل يجوز إطلاق هذه الألفاظ عليهم؟ وما حكم من يعتقد ذلك؟.

قال فى الجواب: إن خلق الدنيا ومن فيها، وكذا خلق الآخرة ومن فيها، وما فيها كله من فعل اللَّه عز وجل ومشيئته، وبما أن اللَّه سبحانه وتعالى حكيم لا يخلق شيئا عبثا، فالغرض من خلق الدنيا وما فيها هو أن يعرف الناس ربهم، ويصلوا إلى كمالاتهم، بإطاعة اللَّه سبحانه وتعالى، والتقرب إليه، وهذا يقتضى اللطف من اللَّه بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، ونصب الأوصياء والأئمة عليهم السلام ليأخذ الناس منهم سبيل الاهتداء، وبما أن الحكمة هى ما ذكر فى الخلق حيث يفصح عنه قوله تعالى:

«وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» وبضميمة قوله سبحانه: «خَلَقَ لَكُم مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً» يعلم أن الغاية من خلق الإنس والجن هى خلق الذين يعرفون اللَّه سبحانه ويعبدونه، ويهتدون بالهدى، والسابقون على ذلك فى علم اللَّه سبحانه الذين يعيشون فى الدنيا وسيلة لكسب رضا ربهم، والتفانى فى رضاه هم الأنبياء والأوصياء والأئمة «سلام اللَّه عليهم أجمعين» والسابقون فى هذه المرتبة هم نبينا محمد والأئمة الأطهار «صلى اللَّه عليهم أجمعين» من بعده.

وبذلك يصح القول أنهم علة غائية لخلق العباد، لا بمعنى أن الخالق يحتاج إلى الغاية، بل لأن إفاضة فيض الوجود بسبب ما سبق فى علمه أنهم السابقون الكاملون فى الغرض والغاية من الفيض، واللَّه العالم «۱».

أقول: تقدير كونهم عليهم السلام علة غائية يستلزم كونهم علة فاعلية كما هو مقرر فى علوم الحكمة، إلا أن الصحيح إنهم علة غائية فى الفعل، وهى ليست علة غائية نهائية، بل العلة

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۲۲۲

الغائية النهائية هى اللَّه تعالى فليس وراء اللَّه تعالى منتهى، كما إنه تعالى العلة الفاعلية الأولى فمنه ينشأ الوجود وإليه يعود ويتقوم، وهم وسائط فيضه والشهداء على خلقه فى المعاد.

قال القسطلانى فى (المواهب اللدنية):

وينبغى للزائر له صلى الله عليه و آله أن يكثر من الدعاء والتضرع والاستغاثة والتشفع والتوسل به صلى الله عليه و آله فجدير بمن استشفع به أن يشفعه اللَّه فيه. قال: وأن الاستغاثة هى طلب الغوث فالمستغيث بطلب من المستغاث به إغاثته أن يحصل له الغوث، فلا فرق بين أن يعبر بلفظ الاستغاثة أو التوسل أو التشفع أو التوجه أو التجوه؛ لأنهما من الجاه والوجاهة ومعناهما علو القدر والمنزلة، وقد يتوسل بصاحب الجاه إلى من هو أعلى منه.

قال: ثم إن كلا من الاستغاثة والتوسل والتشفع والتوجه بالنبى صلى الله عليه و آله كما ذكره فى تحقيق النصرة ومصباح الظلام واقع فى كل حال قبل خلقه وبعد خلقه فى مدة حياته فى الدنيا وبعد موته فى البرزخ وبعد البعث فى عرصات القيامة.

ثم فصل ما وقع من التوسل والاستشفاع به صلى الله عليه و آله فى الحالات المذكورة «۱».

قال ابن عابدين فى حاشية رد المحتار: ج ۶ ص ۷۱۶:

نعم ذكر العلامة المناوى فى حديث: اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك نبى الرحمة، عن العز بن عبد السلام أنه ينبغى كونه مقصورا على النبى صلى الله عليه و آله، وأن لا يقسم على اللَّه بغيره، وأن يكون من خصائصه «۲».

أقول: القسم على اللَّه ليس تحتيم شىء على إرادة اللَّه تعالى؛ لأن اللَّه تعالى لا يبرمه إلحاح الملحين، وإنما القسم على اللَّه تعالى يرجع إلى استجارة من يقسم بالمقسم به لما

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۲۲۳

للمقسم به من حرمة عند اللَّه تعالى، فيلوذ به بما له من حرمة وجاه عند اللَّه من نعمة اللَّه وسخطه، أو لاستنزال رزقه فهو نوع تشفع بالمقسم به وتوجهاً به على المقسوم عليه، وعلى ذلك فيعم القسم الذى هو نوع استشفاع وتوسل كل من له جاه وحظوة عند اللَّه تعالى وإن كانت مراتب المقسوم به مختلفة فى الشفاعة والوسيلة.

قال الشربينى فى مغنى المحتاج: ج ۱ ص ۱۸۴ خاتمة:

سئل الشيخ عز الدين هل يكره أن يسأل اللَّه بعظيم من خلقه كالنبى والملك والولى عليه السلام فأجاب بأنه جاء عن النبى صلى الله عليه و آله أنه علم بعض الناس: اللهم إنى أقسم عليك بنبيك محمد نبى الرحمة الخ.

فإن صح فينبغى أن يكون مقصورا عليه عليه الصلاة والسلام؛ لأنه سيد ولد آدم، ولا يقسم على اللَّه بغيره من الأنبياء والملائكة؛ لأنهم ليسوا فى درجته، ويكون هذا من خواصه، والمشهور أنه لا يكره شىء من ذلك «۱».

نقل ابن كثير فى البداية ج ۱ ص ۴۵:

أن ابن تيمية أقر أخيرا فى المجلس الذى عقده له العلماء العاملون الربانيون المجاهدون بالتوسل وأصر على إنكار الاستغاثة، مع أنه يقول فى رسالة خاصة له فى الاستغاثة بجوازها بالنبى فيما يقدر عليه المخلوق.

واعتمد الإمام الحافظ النووى استحباب التوسل والاستغاثة فى مصنفاته، كما فى حاشية الإيضاح على المناسك له (ص ۴۵۰) و (ص ۴۹۸) من طبعة أخرى، وفى شرح المهذب المجموع (۸، ۲۷۴) وفى الأذكار (ص ۳۰۷) من طبعة دار الفكر، فى كتاب أذكار الحج، وص (۱۸۴) من طبعة المكتبة العلمية.

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۲۲۴

وهو مذهب الشافعية وغيرهم من الأئمة المرضيين المجمع على جلالتهم «۱».

أقول: قد مر مراراً أن التوسل والاستغاثة والتوجه والاستشفاع والسؤال كلها من باب واحد وحقيقة واحدة، ذات حيثيات ووجوه متلازمة، فتسويغ أحدها ومنع الأخرى، أو حسبان تباينها ناجم من عدم درك معانيها بغور وعمق ودرجات وأنواع كل منها، وأما تسويغ بن تيمية الاستغاثة بما يقدر عليه المخلوق فقد عرفت أن جملة الأشياء المخلوقة والتى تسأل للداعى هى ذات نسبة إلى الذوات المخلوقة التى هى مجرى الفيض الإلهى المتقوم بتلك النسبة بالإسناد والنسبة إلى الذات الإلهية استمدادا وإيجاداً باعتبار أنه منشأ الوجود.

وقد ذكر القرآن الكريم أفعال كونية مهولة أسندها إلى الملائكة الكرام من دون أن يعنى ذلك عزل القدرة الإلهية أو عدم التقوم بها بالحول والقوة والقدرة الإلهية.

قال الآلوسى فى تفسيره روح المعانى بعد استعراضه أطراف بحث التوسل وآراء العلماء فيه:

وبعد هذا كله أنا لا أرى بأسا فى التوسل إلى اللَّه تعالى بجاه النبى صلى الله عليه و آله عند اللَّه تعالى حيا وميتا ويراد من الجاه معنى يرجع إلى صفة من صفاته تعالى، مثل أن يراد به المحبة التامة المستدعية عدم رده وقبول شفاعته، فيكون معنى قول القائل:

إلهى أتوسل بجاه نبيك صلى الله عليه و آله أن تقضى لى حاجتى، إلهى اجعل محبتك له وسيلة فى قضاء حاجتى.

ولا فرق بين هذا وقولك: إلهى أتوسل برحمتك أن تفعل كذا إذ معناه أيضا إلهى اجعل رحمتك وسيلة فى فعل كذا.

بل لا أرى بأسا أيضا بالإقسام على اللَّه تعالى بجاهه صلى الله عليه و آله بهذا المعنى والكلام

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۲۲۵

فى الحرمة كالكلام فى الجاه..

وقال: إن التوسل بجاه غير النبى صلى الله عليه و آله لا بأس به أيضا إن كان المتوسل بجاهه مما علم أن له جاها عند اللَّه تعالى، كالمقطوع بصلاحه وولايته، وأما من لا قطع فى حقه بذلك فلا يتوسل بجاهه لما فيه من الحكم الضمنى على اللَّه تعالى بما لم يعلم تحققه منه عز شأنه وفى ذلك جرأة عظيمة على اللَّه تعالى «۱». انتهى «۲»

أقول: تعليقا على كلام بن تيمية والآلوسى:

ما ذكره بن تيمية ثلاثة أقسام:

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۲۲۶

القسم الأول: التوسل بإيمان الشخص بالنبى ومحبته له.

القسم الثانى: التوسل بدعاءِ النبى و شفاعته.

القسم الثالث: التوسل بذات النبى الشريفة.

وأضاف الآلوسى قسماً رابعاً، وهو التوسل بجاه النبى صلى الله عليه و آله عند اللَّه حياً وميتاً بما يرجع إلى صفة إلهية، أى إن محبة اللَّه ورحمته لنبيه.

وليت شعرى كيف يعظم الإيمان بالنبى صلى الله عليه و آله ويجعل وسيلة دون ذات النبى، مع أن الإيمان لم يكن إيماناً إلا بتعلقه بذات النبى، فهو أصل الإيمان وقوامه، إلا أن يكون الإيمان باللَّه أعظم من الذات الإلهية، مع أن الإيمان لم يحظ بشرف إلا بلحاظ متعلقة وهو النبى صلى الله عليه و آله، فلماذا كل هذه الحساسية والنفرة من سيد الأنبياء.

وكذلك الحال فى التوسل بدعاء وطلب النبى وشفاعته، وهل دعاء النبى صلى الله عليه و آله وشفاعته الذى هو عمل من الأعمال الصادرة من ذات النبى صلى الله عليه و آله أعظم من ذات النبى صلى الله عليه و آله المقدسة، كذلك يجرى الكلام فى كلام الآلوسى، فهل جاه النبى غير ذاته المقدسة.

ثم ما الفرق بين رحمة اللَّه ومحبة اللَّه فى القسم الرابع التى هى من أفعال اللَّه تعالى وبين ذات النبى صلى الله عليه و آله التى هى أيضا من أفعال اللَّه تعالى، بل ذاته؟ هى عين فعل الرحمة الإلهية، كما أشار إلى ذلك قوله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ» «۱».

فكيف يفرق بين صفات اللَّه الفعلية وبين ذات النبى صلى الله عليه و آله مع أن المآل واحد، وكأنما التوجه إلى ذات النبى صلى الله عليه و آله والتوسل بها مقطوعة الإضافة عندهم عن اللَّه تعالى مع أنه صلى الله عليه و آله أقرب الخلق للَّه، وهو وسيلة الوسائل.

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۲۲۷

فيقدمون ويتوجهون إلى اللَّه بما هو أقل منزلة، ويجفون ما هو أكبر منزلة وأوجه مقاما عند اللَّه تعالى، أو يحسبون أن الصفات الفعلية هى غير فعله تعالى ومغايرة للذوات الشريفة المخلوقة.

قال التاج السبكى:

ويحسن التوسل والاستغاثة بالنبى صلى الله عليه و آله إلى ربه، ولم ينكر ذلك أحد من السلف والخلف حتى جاء ابن تيمية فأنكر ذلك وعدل عن الصراط المستقيم وابتدع ما لم يقله عالم، وصار بين الأنام مثلة. انتهى «۱»

قال المفسر الشعراوى:

التوسل بالنبى صلى الله عليه و آله أو الأولياء مسألة لا يصح أن تكون مثار خلاف من أحد...

ونقول لمن يكفر المتوسلين بالنبى أو الولى: هذبوا هذا القول قليلا، إن حدوث مثل هذا القول هو نتيجة عدم الفهم، فالذى يتوسل إلى اللَّه بالنبى أو الولى هو يعتقد أن له منزلة عند اللَّه.

وهل يعتقد أحد أن الولى يجامله ليعطيه ما ليس له عند اللَّه صلى الله عليه و آله طبعا لا.

وهناك من قال: إن الوسيلة بالأحياء ممكنة، وأن الوسيلة بالأموات ممنوعة، ونقول له: أنت تضيق أمرا متسعا؛ لأن حياة الحى لا مدخل لها بالتوسل، فإن جاء التوسل بحضرته صلى الله عليه و آله إلى اللَّه، فإنك قد جعلت التوسل

بحبك لمن علمت أنه أقرب منك إلى اللَّه، فحبك له هو الذى يشفع، وإياك أن تظن أنه سيأتى لك بما لا تستحق «۲».

أقول: قد مر أن التشفع بذات النبى وحبه والإيمان به، إنما صار له جزاء موفوراً

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۲۲۸

وعملًا شريفاً باعتبار تعلقه بذات النبى صلى الله عليه و آله فكيف لا يحتفى بما هو أصل فى الشفاعة ويتمسك بما هو فرع. انتهى

ثم يقول الشعراوى: والجماعة التى تقول: لا يصح أن نتوسل بالنبى صلى الله عليه و آله؛ لأن النبى انتقل إلى الرفيق الأعلى، نقول لهم: انتظروا قليلا- وانتبهوا إلى ما قال سيدنا عمر، قال: كنا فى عهد رسول اللَّه صلى الله عليه و آله إذا امتنع المطر نتوسل برسول اللَّه ونستسقى به، ولما انتقل رسول اللَّه صلى الله عليه و آله توسل بعمه العباس، وقالوا: لو كان التوسل برسول اللَّه جائز بعد انتقاله لما عدل عمر بن الخطاب عن التوسل بالنبى صلى الله عليه و آله بعد انتقاله، وذهب إلى التوسل بعم النبى صلى الله عليه و آله؟

ونسأل أقال عمر: «كنا نتوسل بنبيك والآن نتوسل إليك بالعباس ۷ أم قال: والآن نتوسل إليك بعم نبيك» «۱»؟!

أقول: ونعم ما تفطن إليه بأن وجاهة العباس ابن عبد المطلب بإضافته إلى شرفية ذات النبى صلى الله عليه و آله المقدسة فالتوسل راجع إلى تلك الإضافة. انتهى

ثم يقول الشعراوى: ولذلك فالذين يمنعون ذلك يوسعون الشقة على أنفسهم؛ لأن التوسل لا يكون بالنبى صلى الله عليه و آله فقط، ولكن التوسل أيضا بمن يمت بصلة إلى النبى صلى الله عليه و آله، فساعة يتوسل واحد إلى غيره يعنى أنه يعتقد أن الذى توسل به لا يقدر على شىء، إننى أتوسل به إلى الغير لأنى أعرف أنه لا يستطيع أن ينفذ إلى مطلوبى.

الامامة الالهية(۵)، ج۵، ص: ۲۲۹

إذن فلنبعد مسألة الشرك باللَّه عن هذا المجال، ونقول: نحن نتوسل به إلى غيره لأننا نعلم أن المتوسل إليه هو القادر وأن المتوسل به عاجز.

وهذا هو منتهى اليقين ومنتهى الإيمان.

ولكن المتوسل به قد ينتفع وقد لا ينتفع، وعندما توسل سيدنا عمر بالعباس عم النبى كان يفعل ذلك من أجل المطر، والمطر فى هذه الحالة لا ينتفع به رسول اللَّه، لذلك جاء بواحد من آل البيت وكأنه قال: «يا رب عم نبيك عطشان فمن أجله نريد المطر».

فإذن فتوسل عمر بن الخطاب بعم النبى دليل ضد الذين يمنعون التوسل بالنبى بعد الانتقال إلى لرفيق الأعلى. انتهى «۱»

أقول: قد عرفت أن التوسل هو طريق التوحيد القويم الحصرى، وأن الصد عنه يؤل إلى التشبيه أو التعطيل وهو الشرك بعينه. انتهى

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة "الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى – "رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغفِهِ بأهل بَيت النبيّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام عليّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة "للتحرِّى الحاسوبيّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإماميّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائى/"بناية "القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیه اصفهان للبحوث والتحریات الکمبیوتریة
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹